أوسكار الموالسة

أو نُزهة المُشتاق في فنون النِفاق خِلال عَهد قاطع الأرزاق
ومُذِل الأعناق حُسني مُبارك الأفّاق

كَتبه راجِي عَفو الخلّاق

بلال فضل

جَار الأسْطى بُسري الحَلّاق

ميريت

أوسكار الموالسة

أو نزهة المشتاق في فنون النفاق خلال
عهد قاطع الأرزاق
ومُذِلّ الأعناق حسني مبارك الأفّاق

أوسكار الموالسة

أو نزهة المشتاق في فنون النفاق خلال عهد قاطع الأرزاق

ومذل الأعناق حسني مبارك الأفاق

كتبه راجي عفو الخلاق

بلال فضل

جار الأسطى يسري الحلاق

الطبعة الأولى ٢٠١١.

(c) دار ميريت

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: ٢٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)

www.darmerit.net

merit56@hotmail.com

الغلاف: محمد سيد

المدير العام: محمد هاشم

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٣٠٧٤

الترقيم الدولي: 978-977-351-523-0

أوسكار الموالسة

أو نزهة المشتاق في فنون النفاق خلال عهد قاطع الأرزاق ومذل الأعناق حسني مبارك الأفّاق

كتبه راجي عفو الخلاق

بلال فضل

جار الأسطى يسري الحلاق

دار ميريت

القاهرة ٢٠١١

تحذير: بعض ما في هذا الكتاب ضار بالصحة الإنجابية
وسلامة المناطق الحميمة

أجدع من أي مقدمة

ولدي إليك بدل البالون ميت بالون

انفخ وطرقع فيه على كل لون

عساك تشوف بعينيك مصير الرجال

المنفوخين في السترة والبنطلون

أبونا صلاح جاهين

إلى أرواح أساتذتي وآبائي العظام:

محمود عوض وأسامة أنور عكاشة وفاروق عبد القادر

وعبد الوهاب المسيري وإبراهيم أصلان

وبهجت عثمان وحجازي

ومحيي الدين اللباد ومصطفى نبيل

الذين عاشوا بشرفهم وماتوا بكرامتهم وجَسّدوا معنى المثقف المستقل المستغني بالله وبموهبته عن أية سلطة فلهم المجد والخلود والأجر والثواب عند الله

الفاتحة أمانة والنبي

And the oskar of mwalsa goes to….

قال الراوي: ياسادة ياكرام، في ذلك الوقت الكئيب من تاريخ مصر، كانت أمواج النفاق قد علت علوًا مبينًا حتى كادت تغرق البلاد وتفقع خصي العباد، وعندها كان لا بد من هجمة مضادة، ومن هنا ولد أوسكار الموالسة.

كانت صحيفة الدستور المغدورة قد صدرت بفعل حكم قضائي في مارس من عام ٢٠٠٥، ذلك العام الذي أسفر فيه مشروع التوريث عن وجهه القبيح بكل "وساخة" بعد سنوات من ادعاء الاستحياء، وبدأت تتصاعد لمقاومة هذا المشروع "الواطي" حركة شعبية احتجاجية في الشوارع والمصانع والجامعات والنقابات والمدونات الإلكترونية، ربما كان أبرز تجلياتها ظهور حركة (كفاية) التي ربطت مابين رفض أحرار الشعب المصري لمشروع التوريث، وما بين رفضهم لاستمرار عصر الاستبداد والفساد الذي كبس فيه حسني مبارك على مراوح مصر لأكثر من عقدين من الزمان.

كنت قد بدأت في ظل هذا كله في كتابة صفحة أسبوعية بعنوان (قلمين) كان يرسمها لي صديقي الفنان الكبير عمرو سليم، وفكرت أن يكون بها ركن ثابت يرصد تجليات الانحطاط الصحفي والإعلامي في فنون النفاق، ويقدم جائزة أسبوعية لمن يقدم أفضل أداء في ذلك، واخترت أن أسميه (أوسكار الموالسة) إحياءً لذلك التعبير الشعبي المعجز (الموالسة) والذي يحيل إلى معانٍ ودلالات عديدة مركبة تستحق التأمل، ربما كنت أقصد منها تحديدًا التماسّ مع تلك الجملة الشهيرة (الولّس كسر عرابي)، بغض النظر عن مدى دقتها التاريخية من عدمه، ما كنت أريد أن أقوله من اختيار تعبير (الموالسة) أن الشعب المصري في تلك الفترة الخنيقة من تاريخه كان يتعرض لحرب إبادة شاملة تهدف إلى أن تخرجه وإلى الأبد من زمرة الشعوب المتحضرة، وبدلا من أن يسانده كل الكتاب والإعلاميين ويقفوا في صفه، اختار كثيرون منهم أن يوالسوا مع المحتل المحلي ضده، وأن يتحالفوا معه لكسر إرادة الشعب المصري في أن يكون تمامًا، كما قال الزعيم أحمد عرابي في عبارته الشهيرة "لقد خلقنا الله أحرارًا ولم يخلقنا متاعًا أو عقارًا، وإنّا لن نورث بعد اليوم".

لا أريد أن أحلل المسألة أكثر من اللازم، فما أدريه ببساطة أن ركن (أوسكار الموالسة) كان جزءًا من رغبتي في المقاومة، كان كثيرون في مصر يقاومون وقتها كل بطريقته، بالهتاف، بالمظاهرات، بالإضرابات، بالعمل الطلابي، بالعمل النقابي،

بالوقوف على سلالم نقابة الصحفيين والهتاف ضد الباطل، بالدعاوى القضائية، بالعمل السياسي، وحتى بالصمت الرهيب والاكتفاء بتربية العيال من مال حلال والدعاء أن يولي الله من يصلح، أما أنا فقد اخترت السخرية سلاحًا، وأزعم أنه كان سلاحًا ناجعًا بالنسبة لي، صدقني، ليس لدي هنا أدنى رغبة في الزهو، كل ما في الأمر أن المقاتل وحده هو الذي يدرك ما إذا كان سلاحه ناجعًا أم لا، أترك الكثير من التفاصيل لمذكراتي التي ربما يكون أولى بها ناشر أكثر ثراءً من محمد هاشم، لكنني أكتفي فقط بالقول إن كل مقالة ستقرأها في هذا الكتاب لم تشف فقط صدور مواطنين مصريين مفقوعين وتذهب غيظ قلوبهم، بل إنها حرقت قلوب المواليسين الذين كانوا يتصورون أن تآمرهم ضد الشعب المصري مع حكامه المستبدين والفاسدين يمكن أن يمر في صمت دون أن يتعرضوا للتجريس، نعم، كان ما نفعله أنا وصديقي الفنان الفلتة المنفلت عمرو سليم في تلك الصفحة تجريسًا حقيقيًا للفاسدين والمواليسين نفتخر به، كنا نستلهم فيه تراث أجدادنا في معاقبة من يتجاوز في حق عموم الناس، وكنا نظن أن غايته التجريس وحسب، وكان ذلك أقصى طاقتنا، لكنه بالتأكيد لم يكن غاية رغبتنا ولا منتهى آمالنا، فما كنا نأمله حقا أن تختفي الموالسة من حياتنا السياسية والصحفية إلى الأبد، وهي أمنية مستحيلة، لكننا كنا نحاول أن نكون واقعيين ونكتفي بطلب المستحيل.

في أول ظهور لـ (أوسكار الموالسة) وكان ذلك في العدد الثالث من الدستور الأسبوعي نشرت هذه السطور "بمناسبة أننا داخلون على أيام مفترجة كلها انتخابات ومبايعات وأعياد ميلاد، ومساهمة في تخفيف الضغط عن جميع المناطق القابلة للانفجار في أجسادنا، قررنا تشكيل أكاديمية لعلوم وفنون النفاق تتخذ من هذه الصفحة مقرًا لها، وتعلن جائزة أسبوعية اسمها أوسكار الموالسة لأحسن مقال يجامل أو يتزلف أو يوالي أو يهادن أو يبايع أو يوالس أو... إنتو قاريبني بقى مش هاصبدعكو بباقي المفردات. الشرط الوحيد للفوز بالجائزة هو أن يكون المرشح من بين المشهور عنهم الركاكة في الكتابة والتواضع في الأسلوب ويفضل أكثر الانعدام في الأسلوب أو وجود اللا أسلوب، وطبعا سنحاول ألا نعطي الجائزة كل أسبوع للكاتب الكبير سمير رجب ولو أنها مهمة صعبة، فالأكاديمية من أهم أهدافها تشجيع الموهوبين الجدد في التزلف والموالسة، لكي نثبت للجميع أن مصر ولادة، حتى اسألوا ابن زيدون.

طبعا لن يكون تحقيق هذا الهدف سهلاً دائما، فمثلما فشلت أكاديمية العلوم والفنون الأمريكية في أن تعطي أوسكارها لشاب ولم تجد سوى منحه لكلينت ايستوود، نحن أيضا كدنا أن نفشل في تحقيق هدفنا وكدنا أن نمنح الجائزة هذا الأسبوع لكلينت ايستوود الموالسة في مصر وهو الدكتور محمد مجدي مرجان ـ وهو غير بيومي أفندي بتنجان الذي تحدث عنه نجيب الريحاني ـ، والذي رشحته الأكاديمية عن فقرة في مقاله

بالأهرام الأسبوع الماضي، الفقرة الفائزة تقول "أطالب مبارك باسم ملايين الأوفياء والعارفين بألا يتخلى عنا ونحن في وسط المحيط نلاطم الحيتان والدوامات ونقاوم الصخور والصقور وأن يرشح نفسه في الانتخابات لكي يخوض غمار التجربة التي زرعها وأنشأها وعلاها، ولكنني وفي نفس الوقت أطالب الأكفاء والخلصاء... أن يتقدموا، وإذا ظهر من هو أفضل من مبارك فلن أتردد في انتخابه، بل إنني أؤكد جازمًا أن مبارك نفسه سيكون أول من يرحب به ويتنازل له فورًا وبكل سعادة، بل ويتحول الى نصير ومؤازر للمرشح الجديد لأنه الأفضل لمصر التي يقدسها مبارك".

لجنة التحكيم أبدت إعجابها ببراعة الدكتور مرجان لكنها عابت عليه أنه لم يكمل الفقرة السابقة بما أحست اللجنة أنه يريد أن يقوله وهو "بشرط أن يكون المتقدم الكفء أول حرف من اسمه جمال"، ولذلك فقد تم حرمانه من الأوسكار الذي ذهب لحسن الحظ إلى وجه جديد وإن لم يكن شابًا، وهو ابراهيم العقباوي رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون الذي نشرت الصحف أنه قال في اجتماع وحدة ماسبيرو للحزب الوطني إن "رئيس الجمهورية أكثر أفراد الجمهورية المظلومين، حيث إنه لايستطيع أن يستمتع بحياته الخاصة وحياته الأسرية، وإذا كان الشخص منا مسئول عن مبنى واحد ضمن ملايين المباني والمنشآت لا ينام ولا يستطيع أن يتحرك من المبنى فما بالكم برئيس الجمهورية الذي هو مسئول عن ٧٥ مليون انسان".

لجنة التحكيم تبارك للعقباوي، وتؤكد أن وصول رجل بهذه العقلية إلى هذا المنصب سيكون أكبر "عقباوي" في وجه أي تغيير أو تطوير مرجو أو منتظر، وتتمنى له أن يرحل قريبا عن منصبه لكي يتمكن من الاستمتاع بحياته الخاصة والأسرية. ونستمتع نحن بعقليات تحترم عقولنا".

لم تكن السطور السابقة محكمة الكتابة أو فذة الصياغة، ومع ذلك حقق باب أوسكار الموالسة نجاحًا مدهشًا لم أكن أتوقعه بصراحة ربنا، والغريب أنني في العدد التالي مباشرة وجدت صعوبة بالغة في إيجاد نموذج صارخ للموالسة يمكن أن يخرج من داخلي كتابة أحبها، ولذلك جاء الباب صغيرًا جدا في العدد الرابع ونشرت فيه هذه السطور "يعترف أعضاء أكاديمية فنون وعلوم النفاق أنهم يتعبون كثيرًا هذه الأيام في التوصل إلى فائز صريح بأوسكار الموالسة، لأن الرصد المتأني لبحر النفاق شهد انخفاضًا ملحوظًا في منسوب النفاق وفي مستوى المنافقين، بشكل يدعو للدهشة وللتأمل. بالطبع ليس لدى أعضاء الأكاديمية أي تخيل أن هذا الانخفاض يرتبط بتغيّر في العقلية، أو إصلاح للخطاب أو مراعاة للضمير أو تذكر أن هناك شيئًا اسمه شرف الكلمة مايولعش إلا كل فترة رئاسية واحدة. وأعضاء الأكاديمية يعتقدون أن هذا الانخفاض مرجعه الشعور بالإجهاد بسبب الطلب المتزايد على فنون النفاق منذ قرار التعديل الدستوري الأخير والذي تمخض فولد ضوابطًا. وبسبب قيام المتنافسين التقليديين بنيل بعض الراحة قليلاً قبل أن يبدأ موسم النفاق الكبير بجميع فروع وطني أفندي. طبعا أعضاء

الأكاديمية يحفظون عن ظهر قلب الأغنية الشعبية التي تقول "تفاقي بيوجعني.. من إيه .. نفاقي بيوجعني.. من إيه.. نفاقي بيوجعني من زيف امبارح.. ياللي عالسلطة حود عالقارح". ولذلك فهم يعفون أغلب المتبارين في فنون الموالسة من عقاب حجب الجائزة هذه المرة، وسيعطونهم فترة راحة لشحذ الهمم والرمم. وقد قرر أعضاء الأكاديمية بالإجماع منح السيد سمير رجب جائزة أوسكار فخرية عن مجمل أعماله في ميدان الموالسة، نعلم أن الجائزة أقل من مجهوداته بكثير، لكن ده اللي في إيدينا، ألف مبروك يا أستاذ سمير، وندعوك للتسلق على خشبة المسرح لإستلام الجائزة، طبعا كنا سندعوك للصعود، لكن فكرنا أنك بوصفك من أصحاب المهارات الخاصة ربما تحب التسلق أكثر."

بعدها وكما يقال "ابتدت.. تندّع"، وبدأ شكل الكتابة في باب (أوسكار الموالسة) يتطور شيئا فشيئا، ويثير جدلاً أسبوعيًا ويكتسب جمهورًا كل أسبوع، حتى ضقت به ذرعًا في بعض الأحيان لأنه كان يخطف أضواء القراء عن أشياء أخرى أنشرها في نفس الصفحة وأراها أقرب بكثير إلى وجداني، وأتمنى أن تصل إلى القارئ أكثر، لكن التجارب علمتني أن على الكاتب في كل ما يكتبه أن يكتفي بأداء عمله ويترك الخلق للخالق، لأنه لو ربط أمنياته ببعض ما يكتبه دون غيره، لأدمن خيبة الأمل، ولم تتأثر كتابته فقط بسبب ذلك، بل ربما تأثرت روحه نفسها، وعندها تغور الكتابة إذا كانت ستفسد روح الكاتب.

لن أطيل عليك، حتى لو كان نفسي ومُنى عيني في ذلك، فشهيتي الآن مفتوحة للتنظير، لكنني أشعر الآن بالجوع الشديد، وأنا بصراحة عندما أجوع لا أضمن جودة ما أكتبه، ويمكن لك عندها أن "تقفل" من كتاب أظنه سيكون ممتعًا في قراءته، ومحزنًا أيضًا، لأن بعض الأجيال التي ستأتي في هذه البلاد لن تصدق يومًا ما أننا عشنا كل هذا الانحطاط، واستطعنا الحفاظ على القدرات البيولوجية اللازمة لإنجابهم.

هاهي تجربة (أوسكار الموالسة) الآن بين يديك بعبلها وجموحها وشططها وعنفوانها، مع قليل من الرتوش، بصراحة لا يهمني رأيك في هذه التجربة بقدر مايهمني أن تعمل جاهدًا أيًا كان موقعك على ألا تشهد هذه البلاد انحطاطا مماثلاً أبدًا في فنون الموالسة كالذي رصده وقاومه هذا الكتاب، حتى لو حكم مصر بإذن الشعب حاكم صالح يحبه الناس وتوحي سيرته وسلوكياته أنه ربما يستحق الموالسة. فالحاكم حتى لو كان قادمًا باختيار الشعب إذا تدفأ لدغ، وإذا لم يجد أحدًا يرد الموالسين عنه يتفرعن، وعندها فقط ستكون دماء شهداء ثورة الخامس والعشرين من يناير قد راحت سدى، لا قدر الله ولا أراد الشعب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، خشوا على كتابكم يرحمكم الله.

بلال فضل

الإسكندرية

يناير ٢٠١٢

شعبولا يفتتح الحملة القومية لمستشفى أورام المبايعة

على عكس كثيرين غيري فرحت جدًا بأغنية شعبان عبد الرحيم التي أنشدها في مديح الظل العالي السيد الرئيس مبارك، لأنني أعلم جيدًا أن شعبولا قدم السعد على من يغني لهم من المسئولين، حتى اسألوا عمرو موسى.هيييييه.

عندما شاهدت الأغنية وضعت يدي على قلبي خوفًا من أن يكون صديقي الشاعر إسلام خليل صانع ظاهرة شعبولا قد تورط في كتابتها، لكنني فرحت عندما وجدت اسم شاعر آخر، وبعد مراجعة كلمات الأغنية أعتقد أن الاسم الذي ظهر عليها اسم كودي يخفي كون الأغنية أول محاولة في الكتابة الغنائية للشاعر سمير رجب. ده خياله والمصحف. ولكي لا أظلم أحدًا دعوني أقل إنه ربما كان هناك شاعر لكن "فور شور" أراهنكم أنه قبل أن يكتب الأغنية نقض وضوءه وقرأ كتاب "الموقف

الحق" وهو من لا يعلم الكتاب الذي أسس بـــه ســـمير رجـــب مدرسة "الكارثة" في التحليل السياسي.

صعب عليا شعبان وهو يحاول أن يكون نفسه وهو يغني، فكلما سخن وأحب أن يبدأ في الرقص على خلفية كلامه عــن إنجازات الريس، قمعته نظرات المخرج الذي لابد أنه كان يقول له "إنت فاكر دي أغنية باحب الحمار بجد مش هزار.. اركــز وخليك جد.. إحنا بنعمل تاريخ شَعب يا شعب". ولو كنت أنــا مخرج الأغنية لتركت شعبولا على راحته ليرقص كما شاء في الغرفة التعيسة التي صور الأغنية فيها، والتي تثبــت إلــى أي مدى كانت البنية الأساسية في مصر فعالة لتنتج ذوقًا بهذا القبح، في رأيي الشخصي لون الستارة التي غنى شعبان أمامها أكبــر رد على كلمات الأغنية.

ولكي لايتهمني أحد بالمعارضة الهدامة دون بناء أحب أن أقول إن الأغنية كانت تحتاج إلى كلمات أكثر سهولة وبســاطة لأن تقعيرها ودخول الفكر الجديد عليها أبعد جمهــور شــعبان عنها، ولذلك أقترح تعديل مطلعها الذي يشبه مطلــع كــوبري مهمشة وأهدي مطلع بديل يشبه مطلع كوبري الجلاء، ســلس ومافيهوش ولامطب وعمره ما فــي أمــين بيوقــف عليــه ــ الملاحظة السابقة لإخواننا بتوع النقل ــ، المطلع يقول "باحــب حسني مبارك.. باحبه جدًا خالص.. ولو حــد قالــه كفايــة.. هاخاصمه خالص مالص..هيييه هيييه.. باحب حسني مبارك.. لأنه راجل أمير.. واللي يقولوله لأه.. يبقوا طبعا حمير.. هيييه

هيبيه.. باحب حسني مبارك.. واحب كمان جمال.. لأنــه زي بابا.. كله شياكة وجمال.. هيبيبه هيبيه". على فكرة هذه الكلمات إهداء مني لشعبان "فور فري" مساهمة فــي الحملــة القوميــة لمستشفى أورام المبايعة زيرو خمس فترات.

أصدق ما في الأغنية هو ما تم إنهاؤه بها، وهو مقطع من إحدى حوارات الرئيس التلفزيونية يقول فيها بالنص "اللي اتعمل في مصر ما اتعملش من أيام محمد علي"، تمام سعادتك ياريس، وإن جيت للحق اللي اتعمل في مصر ده ما اتعملش خالص.

بس خلاص.

رشاد كامل خالص.. رشاد كامل جدًا

لا يشتهر الأستاذ رشاد كامل بين جمهور القراء بوصفه رئيس تحرير "صباح الخير" بقدر ما يشتهر بكونه باحثًا مدققًا يحتفظ بكل مقالات الأستاذ هيكل من يوم ما بدأ الكتابة في الثلاثينات، وينفرد وينتشي كل فترة بإثبات أن الأستاذ هيكل نسي سطرًا كان "قايله" في مقال بآخرساعة سنة ٤٩، وسقطت منه فقرة في كتاب أعاد نشره مؤخرًا، وقام بتغيير واو عطف إلى أو تخيير في واقعة أعاد حكايتها مؤخرا، وهو جهد كنت أنا وغيري نحسبه للأستاذ رشاد كامل أيام كنا نعتقد أنه يبحث عن الحقيقة من أجل الله والوطن، لكن رشاد فقد رشده عندما وصل إلى منصب رئاسة التحرير، وأتضح لنا أن رغبته في التدقيق والتمحيص وقفت عند الأستاذ هيكل فقط، طبعًا لأن هيكل لا يعين رؤساء تحرير في مناصبهم ولا يحاسبهم على فشل مجلاتهم العريقة وتحويلهم لها إلى مجلات شبه سرية، أما الرئيس مبارك فلم يكلف رشاد خاطره ولو لمرة بأن يقدم لنا قراءة في تصريحاته التي تناقضت، وتعددت من أول أنه

سيقضي معنا وقت لذيذ لفترة رئاسية واحدة، ثم فترتين، ثم سيقضي معنا الباقي من الزمن، طيب هنقول بلاش نزايد على رشاد، وهو لا يمكن أن يحرج من أتى به إلى منصب لم يكن يحلم به عمره، يمكن أن نفهم ذلك لكن ما لا يمكن أن نفهمه أن يتحول رشاد كامل تلميذ صلاح حافظ الذي يجلس على كرسي جلس عليه أحمد بهاء الدين وحسن فؤاد وصلاح جاهين ومحمود السعدني ولويس جريس، فينسى كل هؤلاء ويقتدي فقط بمفيد فوزي في موالسته، مع ملاحظة أن مفيد كان موهوبًا وقادرًا على صنع مجلة ناجحة لم نكن نفوت منها عددًا، كان يمكن لرشاد ما دام قد رأى أمواج الموالسة في روز اليوسف عالية أن يقول خيرًا أو يصمت عملاً با لمثل القائل "إذا كنت في روزا فلا تفعل مثلما يفعل أهل روزا"، بدلاً من أن يحاول إجهاد نفسه في أداء وصلات موالسة بائسة ليس مؤهلاً لها، يهاجم فيها كل شوية من يعارضون نظام الحكم في مجلة كانت منذ صدورها صوتًا للقلوب المتحررة والعقول الشابة، ويسعى بين الفينة والفينة لاستخلاص حكمة الرئيس البالغة التي لم يقيض الله لنا أن نفهمها إلا على يد رشاد كامل، وكأن المشرحة ناقصة قتلى وليس فيها جثة زي سمير رجب.

عمومًا ليس هذا موضوعنا، موضوعنا هو أن رشاد كامل يستحق أوسكار الموالسة هذا الأسبوع عن أدائه الكوميدي في العدد الماضي من "صباح الخير" الذي صدّره بأنه عدد للعقل الذكي، والذي بلغ به الذكاء أن قام بعد أكثر من أسبوع على

إذاعة ونشر "مفاجعة" الرئيس لعماد أديب في جميع القنوات والترع والمصارف والصحف السيارة والزاحفة، بتخصيص نصف الغلاف لعناوين الحوار التي مَجّها الناس من كثر تكرارها، وهو ما أثار عجبي الذي تحول الى ذهول عندما قرأت العدد، واكتشفت أن رشاد فقد حتى دأبه القديم في التدقيق في أخطاء البشر، فبدلاً من أن يقوم بنشر أي معالجة صحفية للحوار يستطلع آراء الناس فيه، أو آراء الشخصيات العامة موالسة كانت أو معارضة، خصص أول ١٥ صفحة من صدر المجلة، وجزءًا من "وِركها" لإعادة نشر الحوار، وهو تصرف يعتبر سبقا في مجال التخلف الصحفي، ولعله كان أولى برشاد في هذه الحالة أن يغير شعار العدد ليجعله (عدد للقارئ الغبي أو القارئ اللي كان مسافر بره.. أو عدد كان لازم يطلع من أسبوع). ناهيك عن تصديره لهذا الانفراد الصحفي بمقالة يصف فيها مفاجأة مبارك بأنها شهادة مهمة لزعيم نبيل اتسعت همته لآمال أمته ــ قولها عشر مرات كده ــ. بالله عليك يا أستاذ رشاد هل سهرت كل الليالي الماضية من عمرك لتقرأ كل تلك الكتب، وتحشد عقلك بكل تلك الأفكار لينتهي بك المطاف نسخة باهتة من مرسي عطا الله؟!. يا أستاذ رشاد نفسي أفهم لماذا تفعل هذا وقد وصلت إلى أكثر مما كنت تتمناه؟ هل تتوقع أن يتم تعيينك مثلا وزيرا لأخطاء هيكل، أو محافظا للحوامدية حيث تسكن؟ يا أستاذ رشاد أنت كاتب محترم وغزير الإنتاج لك كتب جميلة تحولت إلى مراجع معتبرة، لماذا تستكثر على نفسك حسن الختام؟. والسلام ختام.

رسالة من مراهق صحفي إلى كاتب في سن الضياع

اتصل بي صديقي الأمّار بالسوء ليقول لي: إلحق.. مفيد فوزي رد في مجلة "صباح الخير" على ما كتبته عنه هو ورشاد كامل، قلت له: لقد انتهيت منذ لحظات من قراءة الصفحة المفيدة التي يكتبها المفيد، ولم أجد شيئًا يخصني البتة، قال لي: وهل تتوقع من فوزي ومفيد بجلالة قدره أن يذكرك بالاسم عندما يهاجمك،، قرأت المقال ثانية وقلت له: يا أخي حرام عليك الأستاذ كاتب عن واحد بيصفه بأنه مراهق صحفي لأنه يستخدم تعبير الموالسة في وصف بعض الكتّاب، قال لي: ما هو يقصدك إنت، مش إنت اللي استخدمت وصف الموالسة في التعليق على ما كتبه رشاد، وقلت إنه تعلم ذلك من مفيد الذي كان له باع ــ واشترى كمان ــ في مجال الموالسة، قلت له: آه والله، بس تفتكر يقصدني أنا، غريبة ماكنتش أعرف إني مراهق.

أغلقت السماعة مع صديقي وأخذت تثور في نفسي الظنون تهزني وتشد أذني، بقى أنا مراهق وأنا ما اعــرفش، إخــص، طب يبقى شكلي إيه قدام مراتي وزمايلها في الشغل، لكن إزاي مابانش عليا خالص، إزاي ماخدتش بالي، ذهبت إلــى المــرآة ونظرت فيها مليًا لعلي أستخرج مواطن المراهقة بداخلي، هــل أرتدي باروكة لأخفي صلعتي التي خلقني الله بها فأحسن خلقي؟ لا، هل أرتدي دائما قمصان مشجرة تصلح لعيال فــي تانيــة إعدادي لا لعجوز تجاوز الستين؟ لا، هل أستأسد على الغلابــة الذين أستضيفهم في برامجي بينما أجلس أمــام أي رئــيس أو محافظ كالقط المذعور؟ لا، هل أجريت يومًا ما حوارًا مع أسد جنينة الحيوانات ووقفت مستأسدًا عليه لأنه يقف عــاجزًا وراء القفص ؟ لا، هل شعرت بشعور الزوجة المخدوعة بعد أن تــم قلشي من محاورة رئيس الدولة كل عام في عيد ميلاده لأننــي حولت طقس الحوار معه إلى مسخرة شعبية؟ لا، هــل أكتــب متخفيا وراء اسم سيدة هراء أسبوعيا عن الحب والعواطف؟ لا، هل أكتب مفاخرًا بصداقاتي مع الشاعرة الخليجية عنزة البعجور لأصف ديوانها "أعطني العقال واركب أنت الجمل" بأنه الضوء المهموس والشعر المحسوس؟ لا، هل أستغل عمودي الأسبوعي لتصفية الحسابات مع كل من يدوس لي على طرف؟ لا، هــل قمت بالاستئساد على فتيات "الفيديو كليب" لأشكك في عذريتهن، بينما لا أجرؤ على أن أشكك في نزاهة محافظ، أو أدوس على طرف نقيب شرطة؟ لا، هل كتبت كتابا عن المطرب الكبيــر

الذي كنت أستلف منه القمصان والكرافتات لأصور نفسي بعد سنين من رحيله أنني كنت آمره وأنهاه وأشخط فيه كمان؟ لا.

أنا لست كذلك كله بحمد الله، إذن لست أنا الذي كتب عنه الأستاذ مفيد، وصديق السوء متعسف في تفسيره، فالأستاذ مفيد كاتب كبير في سن خطر، وأنا أربأ به أن يصفني بالمراهقة وهو لا يعرفني، إذن لا داعي لتحويل الأمر إلى خناقة شخصية، والأولى أن نتحدث بشكل موضوعي عن ما قاله الأستاذ مفيد على اعتبار أنه يتكلم عن حد تاني مراهق ما نعرفوش. الأستاذ مفيد يا جماعة يبدأ مقاله بسؤال وجيه: "هل من المعقول أن يوجد مجتمع كامل من المعارضين؟"، والحقيقة يا أستاذ إجابتي هي نفس إجابتك، لا طبعا، لكنني أسألك متى قال أحد ذلك، أنا شخصيا لم أقله ولا قرأته لغيري، ولا أعتقد أنني أنا أو غيري لم نقل كلمة حق وإنصاف لأسماء وطنية في الحكم كانت تجيد ما تفعله مثل أحمد جويلي، وعمرو موسى، ومحمود أبو زيد، وحسب الله الكفراوي، وماهر أباظة، وأحمد نظيف، عندما كان وزير اتصالات، وأحب ما علينا أن تكون مصر جنة تجري من تحتها الإنجازات، لكنها ليست كذلك، ولذلك فنحن نعارض وسنظل نعارض.

الأستاذ مفيد يقول في مقاله "من السذاجة والمراهقة في الكتابة أن يصف واحد أن تبني أفكار الحزب الحاكم أو تأكيد فكر الرئيس هو نوع من الموالسة، هل مطلوب أن نعادي الرئيس والحكومة والحزب حتى لا نكون موالسين، إنها

أمراض حرية التعبير التي أتاحها مبارك، وفي ظروف أخرى وعهود أخرى كان الاعتقال والسجن والتشريد هو النتيجة الحتمية لمن يتطوع برأي ولو قاله على استحياء.. وكان المجتمع كله موالسًا بالقهر... إذا قلت إن مبارك مسح دموع مصر من الزمن الشمولي فأنا أقرر حقيقة، ولدى كل القناعة بها فهل هذه موالسة، هل مطلوب منا أن نكون معارضين ونطفئ الكلوبات فنصبح كشجعان السيما، إن هذا إرهاب فكري ألعن ألف مرة من إرهاب بشندي وفرقته، إن من حق الاحترام أن أصفق حين أجد أمرًا يستحق التصفيق، وأوجه نقدًا للسلطة حين يستدعي الأمر"، هذا كلامك بنصه يا أستاذ، وأنت تسأل هل هذه موالسة، الحقيقة آه، لا بل هي قمة الموالسة، وقبل أن تزعل دعني أقل لك لماذا. لأنني وقد قرأت لك كل ما كتبته منذ أن بدأت أقرأ "صباح الخير" وأنا عندي ٩ سنين مثلا، يعني نصف عمرك الصحفي، لم أقرأ لك كلمة واحدة تنتقد فيها الرئيس انتقادًا صريحًا أو مباشرًا أو مهذبًا، ألم يخطئ الرئيس كل هذه السنوات خطأً واحدًا يستحق أن تكتب عنه فقرة معارضة، أليست هذه موالسة، يبدو أنك لا تعرف أن كلمة موالسة تعني لدى المصريين أن يساير الشخص من هو أقوى منه في الحق والباطل، أليس هذا هو معناها المهذب، طيب، ألم تساير أنت والكثير من مجايليك الرئيس في كل ما فعله ويفعله، هل رأينا لك مثلا مرة موقفًا كموقف الدكتور أسامة الغزالي حرب الذي رفض أن يشترك في مهزلة تعديل المادة ٧٦

وضحى بكل طموحاته السياسية من أجل أن يقول كلمة حق في بلد لا تحب كلمة الحق ويدمر فيها مستقبل الناس "سماعي"، طيب لماذا نحترمه وهو من الوجوه المشرفة في الحزب الحاكم، بلاش هل رأينا لك مرة موقفا كموقف كتاب أمثال محمد السيد سعيد أو نبيل عبد الفتاح أو ضياء رشوان أو سلامة أحمد سلامة أوعبد المعطي حجازي وغيرهم من كتاب الأهرام الشرفاء الذين لم يمنعهم وجودهم في أعرق صحيفة مصرية وعدم كونهم محسوبين على المعارضة من أن يقفوا الى جانب الحريات ويقاوموا صقور الطوارئ،على عكسك. نحن يا سيدي لم نرك تستأسد على الرئيس في أي حوار معه كما فعلت مع المسكين أبو الإرهابيين إيهاب ومحمد الذي لم يثر شفقتك فقده لابنيه فأخذت تصول وتجول عليه تمامًا كما فعلت زمان مع المساكين عبدة الشيطان – الذين اتضح أنهم لم يعبدوه أبدًا – عندما أخذت تعري أذرعتهم بكل فتونة دون أن تتذكر أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته. كنا سنعتبر ما فعلته خوفًا على مصر وشبابها لو رأيناك تسأل الرئيس بنصف القوة والحماسة أي سؤال به اختلاف حقيقي وواضح لكي نقول إنك تستحق أن توضع إلى جوار أحمد بهاء الدين والحمامصي ويوسف إدريس ومصطفى أمين الذين حاولت أن تتمسح بهم في مقالك. هل يمكن أن يقتنع طالب في معهد "التنمية الفكرية" أو نزيل في "بهمن" أنك يمكن أن توضع في مصاف أسماء كهذه، قد ترى نفسك هكذا وهذا حقك، لكن ادينا أمارة طيب، بلاش مقالة،

كفاية علينا فقرة. شنّف آذاننا بمقالة كتبتها ضد ضرب المتظاهرين بالهراوات أو إغلاق الدستور، أو الاعتداء على عبد الحليم قنديل، أو تصعيد جمال مبارك، أو.. بلاش، هات مقالة ضد مرتضى منصور حتى.

أنا لست معك يا أستاذ مفيد في أن الموالسة صفة خسيسة لا يوصف بها كاتب، بل هي صفة تقرر حال الكاتب الذي لا يحترم قلمه، الكاتب الذي يعتبر أن حريته منحة من الحاكم، إن الحرية يا أستاذ مفيد ليست منحة من الرئيس يجب أن ننحني له كل صباح ومساء لأنه منحها لنا، الحرية هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ونحن لا نتلقى منحًا من أحد، وأنا لا أرى مثلك أن نظام الحكم مبسوط للغاية بهذه الحرية، هو فقط الظرف الدولي الذي تغير، والعالم الذي أصبح قرية صغيرة تهتز لاعتقال كاتب أو إغلاق صحيفة، ناهيك عن أن قراءة تاريخ علاقته مع الصحافة ليس فيه أي مسح دموع لمصر خالص، بدليل إغلاق الدستور ثمان سنوات عجاف، وبدليل ما حدث على مدى السنين الماضية لعبد الحليم قنديل ولحزبي العمل ومصر الفتاة وللموقف العربي ولجمال بدوي ولسعيد عبد الخالق ولكتاب غيرهم قام بلطجية النظام بمسح دموعهم في الشوارع، ناهيك عن الصحفيين الذين تم إعطاؤهم فرصة كافية لمسح دموعهم في السجن، وبدليل ما قاله الرئيس مؤخرًا في حواره التلقائي مع أحمد الجار الله، والذي كشف إلى أي حد يحب الرئيس الرأي الآخر، ولعلك شخصيا جربت كيف كان

حالك في آخر حوار لك مع سيادته، فاكره ولا أفكرك بيه يـا أستاذ مفيد، فاكر وشك جاب كام لون ساعتها عندما نهرك أمام الناس، وفاكر كيف تم بعدها استبدالك من البائع بمحاور أتخـن وأصلع وأشيك. ثم إنت مستعجل ليه، حد عارف إيه اللي ممكن يحصل ويبين احتفاء نظام الحكم بالصحافة المعارضة واهتمامه بمسح دموع مصر، كما تم مسح بنوك مصر وشركات مصـر وجيوب مواطني مصر. يا أستاذ مفيد، أعدك أن الرئيس مبارك لو فعل بالصحافة ما فعله عبد الناصر بها، فـإنني أنـا وكـل زملائي من المراهقين الصحفيين سنكافح مـن أجـل حريتنـا وسنكتب على الحوائط، سواء كانت حوائط السجون أو حوائط الشوارع، ولن يتم منعنا من الكتابة لأننا زعلنا أم كلثوم — مثل ناس — بل لأننا فعلنا مثلما فعل أساتذتنا العظام الذين ضـحوا بكل شيء من أجل مصر حرة وشامخة وقوية ونظيفة، سنقول كلمة الحق وسنقول للنظام الأعور أنت أعور في عينه، حتى لو كان الثمن هو حريتنا وقوت عيالنا، لسنا يا سـيدي إرهـابيين ولامناضلين، بالعكس لدينا زوجات نريد أن نتخانق ونتصـالح معهن، وولاد نفرح بيهم، وشوارع نتسكع فيها، وقهاوي نجلس عليها، وسينمات نحبيها، ومساجد وكنائس نصلي فيها، وفاكهة نأكلها، وطواجن نتلهف عليها، وكتب نلتهمها، وكتاب في سـن الضياع نتمسخر عليهم، ولو كان الرئيس مبارك قـام بتعـديل حقيقي للدستور أو حاكم يوسف والي، أو منع ابنه من تصـدر المشهد السياسي، لوقفنا كلنا نصفق له، ولو كان قد انتهز آخر

فرصة لدخول التاريخ كآخر الفراعنة، وحقق إصلاحًا سياسـيًا حقيقيًا لغفرنا له كل ما فعله حكمه بنا السنين الماضية، ولو قرر أن لا يرشح نفسه في الانتخابات القادمة لوقفنا كلنا نهتف له "الله ينور يا ريس".

يا أستاذ مفيد نحن لا نريد مجتمعًا كاملاً من المعارضين.. نريد مجتمعًا كاملاً من الشرفاء.

احترس من القط

"إنت السبب يا ريس". جذبني العنوان المنشور في صفحة الرأي في صحيفة "أخبار اليوم"، ظننته تغييرًا في نهج الصحيفة التي أنابت إلى الله وقررت أن تنشر آراء معارضة ومحترمة وبدأت ذلك بهذا المقال الجريء كما يبدو من عنوانه والذي يحمّل الرئيس مبارك مسئولية كل ما تعانيه مصر، ومش محتاج أشرح لك ما الذي تعانيه مصر، اسألها بنفسك.

المهم أنني شرعت في القراءة بحماس بعد أن خربشني اسم الكاتب ممتاز القط والذي جاء مغريًا بمقال جريء وصادق، خاصة وسمعة الرجل المهنية تسبقه كواحد من قدامى الصحفيين في دار أخبار اليوم. من أول فقرة خذلني السيد القط حيث اتضح أنه يلوم الرئيس مبارك لسبب لم أكن أتوقعه، وأنّى لي أن أتوقعه؛ فهو يلوم الرئيس مبارك لأنه "السبب وراء حمى الحرية التي أطلقت العنان للأفواه التي ظلت مكممة لسنوات طويلة، من السبب وراء خروج كل الذين عاشوا في الجحور في الظلام وكان الهمس هو اللغة الوحيدة التي يعرفونها..

السبب هو الرئيس مبارك.. مبارك هو الذي أطلق العنان".هكذا وبلهجة حنونة يلوم القط الرئيس لأنه هو السبب في وجع الدماغ الذي تعيشه مصر بسبب هذه الحفنة من المعارضين، ولولا الملامة لقال له بلهجة حنونة "ماتعملش فينا كده تاني يا ريس.. كفاية عليهم كده". بالمناسبة حنان القط في مخاطبة الرئيس لم يمتد إلى حفنة المعارضين الذين وصفهم بأنهم "خرجوا من الجحور"، فئران يعني.. والأستاذ القط ليس لديه أي استعداد للتعايش مع الفئران، وشدة كراهيته لهم تجعله ينسى أن الرئيس مبارك عندما وصل إلى الحكم لم يكن هناك معارضون في الجحور، بل الحقيقة أنهم كانوا في السجون دفاعا عن رأيهم وحريتهم، ولم يكن أحد منهم يهمس بل كانوا يملأون العالم احتجاجًا بالشعر والفكر والفن ضد الظلم والفساد والتطبيع، ولا أدري أين كان الأستاذ القط وقتها، احتمال كان بايت بره فلم يعلم أن مصر عمرها لم يخيم عليها الهمس، حتى في أحلك لحظات الاستبداد في عهد عبد الناصر كان هناك مثقفون بالآلاف في السجون من كل التيارات الوطنية يدفعون ثمن أفكارهم وآرائهم. هذا عن الهمس أما عن حمى الحرية، إذا صح أن توصف الحرية بوصف كهذا، فأفهم أن يتحدث بمنطق المن والسلوى ـ الذي يعاير الشعب بهامش الحرية المتاح ـ رجل سلطة فارغ العقل، أما أن يصدر ذلك عن صحفي كبير لا قيمة لمهنته بدون الحرية.. الكاملة والحقيقية، فهذا ما لا أفهمه ولا أتصوره.

من حق الأستاذ القط أن يبدي إعجابه الشديد بالرئيس مبارك فهذا حقه الكامل الذي لا غبار عليه، وما على العاشق ملام، لكن الذي ليس من حقه أبدًا هو ذلك المعنى الذي أراد الأستاذ القط أن "يُسَرِّبه" وسط الكلام عندما قال "بريق الحرية قد يخدع خفافيش الظلام فتعتقد أن بإمكانها التحليق في ساعات النهار وتتناسى أن البريق قد يحرق من لا يدركون حقيقة التحول وحقيقة مشاعر الملايين من أبناء مصر". ما هذه اللغة العدوانية المخربشة يا أستاذ قط، هل تفكر في تولي منصب وزير الداخلية في التعديل الوزاري القادم، إن وزير الداخلية بعنفوان قدره لم يقف يومًا ما ليهدد المعارضين بكلام مثل هذا، كيف يستخدم كاتب التهديد بالحريق للتعامل مع المخالفين له في الرأي، ماذا يفعل إذن ضباط مصلحة السجون؟! لماذا لا تختلف مع المعارضين لك من غير أن تنصب لهم الشواية وتهددهم بالحريق؟ هل هذا ما تعلمته في مدرسة أخبار اليوم التي مات عميدها مصطفى أمين وهو يدافع عن الحرية ويدعو لها ويدعو على من ينال منها؟ هل خلطت بين كونك مندوبًا للأخبار في مجلس الوزراء وبين كونك وزيرًا لابد أن تدلي بتصريح تقمع فيه المعارضين وتحرقهم بالسيخ المحمي؟.

يا عزيزي القط. بِسْ.

إنت اللي هتغني الليلة يا كرم!

في مصر مصارع اسمه كرم جابر.. وكاتب اسمه كرم جبر.. يعمل الثاني مديرًا لتحرير "روز اليوسف" حيث يصارع كل أسبوع كل من يفكر أن يقول "بِم" لنظام الحكم.. ويجري ضم الأول إلى جبهة الاستمرار المؤيدة للرئيس مبارك لكي يصارع أهل الكفاية.. حصل كرم جابر على الميدالية الذهبية الأولمبية.. وكرم جبر "هيموت نفسه يا عيني" لكي يحصل على رئاسة التحرير.. بدأ كرم جابر حياته في المصارعة فتوة شوارع قبل أن يكتشفه المدرب السكندري يحيى كازاريان.. وبدأ كرم جبر حياته في الصحافة ناصريًا عتيدًا، و سيخا من أسياخ المعارضة ثم بدأ تحوله عن ذلك مع تحول ليبيا عن دعم المعارضة.. ليكتشفه المدرب محمد عبد المنعم ويصنع منه مدير كرة لروزا، ويشكل الاثنان بمساعدة خبير التدليك السياسي عبد الله كمال جهازًا فنيًا هبط بروزا من الممتاز إلى دوري المظاليم، وحولها من مجلة عاشت طيلة عمرها على يسار السلطة صوتا للمعارضة، ومكانًا للمختلفين والموهوبين إلى

نشرة أكثر رداءة من مجلة الشرطة تنافس آخر ساعة، وأكتوبر على ملعبهما المفضل.. صالونات الحلاقة.

منذ أن أنشأتها السيدة الجليلة فاطمة اليوسف ــ ست بس أرجل من ناس كتير والله ــ كانت "روز اليوسف" منبرًا لكل معارض أو مختلف فصارت على عهد جهاز عبد المنعم مخبرًا يشير بأصبع الاتهام إلى كل معارض أو مختلف، حتى تداولت أوساط الصحفيين نكتة تحذر أي صحفي أو سياسي معارض من المرور في شارع القصرالعيني لأن كاميرا روز اليوسف قد تصوره. عندما هبط السيد عبدالمنعم على المجلة حرمها من أن تهنأ باستمرار النجاح الذي عادت لتشهده على يد الكاتب عادل حمودة ــ مهما اختلفت معه لابد أن تحسب له ذلك ــ والذي أنهض روزا من سباتها العميق بمساعدة كتيبة من خيرة الموهوبين، وقتها كان غلاف روز اليوسف يحمل كل عدد على الأقل أربع أو خمس انفرادات صحفية، واليوم صار غلافها يحمل كل عدد أربع أو خمس تهديدات وتحذيرات من ماركة "حاضربكم بالديمقراطية".

بالطبع لا أفكر في أن أزايد على أحد في روزا وأطلب منه أن تكون روزا مجلة معارضة بينما الحكومة هي التي تتحمل خسائرها وتصبر على تدهورها المهني، لكن ما أريد أن أفهمه هي الحكومة ما بتغلطش خالص.. يعني ألا يوجد لدى روزا أي اهتمام سوى المحتقنين والمعارضين والمتشنجين والمتمولين، ألا يمكن أن تغلط روزا مرة لكي تعمل ملفًا عن

رئيس الحكومة فتقول لنا ما هي مميزاته وماهي سلبياته، ألا يمكن أن تقول لنا شيئا مختلفا عن وزير الإعلام أو وزير الخارجية أو وزير الداخلية أو أي وزير له حظوة أو سلطة، أو تفسر لنا لماذا إذا كان المحتقنون هم الذين خربوا مصر فلماذا لم تعمر مصر وهم بعيدون عن الحكم.

بالطبع لا نستغرب أن تتوجه روزا توجها مثل هذا في عهد كاتب مثل السيد محمد عبد المنعم ــ صاحب "ذئب في قرص الشمس" ــ فقد جاء صاحب الذئب إلى "روز اليوسف" للتعويض عن قلشه من منصبه كمستشار للرئاسة، أو لعل فشله في ذلك المنصب هو الذي أهله لكي يتولى مهمة شديدة الصعوبة مثل إفشال "روز اليوسف" العتيدة، وقد نجح في مهمته تمامًا إن شئت الحق. عبد المنعم كأي جندي مطيع يتعايش دوما بسلاسة مع كافة التقلبات والتحولات، عندما جاء إلى روزا كان يفتخر بمقابلاته مع السفير الأمريكي ويفرد لها الصفحات الطوال، لكن الآن صارت أمريكا كخة فصار لا بد أن يعطي الرجل لنا دروسًا في الوطنية ونبذ العمالة.عندما بدأ مشواره في المجلة أعلن عن فتح إعلامي جديد هو الطبعة العربية من روزا لكي تدخل المجلة إلى أسواق الخليج التي كانت ممنوعة فيها بسبب موقفها من التطرف والإرهاب والسيطرة النفطية، وهي مواقف كانت مشرفة ومكلفة، جاء عبد المنعم لينقلب عليها لعل أصحاب العقالات يرضون عن مجلته، لكنهم لم يرضوا ولم تكتمل السبوبة العربية فانقلب صاحب الذئب على العرب، ورفع

شعار مصر للمصريين والمصريين أهمه، والعرب هم الـذين أفسدوا مصر، وهو اكتشاف لم ينتبه إليه إلا بعد فشل مشـروع الطبعة العربية لروزا. (لاحظ هنا أن الحملة التي تتبناها روزا لتطهير مصر من إفساد العرب لا يشارك فيها عبد الله كمـال نائب رئيس تحرير المجلة، لأنه يعمل مديرًا لمكتـب صـحيفة "الرأي العام" الكويتية، وهو ما يتعارض مع السبوبة، لذلك فقد اكتفى بإدارة الحملة عن بعد).

كل هذا مفهوم من السيد عبد المنعم فهو في الأول والآخر متسق مع نفسه ومع تاريخه، خاصة وليس لديه أي إنجاز مهني يفتخر به كغيره من أبناء الأهرام، ليس لديه كتاب فيه الرمق أو نشاط أدبي أو فني أو حتى مشوار سياسي حافل، لذلك فـأبرز إنجازاته كان قيامه بسرمكة روز اليوسف وترخيمهـا ـ مـن الرخام والرخامة معا ـ ونقاشتها وتغيير كوالينها لكي لايدخلها إلا من يحصل على رضاه. عبد الله كمال مواقفه أيضا مفهومة فالذي يشتم كاتبا كان يعتبر نفسه ذراعه اليمين بمجرد تركـه لمنصبه لا يمكن أن نأخذ وقتًا في محاولة تصنيفه، لكن غيـر المفهوم هو ذلك التشنج الرهيب الذي يبديه السيد كرم جبر بحق أناس كانوا إلى وقت قريب يعتبرونه أستاذًا وزميلاً وصـاحب موقف معارض في وقت لم يكن نظام الحكـم قـد اسـتقطب معارضة شرسة كما هو الحال الآن، ما الذي كسبه كرم جبـر من ذلك، منصب مدير تحرير، بس، طب ده مش كتير، وحتى لو أصبح رئيس تحرير، فما الذي يمكن أن يضيفه ذلـك إلـى

مشواره المهني، طيب ما عبد العزيز خميس كان رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة، أين موقعه الآن ومن يتذكره وماذا بقـــي منه، ويمكن أن أذكر لكم أسماء عشرات رؤساء التحرير الذين عاشوا وماتوا في خدمة الموالسة دون أن يتركوا خلفهم مواقف مشرفة تذكر، ولن يبقى منهم إلا أسماءهم على شواهد قبورهم. بلاش أصبح كرم جبر مذيعا في قناة المحور(لينجح فيما فشل عبد الله كمال في تحقيقه برغم كل ما فعله، وكانت هتيجي مرة في قناة أخرى لكنه أخد صابونه لعيوب خلقية) طب وإيه يعني، ده حتى البرنامج سقط سقوطًا مروعًا، مع أنه استضاف فيه أهم ناس في مصر، والسبب أن الكاميرا لم تحب وجه الأستاذ كرم، لأن وجهه إذاعي، والكاميرا دي بالذات ليس فيها نجاح بالتزكية أو بتليفون من فوق، والحقيقة أنه ليس الكاميرا وحدها هي التي لم تحب الأستاذ كرم، المشاهدون أيضا لم يحبوه فلم يلمع أبدا، بينما لمعت أسماء زميلة للأستاذ كرم مثل إبراهيم عيسى ووائل الأبراشي وعمرو خفاجي ومجدي مهنا وسيد علي، بل وحتـــى محمود فوزي الذي يعتبر أقل وسامة وشعرا من كـــرم جبـــر، وبرغم ذلك صنع برنامجا ناجحا كرمته عليه قناة المحور بينما لم تقم بتكريم كرم الذي يبدو أنه سيأخذ الـــدائري فـــي الفتـــرة القادمة بعد فشله في المحور.

أخلص من كل هذا لأقول إنه يبدو أن فشل الأستاذ كـــرم في التقديم التلفزيوني جعله يفكر في تفجير موهبة جديدة لديـــه هي موهبة الغناء، فها هو يكتب في مقاله قـــائلا "هنـــاك مـــن

يحاول أن يقتل الغنوة والهمسة والفرحة لنكون شعبًا حزينًا.. لا يعرف كيف يفرح.. وإذا فرح لا يعرف كيف يعبر عن أفراحه.. نجحوا في منع المصريين من الغناء.. فلم نعد نغني لرؤسائنا كما كنا نفعل، ولا لأعيادنا الوطنية كما كنا نفعل".

فاجأني ما كتبه الأستاذ كرم فقد كنت أظن أنه بالفعل يغني علينا كل أسبوع هو وزملاؤه من فريق موسيقى الشرطة، لكنه طلع لسه كل ده مابيغنيش، طيب غني يا أستاذ كرم، حافض حاجة غير "وإحنا معاه لما شاء الله"، تعرف تقول لنا "كلمة أيوه جميلة بس الأجمل كلمة لأ"، طبعا هتقول مش حافضها، طيب ممكن تغني لنا "كفاية بقى تعذيب وشقا"، بلاش عشان فيها كفاية، طيب غني لنا حاجة لأيمن صفر علي، عشان ماتقولش إننا بنقتل الغنوة والهمسة والفرحة. لا وكمان بتقول إن هؤلاء المعارضين المحتقنين نجحوا في منع المصريين من الغناء، هو حضرتك عايش معانا في مصر، بتتفرج على ميلودي ومزيكا واسترايك، طب بلاش بتتفرج على التلفزيون المصري عشان لو سألك أنس الفقي في حتة تبقى تسمع له، هل هناك ما هو أكثر من الغناء للرؤساء والأعياد الوطنية، ربما لو توقفنا قليلا عن الغناء للرؤساء والأعياد الوطنية لا نصلح حالنا قليلا، ولعلك لو فتحت أي تلفزيون من تلفزيونات الشعوب غير الحزينة في أمريكا وأوروبا وبلاد الله الفرحانة لما وجدت مطربًا يغني للرئيس بوش "لا بيديني ولا يغديني ولا في

مصلحة بينه وبيني"، أو مطربة تتغزل في شـــيراك "وروحـــه السمحة أدب ومصالحة".

طبعا ما كتبته يا أستاذ كرم عن إعجابك الفائق الحد بأغنية "تبقى أنت أكيد في مصر" كشف لي أنه ليس فقط مواقفك التي تغيرت للأسوأ بل ذوقك أيضا، يعني لو كنـــت عبـــرت عـــن إعجابك بأغنية "مصر اللي بتضمنا" كنت تفهمت ذلك وتضامنت معك، فكلامها محترم وعليه القيمة، ولحنها بـــديع، وأصـــوات المطربين فيها ساحرة، أما أغنية "تبقى أنت أكيد في مصر" فهي اسكتش فكاهي مثالي كلامًا ولحنًا فشلت الصورة فـــي إنقـــاذه، فالمقطع الذي تستشهد به إعجابًا وتأثرًا والذي يقول "لما تلاقي الجد في ايده حفيده والناحية التانية السبحة بايده.. يبقى انت أكيد في مصر"، مقطع مثير للســـخرية لأن ســـعادتك لـــو رحـــت الصومال هتلاقي حفيد ماسك بايد جده ورايحين يصلوا العصر في جامع مقديشو، مش بس كده واحد صاحبي بيشـــتغل فـــي البحرين شاف الأغنية ونزل الشارع لقى جد رايح يصلي مـــع حفيده اتلخبط وافتكر نفسه رجع مصر. وبعدين إنت مش خايف تعجب بهذا المقطع الديني فينط لك سيد القمني يتهمك بأســـلمة مصر.

يا سيدي أنت معجب بأغنية بديعة لعبد الوهاب مثل "ليـــه ناح البلبل ليه فكرني بالوطن الغالي"، فكيف يستقيم أن تعجـــب بأغنية تقول كلاما أو "أي كلاما" بمعنى أصح مثل "لما تلاقـــي الكنيسة جوها دافي وأصيل.. وكل ركـــن فيهـــا شـــاهد علـــى

التاريخ.. هنا المسيح والعدرا عاشوا بالسنين.. ده كلام جرجس وعم نصر.. يبقى إنت أكيد في مصر.. لما تلاقي في جرحك ألف عين باكيه عليك وتلاقي الفرحة زغاريد وزينتها.. وبيتك البسيط يتحول قصر والخير جواه مالوش حصر.. يبقى أنت أكيد في مصر". لن أقول لك أين الخير اللي مالوش حصر في شعب يعاني من الفقر وغلاء الأسعار والعيا والكوا، سأقول لك أين الشعر في هذا الهراء، أين هي مواطن الجمال أو العلاء في أي كلام كهذا حتى تطالبنا بأن نغنيه. أليس أقرب إلى الواقع والصدق أن نغني على نفس النغمة ونفس القافية الكسيحة "لما تلاقي تلات ارباع الشعب عايش في أودة وصالة.. بينما أقل وزير عايش في قصر.. يبقى أنت اكيد.. أكيد في مصر.. لما تلاقي بنت زي الورد شايلة يافطة مكتوبة عليها كفاية وبلطجية الحزب الوطني بتعصر فيها عصر.. يبقى أنت أكيد.. أكيد في مصر.. لما تلاقي كتاب بتبيع نفسها بالرخيص.. وبتعامل القراء على أنهم بلاليص.. ويوالسوا موالسة مالهاش حصر.. يبقى أنت أكيد.. أكيد في مصر".

أعلم أنك ستنهال عليا أنت وفرقة موسيقى الشرطة هجومًا وتجريحًا لتتهموني بانعدام الوطنية وكراهية الوطن وعدم الوفاء للبلد اللي خيرها مغرقني وباشرب من نيلها، والحقيقة أولا أنني أشرب مياها معدنية بأمر الدكتور، ثانيا أنا لا أرى الشعب المصري شعبًا حزينًا برغم كل ما فعله من توالسون عليهم فيه، فهو يقاوم وسيقاوم بالبهجة والنكتة والسخرية والتأليس على كل

من يسوا ومايسواش، ثالثا أنا وملايين المصريين لا نغني للحكام ولا للرؤساء، نغني مع أم كلثوم ونحن نتمنى أن نعيش "كراما تحت ظل العلم لكي تحيا لنا مصرعزيزة في الأمم"، نغني مع عبد الحليم لبلدنا التي تغسل شعرها على الترعة من حشرات الشعر التي لبدت فيها من زمن النكسة، نغني مع محمد منير "باحبك وحبك شهادة ميلاد.. عيونك شواطي الأمل والمعاد". رابعا وأخيرا خير هذا البلد اللي مغرقنا كلنا نرده لها بأن نقاوم كل من يسيربها إلى الهلاك، كل من ينهب خيراتها، ويهدر كرامة أهلها، وينفرد بالقرار فيها. الوطنية هي أن نطلب لهذا الوطن الأصلح، ولا نرضى بما هو متاح، الوطنية هي ألا نقبل الأيادي ولا نلحس الأعتاب، الوطنية هي أن نعيش ونموت من أجل أن لا يبقى الحال على ما هو عليه، الوطنية هي أن نغني لمصر لا أن نغني على شعبها، الوطنية أن تغني مثل حافظ "وما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب" لكن حبك يغلبك فتغني "وقف الخلق ينظرون جميعا"، الوطنية أن تغني مع صلاح جاهين "باحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء، وأكرهها وألعن أبوها بعشق زي الداء"، لا أن تغني "نعم نعم نعم من جوه القلب نعم نعم نعم ونقولها بحب". حافضها طبعا الأغنية دي يا أستاذ كرم. وأكيد منعم كمان حافضها. بس بلاش منعم يغني الليلة. صوته صعب شوية. إنت اللي هتغني الليلة يا كرم.

تحابيش حبّوشة!

لايكف كتاب الصحف والمجلات القومية ـ وكلمة قومية هنا جايه من قَوَمان النِفس ـ عن إدهاشنا بفتوحات جديدة في فنون الموالسة كل يوم، آخر موضة ابتدعوها هي أن يبدأ الواحد منهم مقاله بمقدمة جريئة يقول فيها أنا لن أخاف من إعلان رأيي، وقبل أن تفرح يعاجلك بأنه لن يخاف من إعلان أن الرئيس مبارك هو الوحيد الذي يصلح لقيادة سفينة الوطن وعلى جميع فئران السفينة أن تسكت ـ أو تهرب لكي لاتغرق مع السفينة ـ .

آخر مستخدمي هذه الوصفة العجيبة للشجاعة كان محمد حبوشة مدير تحرير مجلة "الأهرام العربي" والذي كتب مقالا "محبّشا"عنوانه "وجه السياسة المصرية المضيء"، وقعت عيني عشوائيًا على سطر فيه يقول "وأقول بصراحة لا تنقصها الشجاعة.." ظننت به خيرا فقرأت المقال متحملاً ركاكة أسلوبه لأكتشف أن شجاعته الفتاكة هي في أن يصف جمال مبارك بأنه وجه السياسة المصرية المضيء، ويقول عنه في تحبيشته إنه

"يحمل بين جوانحه كثيرًا من وسائل المقاومة والتحدي والإصرار على الهدف في مصر بجعلها ترقى الى مستوى مملكة يحكمها الضمير". يا اااه، إيه الشجاعة دي كلها يا واد يا شجيع يا مخوفني، تصدق صعبانين عليا قوي عيالك وأسرتك، من سيعولهم بعد أن تدفع ثمن هذه الشجاعة، آسف نسيت أن لهم رب اسمه كريم ساعة المحن ستار، وأنك بالتأكيد صليت ركعتين استخارة قبل أن تكون شجاعًا إلى هذا الحد.

طبعا الأستاذ حبوشة ولأنه كاتب مقتدر ــ معاه فلوس يعني ــ كشف سرًا خطيرًا هو أن السيد جمال له جوانح، ماحدش يفتكره بشر عادي زينا، لا ده إنسان بجوانح وهو اللي هيطير بمصر فوق زي فرافيرو كده، وياريتها جوانح عادية، لا دي كمان محشية مقاومة وتحدي وإصرار، ياااه، دي خدت وقت طويل قوي في الحشو.حبوشة في آخر الجملة قال إن مصر تحتاج إلى جمال "لكي ترقى الى مستوى مملكة يحكمها الضمير"، آآه، هنا فلتت منك العملية ياسيد حبوشة قصدك تقول يعني أن مصر الآن لايحكمها الضمير، وتنتظر السيد جمال لكي يحكمها بالضمير، طيب إيه رأيك فعلا إنك شجاع جدا لأن وصفك للحكم الحالي بانعدام الضمير وصف جريء جدًا خاصة عندما يأتي من مدير تحرير مجلة حكومية وأنا أحييك عليه وسأتضامن معك تماما لو دفعت ثمن هذه الصراحة، فأعتى المعارضين لم يصفوا من يحكمون مصر بغياب الضمير صراحة. على أي حال ما دمت قد دخلت جوه الجوانح وشفت

حشوها (لدرجة أنك شبهت جمال ببطل فـيلم مملكـة الجنـة أورلاندو بلوم، وكويس إنك ماشبهتوش بصلاح الدين بـالمرة، إلا إذا كنت شايف إن بلوم أحسن من صلاح الدين، وده حقك) فمن الطبيعي أن تكتب قائلا إن "تبوؤ جمـال مبـارك للجنـة السياسات أدى الى سـرعة التـأثير الايجـابي فـي عمليـة الإصلاح... ومن هنا تصبح مهمـة نجاحـه فـي إدارة دفـة الإصلاح قريبة من التحقيق". ويبدو أنك بحكم اطلاعك علـى جوانح جمال أصبحت تعرف مصلحته أكثر منه بل وأكثر من والده، فالرجل قالها مرارا إنه لن يتبوأ، وسيادة الرئيس بنفسـه أعلن أن جمال لن يتبوأ، لكنك تصر على أن يتبوأ جمـال ولا تريده أن يكتفي بالتبوؤ بل ويقود الدفة كمان، يعني تدعو إلـى انقلاب صريح على قائد الدفة الحالي الذي لا يريد أن يتركهـا بعد. وليس هذا فقط فأنت تقولها صريحة ــ يا صـراحتك يـا أخي ــ أن جمال "سيكون فارسا صـالحا فـي أرض مصـر الخضراء التي تشتاق الى عقول واعية تستطيع أن تضخ المياه النقية في أنهارها ومجاريها العطشى". ياه الواحد جسمه قشعر من فرط صراحة حبوشة التي تدفقت كالمجاري العطشى فـي قلب المقال.. عايزين سبّاك عشان في حد بيتبوّأ هنا.

ياسيد حبوشة طبعا أنا لا أقول لا سمح الله أنك كتبت هـذا الهراء لأن هناك موسم تغييرات صحفية يتحـدثون عـن دور السيد جمال بجوانحه وأجنحته فيها، ولا أسـتطيع أن أطالبـك باتخاذ مواقف محترمة كالتي يتخذها زميلاك خيري رمضـان

وسيد علي في نفس المجلة، ولست ضد أن تطالب بتحويل مصر إلى مملكة يكون ملكها السيد جمال، فقط أسألك أين هو الضمير في وصفه بأنه"ذو تاريخ مضيئ"، متى حدث هذا التاريخ بالصلاة على النبي، وإذا كان هو ذاته لا يدعي أن لديه تاريخا أساسًا، بل يروج نفسه كممثل للمستقبل، إلا إذا كنت تقصد تاريخه الدراسي طبعا، فهذا أمر آخر. يا سيد حبّوشة لست ضد أن تكون عاشقًا للرجل، ومتطلعًا الى لعب دور في عهده، لكن حاول أن تلعبها صح، حبِّشها صح لعلك تكسب، وليتسق موقفك الصريح الذي يرى أن مصر الآن لا يحكمها الضمير، ولن ينقذها سوى الجوانح. سلام كبير قوي يا جدعان للجوانح.. الصدور لأ.. الوراك لأ.. الجوانح بس.. يعني الطيور الجارحة يعني ختم النسر بجوانحه.. يعني الجنح لأ.. الجنايات آه، وبوّأني يا جدع.

إدّي الواد لأبوه!

لأن مصر هتفضل غالية عليّا.. ولأنني عِشرة عمر مع حكم الرئيس مبارك فقد بدأ حكمه وأنا في السابعة من عمري وسينتهي عمري في أحسن أحوالي وسيادته في السابعة من فترات حكمه، ولأن العشرة لا تهون على ولاد الحلال أعلن أنه لا يرضيني أبدًا حالة التخبط التي يعيشها المخططون من أجل استمرار الرئيس على كرسي الحكم، خاصة بعد فشل جهود الحركة العشرينية من أجل الاستمرار وفضيحة حركة التقفيش من أجل الاستمرار، وانكشاف أن حركة الاستمرار من أجل الازدهار حركة قرعة كمؤسسها محمد عبعال، ولم يعد ينقص النظام المبارك إلا أن تحمل لنا الأيام القادمة مهزلة جديدة كانطلاق حركة سوق العبور من أجل استمرار بطل العبور.. رجل الخضروات الأول الذي أصبحت الصحراء على يده خضره.. وهي الحركة التي يمكن لا سمح الله أن ترفع شعارات مثل نعم من أجل مزيد من الفاصوليا ــ الخضراء طبعا لأن البيضا بتعمل انتفاخ ــ .. نعم من أجل مزيد من القرع

الوطني.. من أجل استمرار الخيار والفاقوس والكرنب.. نعم من أجل فكر الكرفس الذي تنعم به بلادنا ودوام البطاطا وجدرها اللي كان السبب.. نعم من أجل سبانخ أكثر معك ومع شوية لحمة مفرومة مايضرش ودمعة للبامية من دموع المعتقلين في السجون..من أجل كوسة تستمر وتتوغل وتنتشر.. نعم من أجل توريث البقدونس باعتبار أن رائحته الزكية من ريحة الحبايب.. نعم لمزيد من تشريعات البتنجان.. نعم من أجل أزهى عصور اللوبيا أم عنين سودا، فاكريني باهزر، طب والله ليس بعيدا أن تشهدوا حركة خضراء كهذه اليوم أو غدا، فكل شيئ جايز في ظل حكم العجايز.

ولكي لاتصل الأمور إلى هذا الحد المؤسف ومساهمة مني في ضمان مستقبل الأجيال القادمة أهدي هذا الإقتراح الموالس الذي يمكن أن يكون أساسا لحملة الرئيس مبارك الدعائية القادمة خاصة أنه اقتراح غنائي بالتأكيد سيستفيد منه السيد شريف صبري مخرج هذه الحملة وهو رجل أذنه موسيقية ومتعود يخرج حملات روبي على السقفة والقصعة والعجلة وعالهوبة ياولاد.

الاقتراح ببساطة يقضي بالعودة إلى المنبع، يعني بدلاً من لجوء سدنة الحزب الوطني إلى شعراء فشلة ومديوكر لكتابة أغاني بلهاء عن إنجازات الرئيس مبارك، يمكن لهم ببعض الفهلوة والفكاكة الاستعانة بتراث الغناء العربي، بعد دفع الحقوق للورثة، يعني تخيلوا مثلا صور لشوية كباري وأنفاق

وجماهير محبة ورئيس سعيد بشعبه ومحطات صرف صحي مش سعيدة بالشعب، وكل ده نازل على خلفيته أم كلثوم وهي تغني "إنت النعيم والهنا.. إن فات سنة ورا سنة.. حبك شباب على طول". بلاش تخيل صور للرئيس مع أبنائه العمال أو إخوانه أعضاء الحزب الوطني وهم يهتفون حتى تطق عروقهم وفي الخلفية تغني أم كلثوم "قربك نعيم الروح ونظرتك سحر وإلهام"، أو تخيلوا "كليب" يجمع جميع رؤساء تحرير الصحف القومية وهم يقومون بأداء تعبيري راقص على خلفية أم كلثوم وهي تغني "زرعت في ظل ودادي غصن الأمل وانت رويته وكل شيء في الدنيا دي وافق هواك أنا حبيته ومهما شفت جمال".. ولا بلاش الأغنية دي أحسن جمال نفسه يزعل، يعني ممكن نقوم بتحوير كلمات بعض الأغاني الشهيرة للوفاء بمتطلبات المرحلة مثل أغنية "إنت النعيم والامل.. إنت الهلال والجمل.. ومصر إيه غير دول".

مشكلة هذا الاقتراح أن حركة المعارضة الواعية النميسة لن تهني الحزب الوطني عليه، وستلجأ لمحاربته بنفس سلاحه الكلثومي فتستدعي أغنيات مثل يا ظالمني أو أعطني حريتي أطلق يديا أو أنا وانت ظلمنا الشعب أو كفاية بقى تعذيب وشقا أو ثورة الشك أو تلجأ للتصعيد وتستعين بذلك البيت الخطير من رائعة حديث الروح الذي يقول "لابد للمكبوت من فيضان". وساعتها لا تستبعدوا لو أصدرت الحكومة قرارا بإضافة مادة لقانون انتخاب الرئيس تمنع أي مرشح معارض من استخدام أم

كلثوم لأغراض سياسية، لأن أم كلثوم بتاعة مصر، وبما أن مصر شخصيًا هي مصر مبارك، فبالتالي هو وحده الذي يحق له أن يستخدمها في الدعاية الانتخابية.

لكن المعارضين "الرُّخما" لن يغلبوا وسيخرجون السلاح الأكثر فتكا ألا وهو سلاح مطرب الشعب أحمد عدوية الذي أنفق بعض المثقفين ردحًا طويلاً من الزمن في لعن سنسفيل أغانيه واتهامه بإفساد ذوق الجمهور، وآن الأوان ليعيدوا اكتشاف عدوية ليس فقط كصوت ساحر كما طالب بذلك الصديق مؤمن المحمدي بل كمطرب سياسي شرس في معارضته.

لست أسخر هنا من عدوية أو ألصق به ماليس فيه، فأنا من عشاقه، فضلاً عن أن عدوية هو ذاته الذي اعترف بعلاقته الوثيقة بالسياسة عندما أوضح أن رائعته "سيب وأنا أسيب" لم تكن خناقة عاطفية بين اثنين تحت كوفرتة، بل كانت تعبيرًا عن بداية عصر مفاوضات السلام، يومها سخر الجميع منه وقالوا إنه كان "مبسوط حبتين" عندما أدلى بتصريح كهذا. لكنهم الآن مطالبون باعتذار حقيقي لعدوية لأنه لم يعالج فقط قضية الأرض مقابل السلام، بل وعالج قضايا سياسية لم يجرؤ أي مطرب على الاقتراب منها، يعني مثلا هل هناك من عالج قضية الصراع الطبقي أفضل من عدوية في أغنيته "يا أهل الله اللي فوق ماتحنوا على اللي تحت"، بلاش هل هناك من صرخ ضد استهتار الحاكم وعبثه بالمواطن بأعلى عقيرته "هو فاكرنا

إيه مش ماليين عينيه.. روح قول له حصل إيه كله على كله".
هل هناك من عالج قضية تخدير الشعب لكي يستسلم لحكامه مثلما فعلت أغنية "بنج بنج عجيب ياواد يابنج"، أوسرقة أموال الشعب في عز الحديث عن الرخاء الاقتصادي في أغنية "أديك تقول ماخدتش وإن خدت ماتدينيش".

كل هذا كوم وموقف عدوية الصارخ الواضح من التوريث كوم آخر، هاتوا لي مطربا غيره سبق عصره في التنبيه إلى سيناريو التوريث الجاري حاليا في مصر، وذلك في رائعته الخالدة التي أنقل نص كلماتها "عم ياصاحب الجمال ارحمني ده أنا ليلي طال.. شوف لي جمال على قد الحال.. يعوض صبري اللي طال.. السح الدح امبو.. إدي الواد لأبوه.. يا عيني الواد بيعيط.. صعبان عليا الواد.. الواد عطشان اسقوه.. ما تشيلوا الواد من الأرض.. الواد لسه في اللجنة ــ قصدي في اللفة ــ .. عاملين له زيطة وزفة.. وده خلى العقل إتحير.. إكم انه شبه أبوه".

الحقوا اسمعوا عدوية قبل ما شرايطه تتصادر وقبل ماكركشنجي يدبح شعبه.

الظهير الأيسر للمجرمين

لم أكن أتخيل أن باب أوسكار الموالسة الذي أنشره في هذه الصفحة سيحظى بكل هذه الشعبية المذهلة، ولا أن غيابه لأسبوع سيثير كل هذا الاحتجاج الذي تلقيته هاتفيًا وإيميليًا وفيس توفيسيًا ــ وجهًا لوجه يعني ــ من عدد كبير من القراء، لم أكن أتخيل أن الناس "مبقوقة" ومكبوتة وساخطة إلى هذا الحد من أولئك الذين حولوا أقلامهم إلى مسّاحات أحذية ومناصبهم إلى مطايا وصحفهم إلى مواقف أجرة تتسع لأكبر عدد من الركاب. لقد أضحكني كثيرا ما قالته لي الصديقة الدكتورة هبة رؤوف عن أن مواطنا بسيط الحال يحب الدستور ويتابعها بشغف قال لها مفسرًا سبب غياب الباب أنه يعتقد أن الحكومة منعتني من كتابة أوسكار الموالسة، ولست أتهم هذا الرجل الجميل بقصر النظر لأنه كان من الأولى أن يتم منع أشياء أقسى وأنكى من أوسكار الموالسة، فقد فهمت منطقه البسيط الفطري الذي يرى أن الحكومة يمكن أن تسمح بشتيمتها هي شخصيا لكنها يمكن أن تتدخل لحماية من يوالسون لها وعليها.

بالطبع ليس في الأمر منعٍ ــ حتى الآن ــ وكل ما في الأمــر أنني لم أجد موقفًا صارخًا وفجًا في الموالسة يستحق الحصول على الأوسكار، فكل ما تم تقديمه من فنون الموالسة التي وقعت عيني عليها خلال الأيام الماضية يدخل تحــت بنــد الطبيعــي العادي، اللي هو بتاع كل يوم، ليس فيه لمسة مبتكرة أو حركة حرفنة، ولا يعقل أن ننخفض بمستوى الأوسكار على الأقل لكي لا يغضب الموالسون الحريفة الذين حصلوا عليه، هتقولوا لــي طيب ما تديه لسمير رجب، أقولكو إيه بس، الأوســكار مــش عايز يروح له، وهدد بأنه لو أجبرناه على أن يذهب إليه هيولع في روحه بجاز ويعمل لنا "فتيحة". وربما كان هذا الانخفــاض في منسوب الموالسة متماشيًا مع التوجيهات الحكومية بلم الليلة قليلاً، وإزالة لافتات الموالسة "البباوية" ــ نسبة إلــى الــدكاترة نبيل لوقا بباوي ــ والماماوية من الشوارع لغاية مــا ســحابة كوندي السوداء التي تزور البلاد تعدي على خير.

بالمناسبة أحب أن أقول هنا إن أفضل رد فعل تلقيته على هذا الباب جاءني من صديق يكتب في صحيفة قومية قال لــي إنه كتب أثناء هوجة الحديث عن التغييرات الصــحفية مقــالاً موالسًا من الطراز الأول، لكنه في آخر لحظة قرر ألا يدفع به للنشر خوفًا من أوسكار الموالسة وعلشان ما نخسرش بعــض بعد كل هذه السنين الطويلة من الصداقة، بالطبع لست أعتقد أن موقف صديقي هذا جاء خوفًا من قلمي بقدر مــا صــدر عــن شخص ينبع من أصل نبيل ومحتد كريم حدثته نفسه بالموالسة

لكن أصله الطيب غلب عليه، ولست أعتقد أن ما أكتبه أنــا أو غيري يمكن أن يحدث نفس رد الفعل هذا مع الذين مرّدوا على النفاق ـــ حسب التعبير القرآني البديع ـــ ولست محتاجًــا لأن أذكرك بأسمائهم فأنت تعلمهم والله يعلمهم ويأخــذهم إن شــاء.

ولعل ذات الأصل النبيل هو الذي دفع الأستاذين رشاد كامــل وممتاز القط للاتصال بي عقب أن كتبت عنهما منتقدًا مواقــف لهما دون أن أقوم بتجريحهما، ومقدرًا فيما كتبته لكل ما لهمــا من إنجاز مهني، ولم تمنعهما قسوة النقد من التعبير عن صادق المودة وعن عدم غضبهم من ما كتبته برغم قسوته فــي النقــد مبرهنين على إيمانهما الحقيقي بالديمقراطية والحرية وفضــيلة الحوار، ومتذكرين أنهما كتاب وليسوا كتبة تقــارير يمكــن أن يقوموا بإبلاغ السلطات عمن يختلف معهما في الرأي، بــل إن الأستاذ ممتاز القط قال لي إن فقرة تم اختصارها مــن مقالــه ساهمت في إظهار احترامه للرأي الآخر، وإنه يحترم رأيي لأنه يثق في وطنيتي، وإن عليّ أن أحترم رأيه وأثق في أن ما يكتبه هو رأيه الذي لا يهدف من ورائه إلى أي منفعة أو مصــلحة، قبل أن يختم مكالمته لي ضاحكا "كنت عايز أقولــك فــي أول المكالمة نو قبل ما أعرفك بنفسي"، مشيرًا بروح راقيــة إلــى مداعبتي له في المقال الذي ختمته بكلمة "بس".

ولو كان كل من أكتب عنهم هنا يمتلكون احتــرام رشــاد كامل وأريحية ممتاز القط لصدقت فعلاً أن مــا يكتبونــه مــن مواقف موالسة نابع من إيمانهم الحقيقي بما يكتبونه لكن الحال

ليس كذلك، فأحد هؤلاء الموالسين لم يكتف بوصفي بـــالمراهق بل أخذ يشن عليّ حملة شعواء عقب ما كتبته عنه ويرسل إليّ تهديدات سافرة ومبطنة، ولأجل الحظ والنصيب وببركة دعـــاء الوالدين تم ضبطه في مطار دولة خليجية بعدها بأيـــام وهـــو يحمل كمية من الخمور يحاول تهريبها إلى داخل البلاد، يعنـــي ياريته حصّل مراهق كمان، على الأقل أنا عمري ما اتمســـكت بقزايز خمرة، ده أنا حتى ماباشربش بيبسي، باشـــرب دايـــت بيبسي. موالس صغير عاش في دور أنه وزير داخلية فأرســـل اليّ مع زملائي تهديدات صريحة بأنه هيخرب بيتي وهيطلـــع عين اللي خلفوني، وجاءه العقاب الإلهي بعدها بيوم عندما قـــام زميله في المجلة بضربه بالشلوت في منطقـــة حساســـة فـــي طرقات المؤسسة العريقة، ونظرا لأن زميله رجله تقيلة حبتين يقال إنه أصيب بارتجاج في البواسير، ربما يمنعه في الفتـــرة القادمة من الجلوس على كرسي رئيس التحرير الـــذي يصـــبو إليه.

ولعله من المهم هنا أن أؤكد على أن باب أوسكار الموالسة ليس مزايدة على أحد وليس محاولة لشن إرهاب صحفي يمنـــع الناس من أن يقولوا آراءهم أو يؤيدوا الحكم الحالي، فليس ذلك من الحرية في شيء، فقط كل ما نطلبه أن يحترم مـــن يكتـــب عقل قارئه ويحترم نفسه وقلمه ويكتب ما يريد أن يكتبه وعينه على ما يؤمن به لا على منصب أو ترقية أو مكســـب مـــادي. عندها سنتحاور معه باحترام وتقدير، أما إذا فعل غيـــر ذلـــك

واتخذنا نحن معاشر القراء كوبري للوصول إلـــى منصـــب أو غرض فليس أمامنا سوى أن نسلقه بألسنة حداد هي كــل مــا نحتكم عليه وعقول باحثة عن الحق هي كل ما نحتكم إليه.

وربما كان هذا الحديث مناسبة للإجابة على أسئلة بعــض القراء المحبين وبعض أهلي وأصدقائي عن ما الــذي ســيعود عليّ من وراء الكتابة عن هذا الموالس أو ذلــك المتزلــف أو ذيّاك المسئول، فالمفروض حسب رأيهم أنني وجــدت لنفســي طريقًا آمنًا طريًا سالكًا في الحياة أعيش منه أحلى عيشة وأربي العيال وأنعم بخيرات مصر وأسير آمنا في كباريها ومحاورها، ويرى هؤلاء ــ بعضهم عن حب وبعضهم عن كره ــ أنــه لا طائل من أن أعيش في دور البطل الراغب في إصلاح الكــون لأن الكون لن ينصلح حاله وما أقوم به ليس ســوى أذان فــي مالطة ــ على أساسٍ إني "بلالٍ بقى وكده"، ولكل هؤلاء أقولها وأعيدها، لست بطلاً ولا مناضلاً ولن أكون، أنا فقط أصدق ما تقوله الحكومة إن هناك حرية وأنا أمارس هــذه الحريــة دون خوف مؤمنًا أن توسيع هامش الحرية ليس بالتمني ولكن يؤخذ غلابا، كما أنني لست واعظًا ولا قديسًا ولا أدعي أننــي علــى حق، والآخرون على باطل، ولي أخطــائي وهفــواتي، ربمــا يختلف البعض مع ما أكتبه من أفلام أو مقالات أو قصص، هذا حقهم، لكن ما يشرفني أن أحدًا فيهم لا يستطيع أن يــذكر لــي يومًا أو حرفًا كنت فيه موالسًا أو منافقًا أو مؤيدًا لفساد أو ظلم أو قهر، وإذا تم اعتبار ما أكتبه أذانًا في مالطة، فيكفينــي أنــه

أذان وليس اسمه إيه، عارفينه طبعا اللــي بينــدهو الصــحافة عشانه، أيوه هوه ده. أما بخصوص صون النعمة التي أصبحت فيها فيعلم الله أنني لست أكتب ما أكتبه إلا تقديرًا وعرفانًا بنعمة الله عليا التي نقلتني من شخص لا يجد ما يأكله حرفيًا فعليًــا، وليس مبالغة إلى ما أنا فيه من خير وفضل وعدل، هذه النعمة هي التي تدفعني لأكتب ما أكتبه غير مبال بأحد أو هيّاب مــن خطر، متمثلا مقولة ذلك الشريف الجليل البطل الثائر مؤمن آل فرعون الذي قال شاكرًا حامدًا لربه "رب بما أنعمت عليّ فلــن أكون ظهيرًا للمجرمين"، ومؤمنًا أن أكثر ما هزم هــذه الأمــة التي كاااانت خير أمة أخرجت للناس أن كثيرًا ممن أنعــم الله عليهم من مثقفيها وأفراد نخبتها يتطوعون للعب في صــفوف المجرمين في مراكز الظهير الأيمن والأيسر وحامل الراية بل وعامل غرفة الملابس إن لزم الأمر. هؤلاء الذين أتــوا مــن أصول متواضعة ومن بيوت فقيرة وسكنوا فــي شــقق فــوق السطوح واستلفوا ثمن اللقمة وخمّسوا السجاير لكــنهم مــا إن يتمكنون وتحل عليهم نعم الله حتى ينسوا كل ما كان يــربطهم بماضيهم وأفكارهم وأصولهم وناسهم وجذورهم، ويبدأون فــي الدفاع عن مصالح رجال الأعمال وعلية القوم أووطيتها بمعنى أصح ويطالبون بتحويل مصر إلى ملكية يستمر مبارك رئيسًــا فيها كيف ومتى شاء، ويرث جمال فيها أبــاه كيفمــا يشــاء. وهؤلاء الذين يتوهمون أن ما يفعلونه هو مايديم عليهم النعمــة التي أصبحوا يرفلون فيها، ينسون أن شكر النعمة يكون بقــول

الحق ومحاربة الباطل والإفك والعهر، وأن الذي أغناك يمكن إذا لم تصن نعمته أن يفقرك أو يصيبك بمرض أو محنة أو كارثة بين غمضة عين وانتباهتها، وساعتها لن ينفعك الولس ولن يفعل لك المنصب شيئًا ولن تصرف فلوسك إلا على العلاج والدكاترة، وإذا كنت ستخاف على حياتك ومصالحك وستسعى للحفاظ عليها بما وسعك من موالسة وما تيسر لك من مداهنة، فماذا ستفعل إذا اكتسح بلدك لاقدر الله إعصار غامض أو تزحلقت على السلم أو وقع عليك تكييف أو أكلت فاكهة مرشوشة مبيدات أو زورت بنواية مشمش أو وقعت بيك البلكونة أو طبيت ساكت، ساعتها يا أيها الموالس ماذا ستقول لله عزوجل إذا سألك عن السبب الذي جعلك تنكر نعمته وتمارس تلك الرذيلة التي بح صوت جماهير الكورة وهي تطالب الصحافة بأن تحضر لكي تراها، فإذا ببعض أقلام الصحافة تمارسها، حتى بات واجبًا تعديل الهتاف الشهير ليصبح "اسمه إيه فين.. الصحافة أهيه".

وربما بعد هذه الموعظة للموالس ــ الذي لن يتعظ ــ لا أجد ما أختم به حديثي هذا سوى قول الشيخ الشعراوي "وإلى لقاء آخر إن شاء الله". إخراج عبد النعيم شمروخ.

رجب.. حوش محيي عني.. رجب!

هل أتاك نبأ الدكتور محيي الدين رجب البنا؟. ياله من اسم جليل يبدو لك خماسيًا وما هو بخماسي، إنه ثلاثي كفاكم الله وأطفالكم شر الثلاثي. كان بودي أن أعرفكم على صاحب هذا الاسم وعلى نوع الدكتوراه التي حصل عليها، هل هو دكتور اقتصاد أم دكتور باطنة أم طبيب كبدة ومخ وأعصاب؟، لكنني للأمانة لا أعرف عنه شيئًا سوى أنه ابن الأستاذ رجب البنا رئيس مجلس إدارة دار المعارف ورئيس تحرير أكتوبر — المجلة لا الكوبري.. فهناك مجلة اسمها أكتوبر لمن ليس لديه "معارف" من القراء بذلك —.

لا أريد أحدًا يتطاول فيقول إنه لا يعرف أساسًا من هو رجب البنا، فالأستاذ رجب كاتب مطبوع له العديد من الكتب التي صدرت عن دار المعارف بعد أن تولاها إلى رحمة الله، وهو كما يبدو أب حنون يطبق مبادئ التربية الحديثة ويقدس الحياة الأسرية، فقد اكتشف على ما يبدو ولع ابنه محيي بالكتابة فقرر أن يقدمه إلى لفيف القراء، مشفقًا على ابنه من عناء

الغربة في صحف ومجلات بعيدة عن نظر باباه، وخوفًا عليه من أن يقع في أيدي غير صديقة أو يكتب بره الدار دار المعارف ويبهدل هدومه، ولذلك فقد اختار لمحيي أن يمارس هواية الكتابة في مجلة باباه، ولأنه لاحياء في العلم ولا في الصحافة القومية فقد قرر بابا رجب أن يفرد لنور عينه محيي الدين ـ نفسي أعرف بيدلعوه يقولوا له إيه ـ صفحة كاملة تتصدرها صورة محيي مصحوبة بلقبه واسمه ـ الثلاثي برضه ـ ببنط يَحفَى الصحفيون المكافحون في الصحف القومية لكي يحصلوا عليه، ولكي يبرهن بابا رجب على تماسك ودفء العائلة الرجبية فقد أصر على أن لا يبعد مقال النجل محيي كثيرًا عن سلسلة المقالات التي يكتبها بابا رجب والتي تبلغ أحيانًا العشرة صفحات، وما دون ذلك ويختص بها صدر المجلة تاركًا الورك لمحيي الدين، لتصبح مجلة أكتوبر مجلة الأسرة المثالية التي لا ينقصها إلا أن يكتب على ترويستها مجلة أكتوبر لصاحبها رجب البنا وولده محيي الدين.

مبدئيًا أعترف لكم أنني ظللت سنين طويلة أحرم نفسي من النهل من مورد مجلة أكتوبر العذب، متبعًا نصيحة الدكتور بتوخي الحذر فيما أنهله خوفًا من مشاكل الكلى، لكنني وجدت نفسي مشدودًا لمتابعتها بعد أن قرأت لأكثر من مرة ما يكتبه صديقنا خالد السرجاني عنها، ظانًا أن خالد يهزل أو يبالغ أو يهول، لأن ما يكتبه عن أكتوبر لم يكن ينقصه سوى أن ينشر في باب "صدق أو لا تصدق" أو يذاع في برنامج "سلوكيات"

ـ رحمه الله ـ ، لكنني بعد أن بدأت أتابع المجلة أدركت أن خالد رجل صحته حلوة ـ بسبب أنه لم يتزوج بعد ـ فلولا هذه الصحة لما امتلك القدرة على قراءة ما يكتبه رجب ومحيي بانتظام ولا القدرة على تصفح المجلة بأكملها كل أسبوع وهو عناء لا يطيقه إلا العصبة أولو القوة من الرجال، وجرب بنفسك لو أحببت، لكن يستحسن ألا تفعل ذلك إلا بعد استشارة الطبيب، وعمل تحليل سكر صايم وعدم أكل البيض والسمك.

في الأسبوع قبل الماضي نشر خالد مقالاً ناريًا عن مجلة أكتوبر دفعني للمخاطرة بصحتي والعودة لقراءة المجلة لمعرفة كيف سترد على خالد، ولم تخيب المجلة ظني فقد نشرت في افتتاحيتها الموقعة باسم المحرر ـ أكتوبر بقى ـ مقالاً عنوانه انفجار ماسورة الصرف الصحفي خصصته لنشر رسالة جاءت إلى المجلة من أستاذ جامعي وصفته بأنه يعكس رد فعل المثقفين على ما ينشر هذه الأيام، الغريب أن المجلة لم تنشر اسم الأستاذ الجامعي كأنه عيب أو سبة، مما دفع نفسي الأمارة بالسوء إلى أن تقول إن هذا الجامعي ليس سوى الدكتور محيي ذات نفسه، فقد قام محيي في مقاله الذي لطع فيه صورته الكريمة بالبدلة والكرافتة بالكتابة أيضا في ذات الموضوع، متهمًا الصحف التي لم يسمها شجاعة منه بتجاوز الخطوط الحمراء، وقائلا بمنتهى الرقي والعفة "الخط الأحمر هو الكتابة باحترام والتعبير بمسئولية، الخط الأحمر هو قيمة القلم ومايسطرون". الله الله يا شيخ محيي الدين.. وأيم الله لقد اقشعر

بدني من هول ما كتبته، حتى أنني هممت بأن أكتب نداء إلى المسئولين بأن يستضيفوك في برنامج "حديث الروح" تسعة إلا خمسة، لكنني تذكرت ما قرأته في افتتاحية المجلة فزالت قشعريرتي وأدركت أنك كان ينبغي أولاً أن تعظ باباك وتنهاه عن استخدام ألفاظ لا تليق في الرد على من ينتقدونه، يعني السيد باباك يقول في الإفتتاحية التي هي مسئوليته طبقًا للقواعد الصحفية "انفجرت ماسورة الصرف الصحفي في حارة متفرعة من الشارع الخلفي للصحافة المصرية، وقد امتلأت الحارة الصفراء بالقاذورات والبذاءات وانتشرت فيها الروائح الكريهة ويشكو الناس من تجمع أسراب الذباب والفئران التي أصبحت تملأ الحارة ويخشى الكثيرون انتشار الأوبئة والأمراض الجلدية بسبب تكاثر الحشرات الزاحفة والطائرة حول صفائح القمامة... وقد حمّلت وزارة الإسكان المجلس الأعلى للصحافة المسئولية لأنه هو الذي صدق على إصدار الصحف الصفراء الجديدة دون الكشف عن سلامة شبكات الصرف الصحفي، ووزارة الصحة تطمئن الجماهير أن الفئران والحشرات التي تشغي بها حارة الصحافة الصفراء سوف تقضي على بعضها قريبا". لقد نسب باباك كل هذا الكلام إلى من وصفه بأنه أستاذ جامعي لم يذكر اسمه، ولا أعتقد أن أستاذًا جامعيًا يمكن أن يستخدم مثل هذه الألفاظ إلا إذا كان أستاذًا في هندسة البيئي، وأغلب الظن أن من كتب كلاما كهذا كان يجلس مطلاً على خرابة عامرة بما لا يخفى على أدبك الجم، وكنت أتمنى أن تنصح والدك الذي

يفتي كل أسبوع في شئون الإسلام أن الإسلام ينهى المسلم عن وصف من يختلفون معه في الرأي بأنهم حشرات أو فئران ووصف ما يكتبونه بأنه قاذورات، وأن هؤلاء الذين يشتمهم هكذا مختبئا كأسد هصور خلف اسم مستعار لم يقوموا بوصفه بلفظ واحد من الألفاظ التي استخدمها، هم فقط استخدموا حقهم كمواطنين دافعي ضرائب في أن يسألوا والدك الذي يقعد على تل مؤسسة قومية بأي حق يقوم باستكتابك بهذا الشكل المستفز، خاصة ولا يخفى عليك أن كل ما تكتبه لم يكن ليصلح للنشر في أي مكان "صحران كان أو بستان"، اللهم إلا إذا كان مجلة الحائط التي تعلقونها في فيلا الأسرة في الساحل، هم سألوا أيضًا عن قيمة المكافأة التي تتلقاها مقابل ما تكتبه من مقالات "عميكة" وبلغ من شدة عمقها أنها عدت البراميل، وسألوا عن نسبة تلك المكافأة قياسًا بما يحصل عليه المحررون الآخرون سواء كانوا أكبر أو أصغر منك، هم سألوا أيضًا عن مدى لياقة أن يُصَدِّر السيد "الباباك" معرض دار المعارف بغلاف كتابه الذي نتحداه أن ينشر رقم توزيعه بينما الدار عامرة بذخائر الفكر العربي، وكان الأولى أن يتصدرها غلاف للشيخ محمود أبو رية أو طه حسين أو الشيخ عبد الحليم محمود أو حسين مؤنس أو شوقي ضيف، ولعلك لا تختلف معي أن ظفر أي من هؤلاء برقبة إسهام السيد الوالد في الفكر العربي، وكان الأولى بالسيد الباباك أن يرد على أسئلة هؤلاء بقوة وحسم لو كان واثقا من نفسه ومما يفعل في الدار وبالدار، بدلاً من أن يلجأ لإطلاق

شتائم تثبت تنوع قاموسه اللفظي. بالطبع أتمنى ألا يكون هو كاتب هذا الكلام وأن يعلن تبرأه منه في العدد القادم، إذا كان عنده قاموس لفظي أكثر رقيًا.

على أي حال لا تظن عزيزي القارئ أن السيد رجب قد اكتفى بهذه الافتتاحية فائحة الرائحة في الرد على من غرّتهم كتابته المستفيضة عن الفكر الإسلامي فأجرموا وقرروا أن يقوّموه بحد أقلامهم ويسألوه من أين لك هذا ويقولوا له أقل بكثير مما قاله ذلك الصحابي لسيدنا معاوية "إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولكنه مال الله"، فهو لم يكتف بوصفهم بالفئران والحشرات ولاباستعداء المجلس الأعلى للصحافة عليهم لإغلاق صحفهم، بل قرر أن يطلق عليهم الحيلة روح قلب بابا من جوه محيي الدين الذي انبرى في مقاله الذي اختار له عنوان الخطوط الحمراء ليقدم بلاغا أمنيًا سافرًا مخزيًا في حق كل كاتب معارض في مصر قال فيه "ظن هؤلاء أن الخطوط الحمراء تحيط بنقد شخوص كبار المسئولين بالدولة والمجتمع وأسرهم وعائلاتهم، لذا انطلق كثير منهم في حملة شعواء يوجهون أسوأ القول وأقله احترامًا لرؤوس الدولة ومعهم الكبار في الإعلام والجامعة والقضاء وزوجاتهم وأبنائهم وعائلاتهم".

أرأيتم يا سادة كيف يريد محيي البنا أن يميتكم ويهدّكم، إنه لا يريدكم فقط أن تتوقفوا عن نقد كبار المسئولين بالدولة بل ونقد رجال الإعلام والجامعة والقضاء أيضًا، يعني كبيركم تنقدوا مذيعة في التلفزيون على تسريحة شعرها أو رئيس حي على رخصة تعلية عمارة، أما أن تتجرأوا وتخرجوا على القائمة

التي وضعها لكم محيي وباباه فإن مصيركم هـو أن توصـفوا بأنكم فئران وحشرات، وأن يكتب عنكم محيي هذا البلاغ الذي يذكرك ببلاغات الموظفين الكيدية التي يكتبونها فـي بعضـهم وينسبون لبعضهم فيها أقذع التهم وأفظعها، فمحيي يتحدث عن حملات شعواء تستهدف شخوص الأسر والعـائلات والأبنـاء لكبار رؤوس الدولة في الإعلام والجامعة والقضـاء، ولسـت أدري على حد علمي وأنا أقرأ كل صحف ومجلات مصـر أن أحدًا قام بنقد شخصي لا يليق لزوجة أو ابنة أو ابن، وكل مـا ينشر عن فساد زوجة هذا المسئول أو ابن ذلك الصحفي الكبير أو أولاد ذلك البرلماني الخطير ينشر مصـحوبا بالمسـتندات والوثائق، وهو نشر لا يتدخل في الحياة الشخصية مطلقًـا بـل يتدخل في مدى الاعتداء على المال العام ونهبه وتسـليكه فـي الفورتي فورتي إلى بنوك سويسرا. ويبدو أن خوف محيي الدين من مطالبة الزميل خالد السرجاني بمحاسبته هو وأبيه ومعرفة حدود دوره واختصاصاته في مجلة هي ملك للشعب ومن حق أي فرد في الشعب أن يطالب بمحاسبتها أعمته عـن حقـائق كثيرة فأخذ يتخبط يمينًا وشمالاً، حتى أنه قال في فقرة من مقاله عن هؤلاء الذين يهاجمهم أن "غالبية الناس لا يعرفون ما الذي أفادهم وأبناءهم من جراء حملات القذف والتشهير فـي حـق رجال الدولة ورجال الأعمال وقادة الرأي والفكر" ـ إضـافة جديدة لقائمة محيي المحرمة.. رجال الأعمال كمان ـ ولو فكر محيي في كلامه قبل أن يكتبه لما كتب منه حرفًا، فعلـى حـد علمي لا يوجد صحفي أو كاتب معارض في مصر له ابن في

سن الاستفادة من أي شيء، فإبراهيم عيسى لم يعط لابنه يحيى صفحة يكتبها بصورة في الدستور لأن يحيى مش فاضي للكتابة الآن، فلديه مهام طفولية تشغله أكثر، وعبد الله السناوي وعبد الحليم قنديل لم يؤجرا العربي مفروشة لموحة وطنط وتيتا وعمو وكل أفراد الأسرة، وعصام العريان لم يترك أولاده يسرحون ويمرحون في المؤسسة الصحفية التي يمتلكها، لأن أولاده لا يشغلهم سوى متي يأتي اليوم الذي يخرج فيه أبوهم من السجن ليرتموا في حضنه. لكن ماذا نقول سوى ما قاله أسلافنا.. رمتني بدائها وانسلت.

ولأن محيي ذكي وحصيف وأنبه إخواته فهو لم يرد للمهزلة أن تتوقف عند هذا الحد بل أصر على أن يختم بلاغه الأمني بقوله "ويطالب البعض باستقلال الجامعات واستقلال الصحافة وغيرها فمن يضبط حركة المؤسسات؟ أليست هذه خطوط حمراء لا يجب تجاوزها"، ثم يقول متقمصًا شخصية أنور محمد في فيلم مصطفى كامل "إن الاستقلال عن إرادة الأمة خط أحمر لا يصح تجاوزه". طيب ماذا يقال لولد نبيه كهذا لا يفهم الفرق بين الاستقلال عن سيطرة الأمن والاستقلال عن إرادة الأمة سوى أن نذكره بالمثل الشعبي الذي يقول إن الولد النبيه بيجيب لأهله التحية. فنحيي والده رجب البنا بما هو أهل له. ونسأله بحق كوبري أكتوبر الذي تطل عليه مجلته أن يحوش عنا "ولدكم" محيي البنا فيجعله يتهدّ قليلا لأن العملية فعلاً فعلاً.. مش ناقصاه.

أحدث نغمات المبايعة مع موبا.. فون!

ما الذي جرى للبشرية في مصر بالضبط؟.. كلما فتحت صحيفة أو مجلة وجدت إعلانا عن نغمات أو رنات أو لوجوهات للموبايل.. عشرات المحلات تعلن في كل حي في مصر عن وجود أحدث النغمات والرنات واللوجوهات.. في كل قعدة صحاب أو لمة بنات تجد حديثا عن آخر نغمة أو رنة.. اسمع دي.. ابعت لي دي.. يقابلك صديقك وابتسامة ظفر على وجهه "اسكت مش أنا حمّلت نغمة جديدة".. كأنه حمّل مدامه للتو واللحظة في توأم متطابق.

بدأ أمر الرنّ في البلاد هادئًا ثم انتشر وتغول وتوحش حتى صرنا شعبًا رنانا.. وبعد أن كانت الرنة لغة للمنبّهات التي توقظ المواطنين الشرفاء أصبحت لغة للخطاب البشري في مصر ورسول غرام وأهم شكل للتواصل الاجتماعي.. تسأل أحدهم عن حال أخيه ابن أمه وأبيه فيقول لك مش عارف بس هو لسه مديني رنة من يومين بس مارنيتش عليه عشان الرصيد خلص. ثم ترى الرنان من هؤلاء وهو يقابل صديقه

معاتبًا بحنق "يا أخي رنيت لك وماعبرتنيش.. طيب اديني رنة حتى". ولا تستبعدوا لو قرأتم قريبًا نتائج دراسة سوسيولوجية عن ظاهرة الرن في مصر باعتبارها خطرًا اجتماعيًا يهدد الوسائل التقليدية للتواصل الإجتماعي ويهدد التماسك الأسري ويعبر عن زحف الحداثة على البنية الأسرية بشكل سبرينطيقي إمبيريقي. ولا تستبعدوا لو دخلت الرنة في صميم الوجود الأدبي الذي هو تعبير مباشر عن تطور المجتمع، حيث سنقرأ عن صدور ديوان "رننت لك" للشاعر سيد كارت، أو رواية "الرنة الأخيرة" للشاعر محمود الشاحن، ونسمع في برنامج "بريد الإسلام" في إذاعة القرآن الكريم سؤالاً عن حكم من يفتح على أخيه المسلم الذي يرن له.

لا أريد أن يثير كلامي هذا حساسية إخوتنا الرنانين وهم الغالبية العظمى في مصر والذين سيستفزهم صدور هذا الكلام عن رجل صاحب خط فكري واضح يسدد فاتورة مواقفه كل شهر بحمد الله، فالأمر ليس فيه تعال طبقي لا قدر الله، وبرغم أنني تشغلني ظاهرة الرن وتقض مضجعي وتقلق منامي، لكنني لا أقوى على استنكارها علانية فقد كنت رنانا وفتح الله عليّ وأصبح لديّ خط، لكنني احتفظت بفهمي لسيكولوجية الرنان الذي تعبر رنته عن احتياجه للتواصل مع الآخر، وتدل رنته على شخصيته، هل هي رنة مقطومة تعبر عن شخص حذر موسوس وخائف من المجهول، أم رنة واثقة طويلة تدل على شخص رخم قادر على التضحية ببعض ما لديه من رصيد.

بالطبع يمكن الوصول بسهولة إلى تفسير اجتماعي اقتصادي لظاهرة الرن، لكن ما يحتاج إلى تفسير واضح هو ذلك الإقبال المنقطع النظير للمصريين على تبديل النغمات وتغييرها بشكل لا أعتقد أنه يشغل شعبًا آخر بنفس القدر، وربما كان التفسير هو رغبة المصريين في أي تغيير من أي نوع، فإذا كان قدرًا عليهم بقاء الحاكم ثلاثين عامًا في الحكم دون قدرة على تغييره، فإن غريزة التغيير التي خلق الله بها الإنسان يمكن إشباعها في مجال النغمات والرنات، يعني اللي مش عارفين نعمله في حاكمنا المحمول على أعناقنا نعمله في تليفوننا المحمول في أيدينا، مع ملاحظة أننا شايلين التليفون بمزاجنا. بل ويمكن النظر إلى الموضوع من زاوية أخرى هي أن النظام الذي يحكم مصر منذ ٢٤ عامًا دأب على ترديد نغمات أساسية لم يفكر في تغييرها يومًا واحدًا برغم أنها خلاص بقت محروقة ومملة زي نغمة النوكيا بتاعة تيراراراران، عارفها النغمة دي اللي أول ما طلعت كانت حدث، الآن يعتبر من يحملها شخصًا أصوليًا و"أنتي مودرنيزم"، وهي نغمة يمكن أن تقارنها بنغمة الضربة الجوية أو نغمة عشرين عامًا من الإنجازات التي أصبحت ربع قرن من الإنجازات، وربنا يدينا ويديه الصحة لغاية ما تبقى نصف قرن من الإنجازات، عندك أيضا من النغمات الأكثر مبيعا في مصر نغمة أزهي عصور الديمقراطية، وهي نغمة كوميدية تشبه نغمة اللمبي بتاعة يابيني آدمين، هناك أيضا نغمة لم تعد تستخدم

كثيرا هي نغمة لم يُقصَف قلم ولم تغلق جريدة، فلم يعد لها محل من التنغيم بعد ما جرى للدستور والشعب وعبد الحليم قنـديل والبقية تأتي. وشرحه نغمة البنية الأساسية التي خفت صـوتها كثيرًا بعد ما جرى لماسورة مدينة نصر، وغرق شرم الشيخ في مياه الصرف الصحي، وحدوث هبوطين في شوارع المعـادي خلال أسبوعين فقط.

ومع قدوم السيد جمال مبارك كقائد جديد لأوركسترا الرن بعد الاستغناء عن خدمات الرنان الأكبر صفوت الشريف مؤلف نغمة إحنا معاه إلى ماشاء الله، ظهرت نغمات جديدة ورنـات مستحدثة يحاول مؤلفها الجدد إعادة توزيع نغمـات المبايعـة القديمة بفكر جديد، لتظهر نغمات انتخبوا الرجل الذي عدّل لكم الدستور وبرضه ماطمرش فيكو، ونغمة استكمال المسـيرة — مع إن عمر حد ما قال لنا هي المسيرة دي أساسًا طالعة علـى فين.. آخر الخط بتاعها فين.. طبعا أنا وأنت نعلم أن المسـيرة رايحة بينا على توكر.. لكن المهم أن يعلم السائرون نيامًا بذلك. عندك كمان نغمة الجيل الجديد من الإصلاح الاقتصادي، ونغمة نحو فكر جديد، ناهيك عن أكثر النغمات انتشارًا وذيوعًا وهي نغمة أن الحكومة وحشة بس الرئيس مبارك هو اللي حلو، وهي نغمة تحتاج إلى بلهاء يصدقون أن مسئولي الحكومات السـابقة والحالية هبطوا من السماء وكانوا ينفذون التعليمات التي خربت بلادهم من دماغهم دون الرجوع للقيادات الأعلى منهم.

العجيب أنه برغم عدم تحميل أحد لهذه النغمـــات وعــدم توافر أي قبول لها لكن الحكومة المباركة لا تتوقف عن الــزن على دماغنا بهذه النغمات المحروقة دون أن تدرك أن رصيدها لدينا خلص، ومن ثم لم يعد لدينا أمل سوى أن "يفتح" الله عــز وجل علينا يومًا ما فنصحو من النوم نلاقيها قطعت شحن.

أزهى عصور المواء!

جاءت ثورة يوليو فوجدت صحافة مصرية شامخة كـان يقودها صحفيون أقوياء في مهنتهم متـدفقون فـي مـواهبهم وصادقون في وطنيتهم، كان كل واحد منهم أكبر بكثيـر مـن المنصب الذي يشغله، كان منصب رئيس التحرير آخر ما يمكن أن يزين اسمه من ألقاب، فإذا لم يكن الواحد منهم روائيًا كان، شاعرًا أو مفكرًا أو سياسيًا بارعًا، أو كل ذلك معًا. لم تسـتطع الثورة أن تروضهم تمامًا خاصة بعد أن بدأ الشقاق بينها وبينهم بعد أن أيدوها بقوة في بداياتها، وبعد أن فشل اعتقال المتمردين من الصحفيين في جعل الصحافة مطية طيعة للحاكم كان الحل هو اعتقال الصحافة نفسها بتأميمها تحت شعارات خادعة زائفة قتلت أعرق صحافة في العالم العربي كانت فخرًا لمصر. ومنذ تلك اللحظة الحزينة بدأ الحكام المتعاقبون في إزاحـة رؤسـاء التحرير الذين هم أكبر من مناصبهم واستبدالهم برؤساء تحرير أصغر من مناصبهم، لكن أثر ذلـك لـم يظهـر سـريعًا لأن الموجودين على الساحة كانوا جميعا من الذين تربوا في مدارس

صحفية عريقة، كانت المهنة تجري في دمهم فكان أداؤهم الصحفي رفيعًا حتى لو كان أداؤهم السياسي عكس ذلك، خذ عندك مثلا موسى صبري، اقرأ كتابه "خمسون عامًا في قطار الصحافة" لتكتشف أنك أمام صحفي من الطراز الرفيع، أو اقرأ كتابه المهم "السادات الحقيقة والأسطورة" لتذهل من حجم المعلومات المهمة المكتوبة بأسلوب بديع، ثم قارن كل ذلك بالذين خلفوه في "أخبار اليوم"، وتحسر على حال مصر، وسيتحول التحسر إلى لطم عندما تقارن بين موسى صبري وسمير رجب بوصف كل منهما أنه الصحفي المقرب إلى رئيس الدولة في عهده. وعندما أرادت الدولة أن تغير لنفسها هذه المرة قامت بتغيير الأسماء لكنها لم تُغَيِّر الوصفة، فالذي يجمع بين أغلب الأسماء المختارة أنها أقل بكثير من مناصبها، أسماء "تلق" في مواقعها حسب التعبير الشعبي البديع، ولذلك فأصحابها سيظلون يدينون بالولاء الشرس لمن أوصلهم إلى مقاعد لم يكونوا يحلمون بها لمعرفتهم أنهم لا يستحقونها، واقرأوا الكلمات التي كتبها رؤساء التحرير الجدد فور توليهم مناصبهم، بس خدوا قرص بريمبران قبلها لمقاومة الغثيان الذي يصيبكم وأنتم تقرأون لمن يعتبرون أن إبراهيم سعده وسمير رجب ومحمد عبد المنعم هم أساتذة في الصحافة وحملة مشاعل للحرية والتنوير، أعرف أن بعض من فعلوا ذلك فعلوه من باب اللياقة وأخلاق القرية، لكن الأداء "الأوفر" الذي تم به كان شديد الاستفزاز للقراء الذين تعامل معهم هؤلاء على أنهم فاقدو

الذاكرة، ولا يعرفون الأسماء التي تتم محاولة غسل تاريخها الأسود في الصحافة.

لقد حاولت أن أمنع نفسي كثيرًا من التعليق على الأسماء التي تم اختيارها خصوصا التي حصل أصحابها على أوسكار الموالسة، متأملاً الخير في أن يدرك هؤلاء أن ولاءهم ينبغي أن يكون للقارئ وحقه في المعرفة لا للحاكم الذي أقعدهم على كراسيهم، ويعتقدوا ولو كذبًا أن ما أوصلهم إلى كراسيهم هو كفاءتهم المهنية وليس رضا الحاكم ونجله عنهم، وأن الزمن تغير ولن تصلح الإسطوانات القديمة للتشغيل في عصر الديجيتال، وبرغم أني كان لدي أمل في أسماء مثل عبد القادر شهيب وأسامة سرايا وإسماعيل منتصر وممتاز القط ومحمد بركات في أنهم على الأقل لن يقمعوا أصحاب المواهب داخل مؤسساتهم وسيؤيدون النظام بشياكة على الأقل بعيدًا عن الفجاجة وسيفتحون صحفهم منابر للرأي والرأي الآخر، إلا أن أحدهم وهو ممتاز القط الذي هنأته بمنصبه واستبشرت به خيرًا سارع إلى تخييب أملي في أول مقال كتبه ليثبت أنه ممتاز كقط، وليس كرئيس تحرير يليق بمقام أخبار اليوم، فهو في مقاله الافتتاحي استعان بقاموس سمير رجب في الكتابة ليحدثنا عن حس الرئيس المرهف ونظرته الثاقبة، وعيونه التي تعودت أن تشق عنان السماء، وكونه "ربان ماهر يقود قاطرة الإصلاح التي انطلقت من مصر" ـ ربان وقاطرة إزاي بس ـ ثم في آخر المقال ينقل ممتاز الرئيس من قيادة القطر إلى قيادة سفينة

مصر وسط الأنواء والعواصف. طبعا من كثرة الاستشهاد في المقال بالبحر والعواصف ستصاب بدوار البحـر، وتـدرك أن أول القصيدة موالسة، وأن المقرر لا زال كما هو، وأن التغيير الذي تخيلت أنه قد أتى لا زال بعيد المنال، وأنه سيكون تغييرا في فنون الموالسة وتكنيكاتها لا في منهجها نفسه، عندها ستدعو الله في سرك ألا يحذو باقي رؤساء التحرير حذو زميلهم القـط فنعيش السنوات القادمة في أزهى عصور المواء بعد أن عشنا السنوات الماضية في أردأ عصور النهيق. سيقول الـبعض أن المواء والنونوة أرحم بكثير من النهيـق، لكـنهم لـو كـانوا مستغرقين في النوم وسمعوا مواء قطة مجروحة يـدوي فـي سكون الليل لعرفوا أن المواء لا يفرق في ضرره كثيرا عـن النهيق.

عاش الزعيم السوتيه

لي صديقٍ أعرفه منذ خمسة عشر عامًا على الأقل احترت في فهمه طويلاً بسبب حرصه الشديد منذ عرفته على اقتناء ومتابعة كل ما يكتبه ــ أو ما كان يكتبه ــ سمير رجب بدءًا من كبسولاته المضروبة ومرورًا بمقالاته المتنوعة في شاشتي وعقيدتي وحريتي ووكستي، وانتهاءً بموكفه السياسي الذي كان يجرّش فيه كل يوم في الجمهورية، صرف صديقنا على متابعة هذا الهراء دم قلبه وكان يمضي ردحًا طويلاً من اليوم في قراءته وهو يردح ويلعن ويخبط دماغه في الحيط بعد أن يقطع الجرايد ميت حتة ويدوس عليها بحماس بطلنا عبد العاطي صائد الدبابات، وهو يدوس خط بارليف ببيادته، كانت متابعتنا له في البداية وهو يفعل ذلك أمرًا مثيرًا للسخرية وباعثًا على الفرجة، لكنه تحول مع مرور السنين إلى أمر مستفز للأعصاب ثم انتهى الحال إلى كونه أمرًا مثيرًا للشفقة، استدعيت صديقًا يعمل تومرجيا لدى طبيب نفسي لبحث الحالة، فأفتى وهو ينتهي من طبق المكرونة وحتتين البفتيك اللتين طلبهما كثمن

للاستشارة بأن صديقنا هو من الآخر "مازوخي"، ضربت أمي صدرها بيدها وهي ترفع الأطباق التي انتهى صديقنا من مسحها، وقالت لي "أعوذ بالله.. ماسوخي.. حاسب على نفسك ياوله.. طول عمري باقولك اوعى تمشي مع الواد ده"، لم نلتفت لكلامها وأخذنا نفهم طبيعة الحالة النفساوية التي يمر بها صديقنا، بعد يومين كان صديقي لديّ وكنت أحاول أن أطبق النصائح التي أوصى بها صديقنا التومرجي النفسي، وفجأة دخلت علينا الحاجة لتفتح الباب بعنف وتقول لي "مش قلت لك ماتقعدش مع النجس ده لوحدك"، وقبل أن تبصق عليه أخذت أشرح لها وله أيضًا فقد كان يسمع ذلك مني لأول مرة بأن مازوخي تعني من الآخر أنه مصاب بمرض حب تعذيب الذات وأنه عامل زي أمريكا كده يعني مايقدرش يعيش من غير عدو، ولذلك فهو مدمن لقراءة مقالات سمير رجب لأنها توفر له العدو المناسب وبأرخص الأسعار، والحمد لله أنها جت على قد كده، فعلى الأقل عداء سمير رجب لا يكلف سوى ثمن شراء صحفه ومجلاته ثم تمزيقها ومسح الأرض بها، وهو عداء أرحم من عداء حبيب العادلي مثلا أو عداء جمال مبارك فهي عداءات كانت ستنتهي فور أول محاولة للتنفيس عنها، انتهى الموقف بعد شرح مستفيض مني بصديقي يبكي ويلطم على وجهه وأمي تطبطب عليه وتقول له "ربنا ينصرك على عدوينك يا حبيبي"، ثم تنظر إليّ بحب شديد وتقول لي بصوت تحاول ألا

يكون مسموعا "يا رب ما أعيش لغاية ما أشــوفك ماســوخي زيه".

ومرت الأيام ودارت الأيام وظل صديقنا المازوخي متفردًا بكآبته وصبابته وعنائه حتى جاء اليوم المشهود الذي أخذ فيــه السيد سمير رجب الصابونة وتم طرده من منصبه شر طردة، كنا نتبادل التهاني والتبريكات لكن صديقنا المازوخي كان يومها مخطوف اللون وشارد الفكر وزائغ العينين، وكأنه طالب فقيــر ينتظر نتيجة الثانوية العامة، أفتى لنا صديقنا التــومرجي بعــد وجبة مماثلة أن ما يعاني منه صديقنا الآن هو أقسى أعــراض المازوخية وهو خوفه من افتقاد من يعذبه وأن الأمــر مرشــح للتصاعد والحالة ربما تكون أخطر ما لم نجد له عدوًا، وهو ما حدث بالفعل عندما حصلت البعته التي أدت لاختفــاء ســمير رجب من الصفحة الاخيرة للعدد الأسبوعي للجمهورية، كــان يوم عبور عظيم بالنسبة لنا لكنه كان يوم نكسة حقيقي لصديقنا، كان يبكي كالأطفال وهو يقرأ مقال محسن محمــد ويتشــحتف وينهنه ويصرخ "أشوفه.. أقراله.. وحشتني كبسولاته"، حاولنــا أن نقف جنبه وندخل على أرشيف الجمهورية على الإنترنــت لكي نستعين بأي كبسولات لسمير رجب لتدارك الموقف لكــن النيت نفسه كان قرفان فيما يبدو من سيرة سمير رجب فعملهــا وهنج وظل في حالة "الديسكونكت" حتى يأسنا وقرفنا من فشلنا في السيطرة على الموقف فسلمنا الأمر لله بعد أن أخذ كل منــا يزعق فيه ويقول له "خليك كده عايز تضيع مســتقبلك عشــان

واحد مايستاهلكش.. إنت حر بس من النهارده إحنا في طريـق وانت في طريق" وما إلى ذلك من الكلام الذي حفظناه من طول عشرة المسلسلات العربي الهابطة.

ظل صديقنا فترة قصيرة في غيه وعنائه متخبطا كأمريكا بعد نهاية الحرب الباردة ..فاقدا الحيوية والحياة كأنه الـدكتور مصطفى كمال حلمي في عزّه.. ذابلا كحتة جاتوه باظت فـي التلاجة.. سلّمنا الأمر للمولى مكتفين بالتحسر على شبابه الذى ولّى وبالدعاء على اللي كان السبب والذي لـم يهنينـا لافـي حضوره ولا في غيابه.. وكدنا نفقد الأمل لولا أن عدالة السماء التي نزلت على ستاد باليرمو قررت أن تنزل علـى صـاحبنا وحدثت المعجزة.

عاد صاحبنا فجأة لحيويته وتألقه وعافيته، كان الأمر مثيرًا لدهشتنا وفضولنا، حاولنا معرفة السبب لكن صاحبنا كان قد أخذ جنبا بعد فترة العزلة القصيرة التي عاشها بعيدا عنّـا، تطلّـب الأمر منا كثيرًا من الجهد حتى اكتشفنا أن سبب عودته لصحته هو عثوره على عدو جديد، فقد أصبح قارئًا مسـتديمًا للكاتـب الأليف ممتاز القط رئيس تحرير أخبار اليوم.

يستحق الأستاذ ممتاز القط التحية والشكر على ذلـك فقـد كنت أفتقد صديقي كثيرًا، وصديقي دون شك كان يفتقـد هـو وملايين غيره من يحرقون دمهم ويعكرون مزاجهم ويشعرونهم بأنه لا فائدة ولا أمل في أي إصلاح أو تغيير فـي العقليـات الموالسة التي تحكم صحفنا القومية، بالمناسبة أحد القراء اتصل

بي غاضبًا الأسبوع الماضي ومستنكرًا لأني لم أمنح السيد القط "أوسكار الموالسة" عن مقالته التاريخية "حمّال الهموم" والتي أشار إليها صديقنا خالد السرجاني في صفحته بإصبعه.. السبابة، والحقيقة أنني لم أتقاعس مطلقًا عن تحية السيد القط بما يستحق وتعمدت أن أتجاهل مقالته موقنًا أنني عن نفسي عملت اللي عليا معه فقد منحته أوسكار الموالسة ثلاث مرات وبالتالي فقد أصبح طبقا لقوانين الأوسكار فائزا دائما به مدى الحياة زيه زي سمير رجب ومجدي مرجان ونبيل لوقا بباوي وكبار الموالسين الذين من العبث أن أقوم بمنحهم الأوسكار كل أسبوع، والتاني لأن ذلك سيكون ظلمًا لصغار الموالسين الذين من حقهم أن نشير إلى جهودهم الحثيثة الخبيثة من أجل إثبات ذاتهم وسط الفراودة الكبار الذين يحملون خبرة السنين على أكتافهم.

ثم إنني بصراحة لم أجد في مقالة السيد القط ذلك القدر الشنيع من الموالسة الذي رآه غيري، بالعكس فقد وجدته مقالا إنسانيًا كان ينبغي نشره ضمن باب لست وحدك، ولو أنصف السيد القط لأخّر نشره قليلاً حتى يفتتح به حملة ليلة القدر ويطلب من القراء التبرع للرئيس الذي ياعيني لا يشم طشة الملوخية أو البامية ولا يأكل محشي الكرنب والباذنجان والفلفل، وتخيلوا لو كانت مصر ساعتها قد شهدت مظاهرة شعبية تخرج فيها ملايين السيدات حاملات بوابير الجاز وحلل الملوخية والبامية ويفترشن الأرض بجوار قصر الرئيس لتبدأ أكبر حملة

تقوير محشي في تاريخ مصر الحديث تتسابق ستات مصر المحبات لقائد المسيرة فيها في التفنن في طشة الملوخية بصوت عال يسمعه السيد الرئيس وتتعالى روائح البامية وصيادية السمك لكي يشمها السيد الرئيس الذي ذرفت الدمعة قصدي الدموع عليه وأنا أقرأ وصف القط لمعاناته مع المسلوق والجبنة القريش. وأريد أن أصارحكم هنا أن المقال فجأة أخرجني من تلك الحالة الإنسانية الرهيبة التي دخلت فيها عندما تخلى السيد القط عن الأدب الواجب في الحديث حول المقام العالي للسيد رئيس الجمهورية، لا أعني طرطشة التقلية والدمعة التي حفل بها المقال فهو مدخل إنساني جديد في الموالسة، لكنني أعني تلك الجملة التي وصف بها القط حال الرئيس التي تصعب على الشعب الكافر قائلا عن سيادته "تحركات الرئيس محسوبة بدقة بالغة.. لا يستطيع أن يمشي فوق كوبري قصر النيل أو يجلس على مقهى في الحسين أو تجره قدماه لمحل كبابجي أو حتى لشراء ملابس جديدة له"، دعوني هنا أقول للسيد القط إنني سحبت كل إعجابي به وأقول له ويحك، لا أسمح لك أن تصف رئيسنا بأنه تجره قدماه، كيف تتحدث هكذا عن رئيسنا المعروف بصحته الحلوة وخطواته الرشيقة الواسعة التي تجعل المسئولين يلهثون وهم يسيرون خلفه في جولاته الميدانية وسط إنجازاته وكباريه ومحاوره، إنني باسم كل مصري أطلب منك اعتذارا فوريا على هذه الإهانة التي تريد أن تلحقها بسيادة الرئيس، ولو لم تكن في عصر مبارك لكنت الآن سجينًا في

نفس الزنزانة التي يقبع فيها الرجل الذي يقول إنه قال للرئيس اتق الله في شعبك، فهو على الأقل لم يصـف الـرئيس بهـذا الوصف غير اللائق الذي خطه قلمك، إنني أنتظـر اعتـذارك ياسيد قط أنا وكل مصري وأتمنى أن تقول لنا أنك كنت جائعًا وأنت تكتب وأن روائح الطشة والتقلية أفقدتك تركيزك وأنـت تحشي المقالة التي جاءت دسمة كصينية قرع معتبرة، ولـولا هذه السقطة التي وقعت فيها لكانت تصلح طبقـا مثاليـا فـي برنامج منى عامر.

على أي حال سيغفر لك فقط إدراكنا لوطنيتك وتماهيك في عشق رئيسنا المحبوب وما أسديته من جميل لصديقنا المازوخي الذي ردت إليه مقالاتك الروح وفوق كل ذلك قيامـك بسـبق عالمي أعتقد أن أساتذة العلوم السياسية بصـدد دراسـته الآن كواحد من أهم المداخل السياسية لحكـم الشـعوب، ألا وهـو المدخل الهضمي والذي لن يستغني أي زعيم في العـالم عـن استخدامه لمخاطبة شعبه على أساس أن الطريـق إلـى قلـب الشعب يبدأ من معدته، وسيكون بمقدور أي رئيس في العالم أن يسيطر على شعبه تمامًا ويقمع أي حركات تمرد أو معارضـة بنشر صور له وهو يختلي بائسًا حزينا بحتة الجبنـة القـريش وسلطانية شوربة الخضار بينما الشعب كله هايص مع طشـة الملوخية، وتسيل دموع فرحته مع دمعة البامية ويتصيد لحظات الفرح مع صيادية السمك، سينكسف الشعب قوي مـن نفسـه وسيبصق على أي كلب أو قط يقول له أن حاكمه لايحب الأكل

المسلوق بقدر مايحب القوانين المسلوقة أو أن حاكمه لايحب الجبنة خالية الدسم بل يعشق المعارضة خالية الدسم، وسيخرج الشعب إلى الشوارع معلنًا أنه سيحرم على نفسه أكل المسبك والمحمر والمشمر لكي لا يكون أقل من رئيسه المحبوب، وسيهتف الشعب كله عن بكرة أبيه عاش الرئيس السوتيه من أجل حياة سياسية خالية من الكوليسترول وديمقراطية خفيفة على المعدة خفيفة على القلب، وليصبح المشروب الرسمي للدولة هو عباد الشمس سيلاً صافيًا طازة في القزازة، وليتم تغيير علم الدولة بنزع أي نوع من أنواع الطيور الموجودة فيه لأنها خطرة على الصحة واستبداله بعلبة جبنة فريش.

أقول لك إيه يا سيد قط.. لا أجد لك سوى دعوة الحاجة.. روح يا شيخ يارب أموت قبل ما أشوفك بقيت ماسوخي.

عزت.. إوعَى ييجي لك عزت!

في بلاد الله المتحضرة لا يخجلون من تسمية الأمـراض بأسماءِ بشر يكونون عادة أول من اكتشفها وقام بتشخيصـها، اعترافًا منهم بفضل الشخص الذي يكتشـف مرضًـا ويحـدد أعراضه، لأن ذلك في عرفهم هو بداية العلاج وأول خطـوات حل المشكلة، أو على حد تعبير مراقبين لجان امتحانات ثانوي "فهم السؤال نص الإجابة.. وبص في ورقتك يا كلب".

ولست أدري لماذا لا نقتدي بالعالم المتحضر فنسـمي مـا نشهده لدينا من أمراض ــ بعد الشر بعد الشر عني وعـنكم ــ بأسماء من يصيبوننا بها، سواء كانوا حكامًا أو كتابًا موالسـين أو حتى مقدمي برامج سياسية في التلفزيون المصري، وهو أمر لو تم سيكون مفيدًا للغاية في تخفيض نسبة الحالات المرضـية الغامضة التي باتت تنتاب المصريين، وصار الطب في حيـرة وهو يحاول علاجها، حيث يكتفي الأطباء بالبحث عن المسببات التقليدية للمرض فيوجهون للمريض أسئلة من نوعيـة "نمـت وانت زعلان.. انفعلت علي حد.. بتاكل مسبك كتيـر"، بينمـا

المسببات غير التقليدية أصبحت هذه الأيام أكثر مـــن لافتـــات المبايعة في شوارع القاهرة، ولذلك أدعو نقابة الأطبـــاء إلـــى تعميم مذكرة داخلية على الأطباء المنتســـبين إليهـــا توصـــيهم بتوجيه أسئلة جديدة لمرضاهم سعيا لتحديد مكامن العلة التـــي تنتابهم، أسئلة من نوعية "شفت كام خطاب للريس في الفتـــرة الأخيرة.. آخر مرة جت لك حالة حوار كانت إمتى.. طب في حد يتفرج على حالة حوار يا حوار.. قريت مجدي مرجان قبل ما تنام.. سمعت تصريح لصفوت الشريف من غير ما تتقل في اللبس"، وغيرها من الأسئلة التي يمكن أن تشكل مداخل غيـــر تقليدية لتشخيص الأمراض لا تستبعدوا لو تحولت إلى منهج يتم الأخذ به ضمن موجة الطب البديل التي تكتســـح العـــالم منـــذ سنوات طويلة.

ولكي لا يتهمني أحد بالعبث بصحة الآخـــرين يهمنـــي أن أقول لكم إنني قمت بتطبيق هذا المنهج على نفسي أولاً وجاب نتيجة هايلة، حدث ذلك الأسبوع الماضي أثناء زيارة مفاجئـــة إلى طبيب الأنف والأذن والحنجرة الذي ذهبت إليه أشكو طنينا مستمرًا في الأذن وصعوبة في الشهيق مع سهولة تامـــة فـــي الزفير، سألني بجدية "جالك احتقان في الزور.. بتقعد كتير في التكييف.. شربت مية متلجة امبارح"، فأجبته بجدية أيضا "لا.. بس قريت مقالة لعزت السعدني على غيار الريق"، نظر إلـــى باستغراب زال قليلاً بعد أن شرحت له نظريتي، بدا لـــي أنهـــا صادفت هوى في نفسه فقد طلب مني مباشرة أن أنظر تحـــت

عينيه لأرى هل فيهما سواد فعلا، عندما أكدت له ذلك قال وكأنه يحدث نفسه "أنا غلطان برضه.. حد يقرأ لمرسي عطا الله"، وبعد أن كتب لي روشتة بالأدوية التي ينبغي أن أنتظم عليها طلب مني أن أكتب له قائمة بأسماء الكتاب الذين أنصحه بتجنبهم، رافضًا أن يأخذ ثمن الفيزيتة وناصحًا لي أن أسجل هذا المنهج التشخيصي في الشهر العقاري لأنه يمكن أن يشكل فتحًا جديدًا في طب المناطق الحارة والملزقة، ومصر على رأسها طبعًا كما لا يخفى على عَرَق سيادتك.

ولأن طبيبي المعالج رجل حلو المعشر ومهتم بالقضايا العامة أصر ألا أنصرف مباشرة وأن نتجاذب قليلا أطراف الحديث مصممًا أن يسألني عن فحوى المقال الذي قرأته لعزت السعدني والذي أشتبه في كونه السبب الرئيسي للحالة التي أصبت بها، قبل أن أفتح فمي قال لي "معلهش أنا نسيت أسألك الأول هو مين عزت السعدني.. أصل أنا مابقراش غير الأهرام المسائي وطبيبك الخاص"، عندما جاءت سيرة عزت السعدني علا الطنين في أذني فاطمأننت أولا إلى سلامة تشخيصي ثم بدأت أشرح لطبيبي النزر اليسير الذي أعرفه عن عزت السعدني وكيف أنه اشتهر بكونه مؤسس مجلة "علاء الدين" التي تعتبر أفشل مجلة أطفال ظهرت في تاريخ الأطفال، ربما لأنها صدرت في ظل هوجة الحديث عن علاء مبارك فظنها الناس وقتها محاولة مستترة للنفاق، ولذلك فضلوا الاستمرار في التركيز مع ميكي وبطوط وعصابة القناع الأسود

الذين يقال إنهم الآن أصبحوا أعضاء في أمانة السياسات، المهم أن السادة المسئولين اتخنقوا من فشل المجلة فقرروا تغيير الأستاذ عزت مع أنني شخصيا لو أخذوا رأيي لنصحتهم بتغيير اسم المجلة إلى جمال الدين لمواكبة الفكر الجديد اللي شغال حريقة في البلد.

قال لي الدكتور ساخرًا: شوف لما راجل طول بعرض زيك يجرا له اللي جرالك بسبب مقالة زي دي أمال الأطفال كانوا بيعملوا إيه بس، طمأنته على أن أطفال مصر بخير والحمد لله لأنهم لم يكونوا يقرأون المجلة أساسًا، وبالطبع فإن لطف الله بهم جنبهم قراءة تحقيق السبت الذي يكتبه عزت السعدني، حاولت التعايش مع فكرة أن هناك أحدًا لم يتعرض للاصطدام يومًا ما بتحقيق السبت، وبدأت أشرح له كيف أن تحقيق السبت الذي يكتبه الأستاذ عزت السعدني ـ آه ياوداني ـ يعتبر ظاهرة كونية تنفرد بها الصحافة المصرية دون أن تجد للأسف الاهتمام الكافي من باحثي الماجستير والدكتوراه، مع أن صاحبها عزت السعدني يعتبر الصحفي الوحيد في العالم الذي انفرد فيه بتأسيس فن جديد من الفنون الصحفية هو فن تحضير الأرواح، حيث يقوم كل أسبوع بتحضير روح أحد عظماء الموتى من أمثال الجبرتي والمقريزي وابن إياس وينخع معه حوارية طويلة مليئة بالهذر يتكلم فيها عزت أكثر مما يتكلم الجبرتي ويخرج المقريزي من تربته لكي يوجه أسئلة حيرته في موته ولم يجد سوى عزت كي يجيبه عليها، ويستعلم إبن

إياس عن معلومات كانت ناقصة لديه حول عدد الكباري التـــي قام الرئيس مبارك بافتتاحها لأن إبن إياس يفكر في كتابة مؤلف جديد يسميه (فتوحات حســـني عبـــد البـــاري فـــي المحـــاور والكباري)، والغريب أن الأهـــرام باعتبـــاره أقـــدم الصـــحف المصرية سنا وأكثرها حرصًا على التقاليد الصحفية يفرد منـــذ سنوات عجاف طوال لهذا الهراء صفحته الرئيسية كـــل يـــوم سبت، على أساس أن السبت إجازة الطُّربيّة، لا وإيه.. ينشـــره كمان تحت عنوان (تحقيق السبت)، أخذت أشرح للطبيب بعض ما درسته في قسم الصحافة عن خصائص التحقيق الصـــحفي وكيف أنه لا توجد خصيصة ولا خسيسة تقبل أن تقـــول عـــن محاورات الموتى هذه أنها تحقيق، وأن الأمل بات معقودًا على السيد أسامة سرايا أن يقوم بإدراج هذه الصفحة ضمن صفحات الوفيات التي هي أكثر الصفحات مصداقية وجاذبية وانقرائيـــة في الأهرام، سألني الطبيب زيك كده عن معنى انقرائية فقلت له إنني لا أعرف وأنها طقم كده بييجي مع مصداقية وجاذبية، بس الظاهر إنها حاجة كويسة وإلا ماكانش الدكتور يقولها لنا قـــدام البنات.

طلب مني الطبيب أن أكتفي بالحديث عن عزت الســـعدني لأنه لاحظ أن صوت الطنين لديّ أصبح مسموعًا لدرجـــة أنـــه صار يسمعه من غير استخدام جهاز، وطلب مني أن ألخص له في عجالة المقال الذي قرأته والذي يعتبره صاحب فضل عليه لكي يراني بعد طول غياب حيث كانت المرة الأخيـــرة التـــي

زرته فيها عقب صدور كتاب "قال فصدق" لسمير رجب قبل عدة سنوات، قلت له إن السيد عزت قرر أن ينضم إلى حملات الموالسة الدائرة على ودنه في المحروسة بمقالة أسماها "طائر الحكمة" بعد أن وجد أن فراودة الموالسة قد حرقوا عليه كل المداخل وسدوا عليه كل الثغرات التي كان يمكن أن ينفذ منها، فلم يتركوا شيئًا بدءًا من عيني الرئيس الثاقبتين اللتين تشقان عنان السماء وصولاً إلى معدته التي اشتكت من أكل المسلوق والسوتيه واشتاقت للمشمر والمحمر، ولذلك فقد طلع عزت بعد طول تنقيب بمدخل جديد للموالسة مستغلاً خبرته في التهويم مع أرواح الموتى ولوي أعناق جثثهم لتقول ما يريده فقام بذلك هذه المرة ومع من؟ مع عبد الرحمن الجبرتي شيخ المؤرخين والذي تحول على يد عزت السعدني إلى عضو في أمانة السياسات شعبة تاريخ مبارك، حيث أخذ يضع على لسان الجبرتي عبارات للرئيس مبارك في بعض حواراته لكي تؤيد منطق عزت في موالاة مبارك، دون مراعاة لحرمة الموتى أو لمقام شيخ جليل كالجبرتي تصوره مقالة بائسة مثل هذه على أنه أصر على أن يترك نعيم القبر الذي نحسبه من أهله، ولا نزكي على الله أحدًا، ليشاركنا في نعيم الحزب الوطني، وليتفرغ لجمع تصريحات وإنجازات الرئيس مبارك ولسان حاله يقول "نابليون مين وعمر مكرم إيه.. هي دي القادة ولا بلاش.. هو ده العصر العملاق مش العصر التعبان اللي عشت فيه".

لكن عزت خاف أن يأكل الجبرتي منه الجو فيضيع كــل المجهود الذي بذله سدى، ولذلك قرر أن يسكت الجبرتي قلــيلا ويلتقط منه الكرة ليظهر مهاراته في الترقيص والتغزيل، حتى أن الجبرتي اكتفى بالأسئلة وأخذ يتعلم من طائر الموالسة عزت السعدني الذي فلتت منه الكرة فأحرز هدفا للمعارضة في مرمى الرئيس ــ على طريقة الدبة التي عورت صــاحبها ــ حيــث أخذته جلالة الموالاة فقال بالنص "تصور لو الرئيس نفسه فــي حاجة عايز يشتري حاجة من السوق أو من سوبر ماركــت أو من مول من المولات مايقدرش.. وأعتقد أن الرئيس قد نســي شكل الفلوس لأنه لم يحملها في جيبه طوال الأربعة والعشرين سنة الماضية".

لم يصدق الطبيب أن كلامًا مثل هذا ينشر في الأهرام بحق الرئيس مبارك إلا عندما دخلنا على الإنترنت وأريته المقالــة، فأخذ يضرب كفًا بكف ويحلف لي أنني لو كنت قد قرأت له هذا الكلام منسوبًا إلى أعتى كتاب المعارضة لاتخذ منه دليلاً على تمتع مصر بأزهى عصور الحرية فليس هناك تطاول على مقام رئيس الجمهورية أكبر من هذا الكلام، قلت لــه إن التطــاول الحقيقي ليس في تصوير عزت أن الرئيس يمكن أن يترك مقر الرئاسة ويروح السوبر ماركــت .. مــاتعرفش يعنــي إزاي افترض إن في قارئ أبله ممكن يتخيل إن في رئيس جمهورية هيسيب الحرس والرئاسة والأبهة وينزل يجيب مــن الســوبر ماركت هوهوز مثلا ولا بيبسي كانز عشان الرؤساء الضيوف

أو علبتين صلصة لزوم طبخ القرارات.. ليس التطاول في كل هذا بل هو في تلك الجملة المهينة التي يقول فيها إن الرئيس "نسي شكل الفلوس لأنه لم يحملها في جيبه طوال الأربع والعشرين سنة الماضية"، هل اخترقت المعارضة الأهرام يا إخواننا، ماذا سيكون الحال لو طلعت صحيفة معارضة بعنوان يقول الرئيس نسي شكل الجنيه المصري مستندة على هذه الكلام، كيف يمكن للمواطن المحب للرئيس أن يعطيه صوته، وماهي المشاكل السياسية التي يمكن أن تحدث لو ذهب الرئيس مرة إلى السوبر ماركت ليقوم بشراء أغراض البيت ودفع الحساب بالليرة اللبناني أو الجنيه السوداني.. وإذا كانت صحف الحكومة لاهم لها إلا الحديث عن أفضال مبارك على الجنيه المصري وارتفاع قوة الجنيه الذي أصبح أقوى من سانجام.. فكيف سيكون الحال لو قابل الرئيس في إحدى جولاته الميدانية عشرة جنيه ولم يتعرف عليها.. هيكون شكلنا عامل إزاي وقتها بين الأمم.

كنت قد لاحظت لأكثر من مرة وأنا أتكلم أن الطبيب بدأ يتململ ثم يتقلقل في مكانه وتظهر عليه علامات التبرم ثم الامتعاض، لكنني فسرت كل ذلك بغضبه أن يصل كاتب مصري إلى هذا القدر من الموالسة في ظل عهد يقولون أنه مختلف ويسوده فكر جديد وينوح فيه القمري على ورق الشجر بأغنية "إصلاح تغيير خطاب مختلف"، لكنني توقفت عن الحكي والكلام عندما ظهرت معالم الألم على وجه الطبيب، قلت له "أنا

آسف إني طولت على حضرتك بس يعني إنت اللي صــممت"، حاول أن يتماسك ثم نادى على التومرجي الذي هــرع لتلبيــة ندائه، أخذ الروشتة من أمامي وسط دهشتي ثم قال للتــومرجي "اخطف رجلك للصيدلية اللي جنبنا.. هات لي اتنين مــن كــل دواء من دول وقول للصيدلي يقيدهم على حسابي"، حاولت أن أخرج نقودا لكي أعطيها للتومرجي لكنني فشلت وسط إلحــاح الطبيب الذي قال لي كلاما مخجلا عن أنه تعلم مني درسا مهما في الطب هذا اليوم، قلت له قصدك في السياسة، قال لي لأ في الطب، تذكرت منهج التشخيص الذي حكيت له عنه فشكرته ثم قلت له "طب ليه خليته يجيب اتنين من كل دوا.. هو العــلاج هيطول قوي كده"، قال لي "لا.. ده علبة لي وعلبة ليك.. إنــت معقولة مش سامع صوت الوش اللي هيفرتك وداني". هممــت بالنهوض محرجًا فقال لي بغلظة "رايح فين.. اكتب لي القايمة اللي قلت لك عليها واكتب أول إسم.. عزت السعدني".

دكتور وحيد عبد المجيد.. أخصائي مسالك سياسية!

جرت عادة المصريين كلما رأوا شخصًا يسبق اسمه بلقب دكتور أن يسألوه باهتمام "حضرتك تخصص إيـه"، آملـين أن يكون تخصصه في مرض مـن الأمـراض الشـائعة بيـنهم فيساعدهم في درء غوائل المرض الذي أصبح صديقًا دائمًا لهم في هذا العهد المبارك. وربما لا يلقي حكام مصر ذات الأهمية التي يلقيها المحكومون للدكاترة الأطباء فصحتهم زي البمـب بسبب الخيرات التي يلغون فيها ومنها، وإن تـدهورت قلـيلاً فمستشفيات ألمانيا وباريس ولندن جاهزة لاسـتقبالهم وإطالـة عمرهم الافتراضي بل وإرجاعهم بحالة المصنع. ولذلك فهـم يهتمون بنوع آخر من الدكاترة يرونه مهما لنيل شهادات طبية كاذبة تقول إن وضعهم السياسي بخيـر ومسـتقبلهم السياسـي مشرق، حتى لو كانت الغرغرينا السياسـية قـد أتلفـت كـل أعضائهم ودمرت وظائفهم الحيوية.

عن دكـاترة العلـوم السياسـية والإنسـانية والخبـراء الإستراتيجيين أحدثكم، وانظروا حولكم في الوجوه التي باتـت تتصدر المشهد السياسي وتحيط بالواد وأبيه لتجدوا مصداقًا لما

أقول، ودليلاً على أن مصر دخلت عهدًا جديدًا لم يعد مقبولاً فيه أن تعتمد على الموالسة البلدي بتاعة سمير رجب وكمال الشاذلي والسيد راشد، فلم يعد يشفع لهذه الموالسة أنها مسبكة ولا أن البلدي يوكل، بالعكس فتسبيكها هذا أصبح خطرًا على النظام في ظل تصلب الشرايين الذي يهدد بقاءه، لذلك لابد من موالسة جديدة، موالسة دايت، لها طعم الموالسة المرملة ولكن دون أن تصيب بالوخم والثقل الذي يعقب الموالسة البلدي، وبالطبع ليس أقدر على تقديم هذه الموالسة الشيك سوى طائفة الدكاترة الذين يضمهم تنظيم غير معلن يمكن أن تسميه "ليبراليون في خدمة الاستبداد". هؤلاء الذين تعلموا في أرقى الجامعات وحصلوا على أعلى الشهادات ورأوا تجارب أحدث المجتمعات والنظم السياسية لكنهم اختاروا أن يستخدموا شهاداتهم وأفكارهم كمماسح لتلميع وجه المستبد وغسل بقع الدماء التي تطرطش على ثوبه ووصف الجلخ الذي عليه بأنه أصالة والهرش الذي يقوم به بأنه حراك سياسي والكساح السياسي الذي أصابه بأنه تغيير تدريجي.

اقرأ وتابع واستمع وشاهد ما يقوله الدكاترة علي الدين هلال وعبد المنعم سعيد وحسام بدراوي ـ نساء وولادة ـ وعمرو عبد السميع ـ إعلام موجه ـ ووحيد عبد المجيد ويُمن الحماقي ومحمد كمال وعبد العاطي محمد وغيرهم من الذين يتصدرون المشهد السياسي الآن على اختلاف تخصصاتهم ومواقعهم، وستجد طريقا واحدًا يجمعهم هو الحديث عن الحقيقة

بنصف لسان، يتحدثون عن ضرورة الإصلاح والتغيير وسيادة الفكر الجديد، لكنهم في نفس الوقت لايستنكرون الاستبداد أو الظلم ولا يستنكفون عن أن يكونوا مدرسين خصوصيين من أجل رفع مجموع الواد في العلوم السياسية وبقاء أبيه على كرسي الحكم لأطول فترة ممكنة متذرعين بأن هذا هو السبيل الوحيد للإصلاح وأن هذه هي طبيعة مصر ومستخرجين من بطون الكتب حقا يلبسونه بالباطل وموالسة مدهونة بطبقة شيك من المواد المزيلة لرائحة العفن.

ومشكلة هؤلاء الدكاترة أنهم تعرضوا للفضح على أيدي زملاء لهم لم يعرف أحد عنهم أنهم متهورون أو مستبيعون أو مراهقون سياسيون أو حتى ضعفاء أكاديميًا وسياسيًا، بل إن بعضهم كان في يوم من الأيام واحدًا من الذين يلمعهم نظام الحكم ويعدهم ويمنيهم بمستقبل سياسي مشرق، لكن كونهم ولاد أصول منعهم من بيع ما يؤمنون به بعرض من الدنيا ولو بدا كثيرا، أتحدث عن الوجوه المشرقة والمواقف المشرفة للدكاترة أسامة الغزالي حرب ومحمد السيد سعيد ونبيل عبد الفتاح وضياء رشوان ومحمد السعيد إدريس الذين كشفوا من حيث لا يدرون هشاشة وانبطاح زملائهم في سوق الفكر الذي يسمونه جديدا وهو عند الله قديم.

تأمل مثلاً في حالة أحد هؤلاء وهو الدكتور وحيد عبد المجيد الذي ستجده كل عدة سنوات في موقع، مرة تجده محسوبًا على أنصار الانفتاح غير المشروط على الأمريكان

ومرة تجده رئيسًا لتحرير مجلة معارضة وفجأة تجـده متوليًـا نصف منصب حكومي وموعودًا بمنصب أكبر دون أن ينال من الوعد سوى الوهم، شاهدته مؤخرًا في خطاب مدرسة المساعي المشكورة وهو يجلس في الصف الثاني في موقع بارز وهـو ينظر إلى الرئيس بحنان استراتيجي ويهز رأسه إيمانا وانبهارًا وتسليمًا بكل كلمة ينطقها الرئيس حتى أشفقت على رقبته مـن فرط الهز أن تنكسر، أخذت أتأمله وملامحه تكاد تتوسل ناطقة بلسان الحال "والنبي ياريس شفني وأنا باهز إيمانا بكلامـك.. خدني رئيس هيئة والنبي.. حرام حد زيي ماينولش غير نائـب رئيس هيئة.. ده أنا حلو وأعجبك.. طب جربني وأنا هاشرفك والله.. ده حكاية حزب الوفد دي كانت غلطـة واكتشـفت إن سعادتك أرحم وأحلى منهم والله". شعرت بالحزن وأنا أتـذكر وحيد عبد المجيد الذي رأيته ذات عشـاء قبـل سـنوات مـع الصديق خالد الحروب وهو يتفجـر حماسـة وسـخطا علـى الأوضاع التي وصلت إليها مصر والأمة العربية، ويتحدث عن الاستبداد المقنع الذي تشهده مصـر وضـرورة أن يتكـاتف المثقفون لمواجهته والتصدي له، ثم فجأة ينسى كل هذا ليصبح أخصائي مسالك سياسية يتفرغ للسخرية من المعارضين بلسان عربي مبين ثم عندما يأتي الدور على مبارك ورجالـه يكتـب بنصف لسان كلامًا منمقًا مزوقـا التعمـيم فيـه أكثـر مـن التخصيص، بل إنه يتخلى عن حذره أحيانا فيكتـب بموالسـة لاريب فيها قائلا مثلاً في رزية روز اليوسف اليومية بـالنص

"إن برنامج الرئيس مبارك يمثل نموذجًا للبرنامج الانتخابي على أصوله"، ناسيًا أنه بكلام مثل هذا ينقلب علـى مواقفـه وذاتـه عندما لايقول إن هذا البرنامج ليس سوى كلام منمق لا محـل لتطبيقه على أرض الواقع كما يثبت الخبراء أصحاب الضمائر، وأنه يراهن رهانًا خاطئًا عندما يرتضي بأن يكون من هـازي الرقاب لسلطة تعتدي على شرف المعارضات وتلتف علـى أي خطوة إصلاحية لتفرغها من مضمونها وهو مـا لا ينبغـي أن يسكت عليه أي مثقف شريف، ودون أن يكون له فـي مثقـف محترم مثل الدكتور أسامة الغزالي حرب وصل إلى مواقع لـم ير أهل الحكم أن وحيد مؤهل للوصول إليها، وبرغم ذلك بـاع كل هذا واشترى ضميره وراحة باله، عندما أدرك أن ما يحدث تمثيلية كاملة المعالم ومن العار الاشتراك في كتابتها وإخراجها.

يا دكتور وحيد هل تظن أن كون المرء رئـيس هيئـة أو عضو لجنة أو حتى وزير سيادي أمر أكثر أهمية من أن يكون محترما لذاته ومتسقا مع مواقفه، أم أن صدام حسين الذي كنت تهاجمه وبشراسة كان أكبر خطأ له أنه لم يكن رئيس مصر. يا دكتور لا تعتقد أنه من الممكن إخفاء رائحة الموالسة أبدا على الأنوف الذكية فالموالسة هي الموالسة رائحتها سـتظل زفـرة مهما حط الواحد كولونيا أو لبس نضارة ريبان أو حصل على الدكتوراه في المسالك السياسية.

عد إلى ذاتك يا دكتور. وبالراحة على رقبتك شوية.

من شابه أباه!

قال لي صديقي لماذا لم ترد على جرنان ابن سمير رجب الذي شتمك بسبب قولك عن أن تسمية الجرنان بالريشة جـــاء نسبة إلى الريشة التي ولد أحمد فوجدها على رأسه، أقسمت له أنني لم أقرأ الجريدة، فقال لي أن موقفي هذا تم فهمه على أنـــه خوف من استمرار الجريدة في مهاجمتي، قلت له: إذا كنت لا أخاف من اللي مشغلين سمير رجب فهل أخاف منه ومن ابنه، وطلبت منه أن يحضر لي نسخة من الجريدة التي يبـــدو أنهـــا تخرج من المطبعة إلى باعة الترمس مباشرة دون المرور على القارئ، قرأت ما كتب عني لكاتب لم يمتلك شجاعة ذكر اسمه، وشاهدت الرسم الذي رسمه لي صديق لم يمتلك أيضًا شـــجاعة وضع توقيعه، فضحكت من قلبي وأدركت مدى المأزق الـــذي وقع فيه حيلة باباه، فهو عندما جاء ليهاجمني لم يجد أنني فـــي يوم من الأيام كنت كلب سلطة أو خدام سيادة ولم أقم يومًا بنفاق الحاكم بقلمي مستخدمًا في ذلك آيات القرآن الكريم والعياذ بالله، ولم أبدأ مشواري الصحفي بتجارة الشنطة وتسليك المتهـــربين

من الجمارك، ولم أرأس مؤسسة صحفية لكي أنهبها وأشفي عقد النقص التي بداخلي على قفا المال العام، فأحاول نسيان الكوز المخروم بالغطس في الجاكوزي، ولم أفتح لأولادي جرنال وأجيب لهم صحفيين ورسامين لكي يلعبوا بيهم مستخدمًا في ذلك الأموال التي سلكتها من خزينة المؤسسة، هنا أفتح قوسًا لأتساءل عن الذي يجعل فنانًا أو كاتبًا يبتذل قلمه ومهنته العظيمة كرسام كاريكاتير ليوظفها في خدمة ابن فاسد أو ابن موالس مهما كان احتياجه المالي أو كانت شهوته للنشر واللمعان، فلست أفهم كيف يكون المرء فنانًا معارضًا في الصباح ويعمل في خدمة الموالسين وأبنائهم بعد الضهر، وأقفل القوس لأقول إن ابن سمير رجب لم يجد هو والذين تحت يده فيّ شيئًا من العيوب السابق ذكرها فأخذوا يعيرونني بأفلامي التي أفتخر بأنها أسعدت الناس ودفعوا من جيوبهم ملايين لكي يستمتعوا بها، صحيح أن كل الملايين التي جلبتها هذه الأفلام لا تساوي شيئا مقارنة بالملايين التي يمكن لحرامية الصحف القومية أن يسرقوها، لكن هي على الأقل ملايين تم اكتسابها بشرف وكرامة، والذي يتصور أن هذه الأفلام حتى الذي فشل منها أو تم مهاجمته نقديًا يمكن أن يكون سببًا لمهاجمتي مخطئ للغاية، فأي جملة ترد على لسان كومبارس متكلم في أي من هذه الأفلام أصدق وأجدى من كل ما كتبه سمير رجب في حياته، وهو في أحسن الأحوال لا يخرج عن معنى واحد هو الموالسة لأهل الحكم، وكان يمكن أن أقبل الطعن في أفلامي

من ابن كاتب كبير له سمعة مهنية مرموقة وإنجـاز صـحفي يدعو للفخر، أما أن تأتي مذمتي من إبن سمير رجب فأشك أن يؤثر هذا الكلام على أحد، لأن الناس لم ولن تفقـد الـذاكرة.. وحاصل ما في الأمر أن ما كتب وسيُكتب في الصفحة أو حتى الصفحات التي يعدون لنشرها الآن سـيكون بمثابـة محاولـة الشهادة لي بأني كامل، وهي شهادة أرفضها مع احترامي لأبي الطيب المتنبي لأن الكمال لله وحده، وقد أكون مليئًا أنا وأفلامي بالعيوب البشرية لكن والحمد لله لا أظن أن من بين هذه العيوب الموالسة أو النفاق أو القوادة أو الفساد أو أكل أمـوال النـاس بالباطل، وإذا خلا المرء من عيوب كهذه هانـت أي عيـوب أخرى قد تكون فيه. عمومًا هذه فرصة لأن أشكر الله لأنه لـم يرد لي أن أكون ابن سمير رجب، فبالتأكيد من الصعب علـى الإنسان أن يرى نظرات السخرية من أبيه طيلة الوقت. خالص تضامني يا أحمد. معلهش ربنا عايز كده. ارضى بقضائه. ولا تنس أن مثلما للأمر سلبيات فله إيجابيات أبرزها أنك اتولـدت وعلى راسك "ريشة".

مغامرات تختخ أديب!

أعترف أنني فرحت جدًا بالصعود السياسي والإعلامي للسادة عماد الدين أديب كواحد من أبرز رموز حزب أشجار الجميز الذي أنتمي إليه، فقد كان مقلقًا لي أن ألاحظ أن كل رموز الفكر الجديد الذين تم تلميعهم سياسيًا وإعلاميًا هم من ذوي القوام الرشيق ربما لأن كروشهم لم تتضخم بعد بفعل السلطة كما تضخمت كروش سابقيهم، خفت أن يتم استصدار قانون يعفي السمان من مباشرة الحقوق السياسية كما يتم إعفاؤهم من التجنيد وهو مايقتل أي طموح سياسي لي إذا قررت يومًا ما أن أوالس أو أكتشف أن مصر بخير وأنني حاقد مارق مأفون. لذلك فرحت بصعود وتصعيد السادة عماد أديب والذي يعلنها دائمًا وأبدًا أنه ليس معنيًا بالتخسيس أو شفط الدهون، وأنه يحب شكله كما هو وهو ما أحاول أن أقنع نفسي به كل يوم منذ أن ضربت دون جدوى. ويبدو أن نظام الحكم سمع الهمزات واللمزات التي تثار حول تصعيد عماد أديب، فقرر أن يثبت أنه غير منحاز لأحد أيا كان وزنه فقام بمنح صديقنا مجدي الجلاد أنحف صحفي في مصر شرف إجراء أول حوار لصحيفة مستقلة مع رئيس الجمهورية، ويبدو أن

عماد أديب كان قد ملأ عين الرئيس الذي لم يستطع أن يتجاهل النحافة المفرطة لمجدي فقال له في بداية الحوار إنه لازم ياكل كويس لكي لا يقول الناس إنه مجوع الشعب، خفت عندما قرأت هذه القفشة الطريفة أن يكون الرئيس قد تخيل عندما شاهد عماد أن الشعب كله شبعان وواصل إلى حد التخمة، لكنني تذكرت أن الرئيس يعرف أن ذلك غير صحيح من واقع جولاته الميدانية ومن واقع اختياره للدكتور أحمد نظيف طويل نحيف، بغض النظر عن الأسباب الكامنة وراء نحافة الدكتور نظيف والجلاد مجدي. (على فكرة التقيت بمجدي منذ عدة أيام واكتشفت أنه لم يسمع كلام الرئيس فهو لا زال نحيفًا ونصحته أن يبادر بأكل مربة خرز البقر لأن تجاهل تعليمات الرئيس أمر خطير قد يضعه ضمن خانة أعداء النظام وهو ما لا نرضاه لمجدي الذي نريده أن يستكمل نجاحاته في المصري اليوم).

دعونا الآن من صديقنا مجدي فأنا أعرف أن حديثنا عنه قد جوعنا جميعا لذلك دعونا نشبع أنفسنا بالحديث عن عماد أديب الذي كان دومًا يمثل لي نموذجًا للرصانة والاتزان وحساب كل كلمة قبل النطق بها، وكان دائما نموذجا جديرًا بالإعجاب سواء من خلال عبقريته في إدارة أموال المستثمرين العرب الذين يعمل لصالحهم، وقام من خلال علاقاته بهم ببناء امبراطورية إعلامية غزت السينما بقوة مؤخرًا، أو من خلال تجربته كمذيع لامع في قناة "الأوربت" كان يقدم برنامجين في غاية الأهمية والنجاح فرض نفسه من خلالهما كمذيع مقتدر ورصين، أتذكر

عندما كنت ضيفًا ذات مرة على برنامجه أنني أعجبت للغاية بقدرته على استيعاب أي غضب أو توتر تثيرهما أي مكالمة على الهواء. وهنا يجب أن أقول إنني على الجانب الآخر كنت من أشد كارهي ومنتقدي شقيقه عمرو أديب مذيع برنامج "القاهرة اليوم" الذي كان أداؤه يمثل لي نموذجًا للخفة والاستظراف وعدم اللياقة، حتى أننا اشتبكنا ذات مرة في مواجهة ساخنة على الهواء كادت أن تحول إلى خناقة. لكن الأيام تعلمنا دائمًا أنه ليس هناك مواقف نهائية أبدًا، وأنه لا يجب أن نصدر أحكامًا نهائية على أحد أو على شيء. فمن كان يتصور أنني وكثيرين غيري سيأتي علينا اليوم الذي نصبح فيه من أشد معجبي عمرو الذي تطور أداؤه تطورًا مذهلاً وأصبح نموذجًا لما ينبغي أن يكون عليه الإعلامي من الحياد والاتزان والبحث عن المصداقية والولاء للمشاهد لا للحاكم، بينما تحول عماد أديب إلى موظف غير متعاقد لدى الرئيس وولده. بالطبع لا نلوم الرجل على إعلانه عن حبه للرئيس مبارك وتأييده له، فهذا حقه خاصة وقد أعلن الرجل بكل صراحة أن مصالحه مع الرئيس مبارك أو على حد تعبيره في لقائه ببرنامج "القاهرة اليوم" أنه مع الرئيس مبارك سيكون أكثر أمانًا. فنحن نعلم أن تأييد الرئيس مبارك حصن أمان للملايين. فقط ما لا أفهمه هو أن لا يكتفي عماد أديب بهذا التأييد الذي نحاول أن نتفهمه بوصفنا لسنا ما شاء الله أصحاب مجموعة شركات من حقنا الدفاع عن مصالحنا، بل أن يقوم بفتح النار في البرنامج على

الأستاذ محمد حسنين هيكل لأنه تجرأ وطالب الرئيس مبـــارك باعتزال السياسة وترك الساحة لمن هو أقـــدر منـــه صـــحيًا. الغريب أن عماد لم يكتف بانتقاد هيكل بأدب يســـتحقه الرجـــل الذي حاول أن يتحدث عن مبارك بكل تهذيب ممكن، ويؤكـــد على أنه يهاجم سياسة مبارك لا شخصه. بل حوّل الأمر إلـــى اتهام لهيكل بأنه يريد أن يكون حامل التوكيل الحصري للحقيقة، وهو ما يقول عماد إنه تعب هو وجيله من أجل محاربة ذلـــك، صحيح أننا لم ننل الشرف في أن نعرف من هم الذين يعتبرهم عماد جيله، إلا إذا كان يتحدث عن نفسه بوصفه جيلاً كـــاملا وهذا حقه، لكن ليس هذا هو ما يهمنا الآن، المهم هو أن نسأل عماد الذي كان زمان يحرص على الدقة والاتزان، متى قـــال هيكل إنه حامل التوكيل الحصري للحقيقة، ومتى أوحى بـــذلك، وكيف يجرؤ على تسطيح موقف هيكل بأن يقول إنه ينتقد نظام مبارك لأنه لم يتم اختياره ضمن مستشاري الـــرئيس. ولســـت أدري من هو الأهطل الذي يمكن أن يصدق أن هيكـــل الـــذي رفض أن يكون ضمن جوقة السادات واختار أن يعود صـــحفيًا مهنيًا يعيش مما يكتب، يمكن له أن يطلب أن يكـــون ضـــمن مستشاري مبارك الذين كانوا جميعًا من صنائعه وهي واحـــدة من أخطاء هيكل بالمناسبة الذي كان نـــادرًا مايجيـــد اختيـــار تلاميذه.

إن هناك أمورًا كثيرة يمكن أن يختلف فيهـــا المـــرء مـــع الأستاذ هيكل لكنني كنت أتمنى أن يحاول عماد الـــذي يأكـــل

دماغنا دائمًا في مقالاته بضرورة الالتزام بـآداب الحـوار أن يلتزم ببعض هذه الآداب عندما يختلف مع هيكل الذي هو إن لم يكن في مقام أستاذه فهو في مقام أبيه، فليس من الأدب أن يلمح عماد إلى أن هيكل لا يكتب إلا عن الناس الذين ماتوا، ويلجـأ لتهديده بأن يكشف عن علاقته بمبارك بدل من أن يلجأ عمـاد لكشفها بما لديه من "مستمسكات"، وهي لغة تصلح لشخص يهدد فتاة بأن لديه سي دي فاضح لها أو تسجيلات مخلة بـالآداب، لكنها لا تصلح للحوار مع شخص كهيكل كان بإمكانه أن يستفيد ألف مرة لو والس أو نافق أو جامل، كان من الممكن أن يكون من بطانة الحكام بدلاً من أن يكون جالسًا في مكتبه يأتيه مـن يريده، ويختار من يريد من بين من يأتيه، كان من الممكـن أن يكون لديه مجموعة صحف برغم أنه لم يكتب يومًا مقالاً مهمًا أو نتذكر له جملة مثيرة للاهتمام، كان يمكن أن نراه منذ سنين على شاشات التلفاز، بدلاً من أن يحصل على هـذا الحضـور متأخرًا جدًا في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لما لديه من رؤية ومعلومات نتفق معها أو نختلف، لكنها تظل جديرة بالاسـتماع والاهتمام والمناقشة.

من العيب أن يطالب عماد أديب هيكل بالشجاعة كأن هيكل يفتقد إليها، مع أن الشجاعة في حد علمنا ليست أن تقف كفيـل مذعور أمام الحاكم فلا تجرؤ على أن تسأله أي سـؤال ينفـع الناس أو يهمهم، والشجاعة ليست في أن تهاجم شخصًا لا يملك إلا قلمه، بل الشجاعة أن تقول لنا ما هي عيوب القوي القادر،

والحقيقة أننا لم نسمع أبدًا عماد أديب وهو يقول لنا ما هي عيوب الرئيس مبارك من وجهة نظره حتى نصدقه وهو يقول لنا مميزاته، سمعنا فقط كلامًا عن الأمان والضمان، وهو كلام يليق بمندوب شركة تأمين لا بإعلامي بحجم عماد أديب، أعني الحجم الإعلامي لا المادي.

لقد استغربت جدًا اللغة التي استخدمها عماد أديب في رده على عمي وأستاذي أسامة أنور عكاشة الذي لقن عماد درسًا سياسيًا بليغًا في تعقيبه على مطالبة عماد لهيكل بأن يطبق دعوته للاعتزال على نفسه فقال له أسامة إن "الحاكم لابد أن يكون صحيح البدن لأنه يحمل مسئولية أمه وشعب، في حين أن الكاتب يمارس مهنة إبداعية وفكرية إذا ارتبك فيها بسبب سنه فلن يضار إلا هو، فهل طالب أحد ماركيز بألا يكتب ليستريح؟". وكنت أتوقع أن يصمت عماد ويدرك ما وقع فيه من خطأ ويستخدم ذكاءه الذي اكتسبه من البيزنس بأن يترك الخطأ يمر لكي لا يقوم بتجسيمه لكنه أبى وقام بالاتصال بالبرنامج في مكالمة مرتبكة بدا فيها منفعلاً، وفاقد التركيز، محاولا أن يظهر استقلاله بعبارة أظنها لا تليق هي "يولع الحزب الوطني"، لا أعتقد أننا نحن الذين نتهم بالنزق والطيش قلنا عبارة مثلها، فليس في الدعوة بالولعة على أي أحد أي حكمة سياسية، أقول ذلك بوصفي من أبرز فاقدي الحكمة السياسية، كما أن نغمة أن الحزب الوطني كخة والرئيس مبارك حلو نغمة محروقة لم يعد أحد يفكر في تحميلها والاستماع إليها خاصة وقد أعلنها جمال

مبارك والذين معه وتحته أن الــرئيس هــو مرشــح الحــزب الوطني، وباستخدام قواعد المنطق سيكون عماد أديب في ورطة سياسية بسبب دعوته "يولع الحزب الوطني"، ولولا أننا نعــيش في عرس الحرية بالسين ولولا أن الرئيس ورجاله يعلمــون أن عماد قال هذه العبارة في ساعة طيش أو ساعة جــوع لكــان زمان سلومة الأقرع يقوم بعملية شفط دهون لعماد أديــب فــي عاصمة جهنم الكائنة بسجن "العقرب". ولعلي بعد تحليل طويل أعتقد أن سر عصبية السيد عماد كانت ربما في أنه قرر أخيرًا أن يقوم بعمل ريجيم قاسٍ ظنًا منه بعد مقابلة الرئيس لمجــدي الجلاد أن النظام أدرك خطورة السمنة عليه، وكما نعلم جميعًــا فإن الريجيم يصيب بالعصبية خصوصًا لو كان ريجيم مــوز، وهو الموز الذي كان على الأرجح سبب انزلاق لســان عمــاد أديب في كلامه عن هيكل.

يهمني أن أؤكد هنا على أنني لم أكن يومًا مــن دراويــش الأستاذ هيكل، ولم يجمعني اللقاء به منفردًا إلا مرة واحدة منذ سنوات كان بيننا حوار لم أنشره بعد، كما أنني لست من أعداء الأستاذ عماد أديب وليس بيني وبينه أي مصلحة أو كراهية فأنا أقل منه سنًا ومقامًا وثروة ووزنًا ـ أنا بالبس ثلاثة إكــس ـ وأصارحكم أن العديد من أصــدقائي المخــرجين والممثلــين نصحوني في المرة الأولى التي انتقدتــه فيهــا بعــد حــواره "المفاجع" مع الــرئيس أن أصــالحه لكــي أســهل مهمــة أي سيناريوهات أفلام يريدون عرضها على شركته، لكنني قلت لهم

أن يعتبروا الأمر فرصة لاختبار ليبرالية السيد عمـاد أديـب، والحقيقة أنهم كانوا أكثر ذكاء مني فلم يفكروا في اختبار هـذه الليبيرالية التي كان هجوم عماد على هيكل فرصة لفضح أنهـا ليبيرالية بأستك يتم مطها حسب المقاس الذي يفضـله السـيد عماد، ولكن أستك هذه الليبيرالية صناعة مصرية على ما يبدو فهو لم يتحمل جرأة هيكل ولا خروجه على النص، ولا إدراكه أننا في لحظة فارقة لا يصلح فيها أن نتكلم بنصف لسان، ولذلك لم يجد النظام أثقل من عماد أديب لكي يطلقه على هيكل فيهدده بأن يعملوا له "فتيحة" ويذيعوا جوابات الغرام وشرائط الهـوى التي كان يبعثها للنظام من وراء ظهر قرائه.. مع أن المنطـق يقول إنه لو كان أحد قد أمسك ذلة على الأستاذ هيكل لما كـان قد تكلم بكل هذه الجرأة وكل ذلك الصدق.

وفي انتظار أن يكشف السادة عماد أديب عن مستمسـكاته على هيكل أقول لكم أنني قررت أن أقوم بريجيم قـاسٍ لأنـني أعاني من صدمة حادة في عماد أديب الذي كان يمثل بالنسـبة لي رمزًا مشرقًا، وكان يذكرني بأباطرة الإعلام الناجحين أمثال تيد تيرنر ودان راذر وروبرت ماكسويل وروبرت ميـردوخ، فأصبحت بعد معاركه المنفلتة ومغامراتـه الطائشـة يـذكرني بتختخ زعيم عصابة المغامرين الخمسة.

محمد علي إبراهيم.. قوة قتل ثلاثية!

أنجبت الإيجيبشيان جازيت لمصر إثنين من أعلامها: محمد حسنين هيكل ومحمد علي إبراهيم. قد لا تعرف محمد حسنين هيكل، ولا ألومك لكنك بالتأكيد تعرف محمد علي إبراهيم، بالتأكيد أضاءت كلماته ليلك الطويل وساعدتك على أن تشعل شمعة ثم تلعن الظلام والشمعة. إيه ده؟ معقولة، لا تعرف محمد علي إبراهيم، سأفترض أن الاسم الثلاثي لخبطك، وسأتسامح معك وأعذرك بجهلك أو فلنقل سأذكرك والذكرى تنفع القراء بأن محمد علي إبراهيم هو رئيس تحرير "الجمهورية" والذي أتاها من جريدة الإيجيبشيان جازيت.

يااه.. أنا آسف تذكرت الآن أنك كشأن كل القراء المصريين لا تجيد القراءة بالإنجليزية ولذلك فأنت معذور لأنك لم تكن تقرأ إسهامات السيد محمد إلخ (مضطر لعدم ذكر اسمه الثلاثي كل مرة لكي لا يلتهم المساحة المخصصة للمقال.. مع بالغ أسفي لأنه ليس صديقا لي وإلا لكنت أطلقت عليه اسم دلع يحفظ له تواجده اللائق ضمن سطور المقال). لكن على أي حال

الآن وقد جاء محمد إلخ من غياهب الجازيت إلـــى صـــحراء الجمهورية الخضراء فقد حق عليك أن تقرأه فهذه أقل عقوبـــة تستحقها إذا كنت من قراء الجمهورية، صحيح أن الاســتدلال على مقال سيادته صعب للغاية خاصة أنـــه رئـــيس التحريـــر الحكومي المتواضع الوحيد الذي لا يلطع صورته على العبرات والنظرات التي يتحفنا بها في صفحته الإسبوعية كـــل خمـــيس مساهمة منه في سياسة تنظيم الأسرة، فقراءة مقاله أشد فعاليـــة من كل مساعي السيدة الفاضلة كريمة مختار من أجـــل إقنـــاع المصريين أن يأخدوا بالهم في يوم الأجازة، لست هنا أخيفـــك لكي تحرم نفسك من السياحة الفكرية وسط حدائق محمد علـــي إبراهيم الغناءة، فقط "خد بالك" وبيّت المقال وإقراه يوم الجمعة بالليل لكي تنسد نفسك وتنام بدري وتقوم إلى عملك نشيطاً.

لقد حار فكري في معرفة السبب الذي يحدو بسيادته إلـــى عدم إتحافنا بنشر صورته مع مقاله، ليس لأني أشك أنه اســـم مستعار يتخفى خلفه كاتب ــ كما يفعل مفيد عابـــد أو ســـعدة وجدي ــ، ولكن فقط أريد أن أرى صورته لكي يطمئن قلبي أن المنصب لم يغيره، فأنا أذكر صورته التي نشرت فور توليـــه المنصب وقد كانت صورة هاربة من كتالوج أزياء صدر فـــي السبعينات، ثم فجأة اختفت الصورة في ظروف غامضة ولـــم تظهر بعد ذلك ربما لأن القراء صـــدموا عنـــدما رأوا رئـــيس تحرير جريدتهم المحبوبة وهو يبدو نحيلا شاحبا أشعث أغبـــر عليه علامات السفر ولا يعرفه منا أحد، خاصة وقـــد تعـــودوا

على رؤية رئيس التحرير السابق لحيمًا منتفخ الأوداج مشرئب الأعناق طازج الكبسولات شلولخ، ولذلك اختفت الصورة سريعًا مع أننا أصبحنا بعد عدة أسابيع من قراءته نفضل نشر الصورة فقط مع حجب الكلام الذي يكتبه، خاصة وأنه يكتب بلغة ركيكة لا ندري هل سببها أنه تعود على الكتابة بالإنجليزية، وأصبح الانتقال إلى الكتابة باللغة العربية صعبًا عليه، فأصبحت كتابته تذكرك بعربية السياح الأجانب المترددين كثيرًا على مصر أو انجليزية الخرتية التي تعلموها من السياح، والذين يستخدمون تراكيب غريبة في الجمل للتعبير عن ما يريدونه، يقول السائح مثلا للمواطن المصري إذا أراد أن يركب حمارا عند الهرم "أنا حمار يركب؟"، لا يفهم المواطن شيئًا من الجملة فيتدخل الخرتي لتوضيح الأمر قائلا "هو حمار يركب؟". بالطبع يصل المعنى في نهاية الأمر لكن بعد أن تراق دماء اللغتين العربية والإنجليزية على مذبح الركاكة. وإذا كان ذلك مقبولا من سائح أو خرتي فمن الصعب أن يكون مقبولاً من رئيس تحرير صحيفة كانت أهم صحيفة مصرية في الخمسينات والستينات، بل إنها كانت معقلاً لكتيبة من "الكتّيبة" من كافة الاتجاهات والتيارات كان يجمعهم فقط تميز الأسلوب وحرفنة الكتابة، قبل أن يجور عليها زمان الحزب الوطني لتبتلى بكتاب عديمي الخيال والموهبة يحتلون صفحات كان يكتب فيها كامل الشناوي وطه حسين وناصر الدين النشاشيبي وكامل زهيري وعشرات غيرهم من ملوك الكتابة.

بالطبع ليست براعة الأسلوب شرطا لكي تكون رئيس تحرير ناجحا، فقد يكون لدى السيد محمد إلخ مواهب قيادية بارعة وقدرة خلاقة على عمل صحيفة ناجحة تضارع كبريات الصحف العالمية، صحيح أنه لم يبين كرامة لذلك حتى الآن، اللهم إلا إذا كانت معاندة سمير رجب بإعادة من اضطهادهم للكتابة ثانية هي غاية المراد من رب العباد ومنتهى التطوير الذي سيتحقق في الجمهورية، لكن على أي حال لا زال الوقت مبكرا لإصدار أحكام نهائية على التطوير الذي سيحدثه محمد إلخ في الجمهورية، وحتى يحدث ذلك نتمنى عليه فقط أن يركز على تطوير الجمهورية ويترك الكتابة لأهلها، فليس عيبا أن تكون رئيس تحرير وتكتب مقالا صغيرا كما يفعل رؤساء تحرير الصحف العالمية الكبرى التي تحترم قراءها وتدرك أن كتابة الرأي أمر لا ينبغي أن يتصدى له كل من هب ودب، فمن المهم أن يكون لدى كاتب الرأي ما يقوله والأهم أن يعرف كيف يقوله، وإذا كان الأستاذ محمد علي إبراهيم يعتقد أن مجرد كون اسمه ثلاثي يدعو القارئ لاحترام رأيه مثلما يحترم رأي محمد حسنين هيكل أو مكرم محمد أحمد أو محمد سيد أحمد فهو مخطئ للغاية، لأن الاسم الثلاثي يمكن أن يكون ماركة مسجلة للاحترام لكن أيضا يمكن له أن يكون قوة قتل ثلاثية للقارئ.

لقد كان من الأفضل لنا وللسيد محمد إلخ أن يجهد نفسه بمحاولة الارتقاء بحصيلته اللغوية والمعرفية أو حتى بمحاولة

تطوير صحيفته وجعلها أكثر جذبًا للقارئ، بدلا من شغل وقته باستعداء أولي الأمر علينا وعلى زملائنا في الصحف المستقلة، لدرجة أنه اعترف أن مايؤرقه ويشغل باله هذه الأيام هو هذه الصحف المستقلة وماذا ستفعل معها الحكومة وهل ستتركها تنتقص من "قدرة الرئيس وقدراته" حسب نص بلاغه الأمني الذي قدمه في الصحف المستقلة ـ طبعا لا يخفى عليك أن المعني بهذه الكلمة تحديدًا صحيفتي صوت الأمة والدستور ـ والذي جاء فيه عبارات تصلح لأن تكون في تقرير أمني لا في مقال صحفي مثل "انتقادات الصحف جاءت مصحوبة بسوء الخلق والتطاول وخلطت بين شخص الرئيس وتصفية حسابات بين قيادات هذه الصحف وأعضاء بالحكومة وقد تسبب هذا التدني في جروح لن تندمل بسهولة، لأن هذه الصحف لم تنتقص من هيبة الرئيس ومكانته، لكنها انتقصت وهددت قيمة المنصب"، طيب يا سيد محمد إذا كان الرئيس نفسه قال إنه لا يبالي بمن يعارضه، وأن ذلك لا يؤثر عليه إطلاقًا، فكيف تفتي سيادتك بأن جراحًا طالت منصبه، هل شكى لك المنصب من هذه الجراح وكيف تصرفت وأنت ترى الدماء تنزف من المنصب، ياليتك تقول لنا لكي نتعلم منك كيف يمكن أن نتصرف إذا رأينا منصبًا ينزف، فبالتأكيد إسعاف المنصب المصاب أمر يختلف عن إسعاف الشخص المصاب. هذا أولاً، أما ثانيا هل هذا هو الفكر الجديد الذي جئت أنت وزملاؤك لكي تعبروا عنه؟ أليس هذا هو ذات أسلوب التحريض والتبليغ

والدعوة إلى قمع الرأي الآخر تحت مسمى التهذيب والتأديب والإصلاح؟ لماذا لم تذكر نموذجًا واحدا لما اعتبرت أنه سوء خلق أو تطاول على شخص رئيس الجمهورية، هل لأنك خشيت على أخلاق قراء الجمهورية من أن تتأثر بهذا السوء من الخلق ويمكن يتجرحوا هم كمان ولا تندمل جراحهم بسهولة، أم لأنك تعلم أن كل ما يكتب في الصحف المستقلة لا يمس شخص الرئيس في شيء بل هو خلاف مع سياساته وقراراته، وهو خلاف مشروع يمثل جوهر الديمقراطية في العالم كله، وأنت تعلم أنه لو قام أحد في أي صحيفة بالتطاول على شخص الرئيس لما تركته الدولة في حاله ولطبقت عليه قانون إهانة رئيس الجمهورية أو قانون العيب أو أي قانون آخر يمكن أن يصدر في غمضة عين.

وياليتك يا سيد محمد إلخ اكتفيت باتهام مخالفيك في الرأي بتصفية الحسابات مع مسئولي الدولة لمصالح شخصية، بل لقد أصررت على أن تتجاوز كل الخطوط الحمراء وترجع للقاموس القديم الذي سنه الموالسون القدامى من قبلك، والذين ظنناك وأمثالك قد جئت بفكر جديد يتجاوزهم فإذا بك تبزهم في كيل الاتهامات الدنيئة دون سند أو دليل، فأخذت تتهم المعارضين بأنهم يعملون لمصلحة الخارج معتبرًا أن تقليل أمريكا الهجوم على النظام المصري في الفترة الأخيرة سببه قيام هؤلاء بانتقاد رئيس الجمهورية. ويبدو أنك يا سيد محمد لا تفتقر فقط إلى الشكل السينمائي ولا إلى الأسلوب المتميز ولا

إلى الحصافة السياسية بل أنت تفتقد ما هو أهم من كل هؤلاء بالنسبة للكاتب ألا وهو الخيال، ألا ترى أنه من انعدام الخيال الآن أن تتهم من يعارضونك ويختلفون معك في الرأي بالعمالة للخارج، خاصة وأنهم لم يضبطوا لا متمولين ولا مداهنين لأمريكا ولا للغرب ولا متزلفين لهما، هل لديك الشجاعة لتخرج لنا وثيقة أو قصقوصة ورق أو تسجيل مكالمة تليفونية يثبت عمالة صحفنا المستقلة وكتابها للغرب، وهل تظن أنه لو كان ثمة دليل على ذلك كانت أجهزة الأمن ستسكت سواء ما كان منها يؤدي خدمات وطنية جليلة تكشف العملاء والانتهازيين أو ما كان منها يطلق ال تهامات يمينا وشمالا لتشويه المعارضين الجادين لنظام الحكم.

هل تظن أنك أصبحت الآن بطلا لأنك تقوم بمهاجمة أمريكا والخارجية الأمريكية بخطابات نارية تعلم جيدا أنها لا تسمن ولا تغني من جوع، لأن أمريكا تعلم أن تأثير مقالاتك ينتهي حيث يقف سايس جراج الجمهورية الذي يقول لك وهو يفتح لك الباب "الله ينور يا باشا مية مية ضبطت أمريكا جامد". وهل البطولة أن تستقوي على العدو الخارجي الذي لا يلقي لك بالاً والذي ما تهاجمه إلا ليقربك ذلك إلى أولي الأمر زلفى، بينما لا نسمع لك صوتا عاليًا في مواجهة سياسات الفساد والإفقار والتخلف التي تسود في هذا العهد المبارك. هل لديك الشجاعة لكي تكتب ولو لمرة خطئاً قام به الرئيس مبارك؟ ألا يخطئ الرئيس مبارك؟ قلها لنا لو كنت شجاعًا، هل هو معصوم

من الخطأ؟، لا أعتقد أنه هو نفسه يمكن أن يقـول ذلـك، إذن فلتقل لنا ولو خطئاً واحدًا له لكي نعلم أنك تمتلك قلمًـا وطنيًـا صادقًا وشجاعًا، اذكر لنا مرة اختلفت فيها بصوت عـال مـع سياسات الرئيس مبارك من باب التغيير حتى أو التجديد أم أنك تظن أن الناس بلهاء لكـي يصـدقوا أن السياسـات الخاطئـة التي يرتكبها هذا الوزير أو ذاك هي سياسات تتم بـدون علـم سيادته، كما تحاولون أن توحوا بذلك أحيانا. قل لنـا أخطـاء رئيس الجمهورية يا سيد محمد إلخ لكي نصـدق أنـك تؤيـده عن حب واقتناع وصدق ولست مدعومًا من الخـارج فتكبـر في نظرنا ونشعر بأن ملايين الدولارات التي نتلقاها كل شـهر من أمريكا هي فلوس حرام فنقـوم بإرجاعهـا أو التنصـيص معك فيها حتى نشعر أننا آتينا ذوي القربـي والوطنيـة مـن بني جلدتنا.

لقد احترت كثيرًا في فهم شخصيتك يا سيد محمد إلخ منـذ كتبت مقالك اللوذعي الذي قلت لنا فيه إنه لا ينبغي أن نحاسب الرئيس مبارك على كل سنين حكمه بل نكتفي بآخر عام فقط، ثم ازدادت حيرتي باتهاماتك المرسلة الأخيـرة لكنـك أزلـت حيرتي وساعدتني على فهم شخصيتك العريضة المنكبين عندما تحدثت في بقعة أخرى من ذات مقالك عن قرارك بالخروج من "كهوف الرتابة" والذهاب إلى السينما على رجليك لتشاهد فـيلم عادل إمام الأخير، وللأسف لم نكن نعلم نحن رواد وسط البلـد بذلك، فنحتشد لاستقبالك كما كان أجدادنا يحتشـدون لمشـاهدة

عباس العقاد وهو يذهب إلى مكتبة الأنجلو أو نجيب محفـوظ وهو يتمشى نحو كازينو قصر النيل، ولعلك لو نشرت صورتك البهية لمنحتنا شرف أن نتفرس في وجوه المارة للتعرف عليك، ونعطيك بعض ما نأخذه من دولارات أمريكا لكي تجرب معنا حلاوة العمالة والخيانة، خاصة وأنت تتلظى في جحيم الموالسة والموالاة.

لقد أضحكتني يا رجل حتى الثمالة وأنت تحكي في مقالك كيف كنت تجلس في السينما أيام زمان أنت وأصدقاؤك لتشـم عطر سيدات المجتمع، وهي هواية لم أر لها مثيلا على كثرة ما رأيت، أعرف أن الناس تذهب إلى السينما لتشاهد أفلامهـا أو تنام فيها حتى يأتي موعد القطر أو حتى تنعم قليلاً بـالتكييف، لكنني لم أر قبلاً أحدًا يذهب إلى السينما ليشم، يعني لم أسـمع أحدا يقول لصديق له "أنا رايح حفلة ستة عشان أشـم برفـان جديد"، أو أشاهد أحدًا يقطع تذكرة بعيدة عن الشاشة وقريبة من الستات اللي حاطين برفان علشان يتفرج ويشم، وصدق من قال للناس فيما يشمون مذاهب. عمومًا يا سيد محمد لعل موهبتـك في الشم التي اكتسبتها من زمان أفادتك في تشـمم اتجاهـات الرياح بحيث تأتي دائمًا بما تشتهي السفن، وهـو درس جديـد ينبغي أن يستفيد منه الصحفيون الجدد بـأن يقومـوا بتنميـة مهاراتهم في الشم التي باتت المرحلة القادمة تتطلبها، وعلى أي حال هنيئا لك بما أنت عليه، فقط راعي أننا أيضا نشم رائحـة الموالسة الفائحة من كتاباتك، لذلك حاول أن تضع عليها بعض

العطر بس بلاش كولونيا خمس فترات والنبـــي لأن خـــلاص الريحة خنقتنا. ولعلنا نلتقيك قريبًا في حفلة سينما لتعلمنا كيـــف نجمع بين متعتي المشاهدة.. والشم.

الركّة على "الفينيش"!

منذ أن فقد المواطن المصري رغبته في الحياة وأصبح لايعيش الحياة بل "يقضّيها"، أصبحت الشكوى دائمة في كل مجال من انخفاض الجودة وتدهور التقفيل أوعدم وجود القدرة على "الفينيش" في أي شيء، أصبحنا جميعًا متعايشين مع مصطلح الفينيش الذي لا يدري أحد متى أو كيف دخل إلى حياتنا وأصبح جزءًا منها، بل وأصبح أرقى لفظ مديح يمكن أن تسبغه على الصنايعي أو صاحب الحرفة الذي يعي بدوره ذلك فيرفع سعره، وإذا سألته عن الذي يجعله يأخذ منك سعرًا غاليًا مقارنة بجاره أو زميله، صعّر لك خده ومشى في الأرض فرحًا وهو يقول لك "سوري في اللفظ.. الركة على الفينيش". وأنت بدورك تدفع له راضيًا صاغرًا فإذا سألك أحد كم دفعت واستهول المبلغ الذي دفعته أخذت تنبهه إلى السر وتقول له "أصل العبرة بالفينيش".

أصبح الكل في مصر يشكو من الفينيش، تسأل أهل الصناعة والاقتصاد عن سر عدم قدرة الصناعة المصرية على

الخروج إلى أسواق العالم، خاصة وقد وقعنا على كل المعاهدات اللازمة وفتحنا أبوابنا على البهلي، فيجيبك هؤلاء بمرارة "إحنا صناعتنا كويسة ومتينة بس للأسف عندنا مشكلة في الفينيش".

أينما ذهبنا تطاردنا مشكلة الفينيش، أعرف أصدقاء لي تأخرت زيجاتهم لأنهم اضطروا لإعادة شققهم التي كانوا يقومون بتشطيبها بعد أن اكتشف أهالي زوجاتهم أن هناك عيبًا في الفينيش لا تستقيم الحياة الزوجية معه. في السينما تطاردك أيضًا مشكلة الفينيش، ولن أتحدث عن شغل غيري بل أتحدث عن نفسي، أنا شخصيًا كانت لدي أفلام كنت أظنها ستخرج للناس ميت فل وعشرة ثم أكتشف وأنا أشاهدها مع الناس أن هناك مشكلة في الفينيش. روايات كثيرة نقرأها فنتحسر على أن كاتبها لم يأخذ باله من الفينيش فأفسد روايته. الصحف نقرأها كل صباح مكتشفين أن عيبها الرئيسي في الصياغة والتحرير والإخراج والطباعة يكمن في الفينيش.

إذن من البديهي أن يمتد عيب الفينيش حتى إلى الموالسة طبقا لنظرية الأواني المستطرقة، وهو أمر مؤسف بالنسبة لصناعة عريقة تعتبر من أقدم الصناعات في مصر، بل إنها كانت أهم من صناعة القطن والسينما والقرع، لم تصل الموالسة في مصر إلى درجة من إنعدام الفينيش كما وصل الأمر الآن، ولن أعود إلى العصور الغابرة فأذكر نماذج من موالسات الأقدمين بل سأعود إلى الماضي القريب لأذكر بموالسات صالح

جودت وموسى صبري وصبري أبو المجد وأنـيس منصـور وغيرهم من موالسي عهدي عبد الناصر والسادات الذين كانوا يحرصون على إجادة بضاعتهم وخروجها خالية مـن عيـوب التصنيع والتجميع، يمكن لك أن تزدريها لكنك أبدا لا تتهمهـا بالافتقاد إلى الفينيش كما هو الحال الآن.

آخر الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها والتي أرسلها الكثير من الأصدقاء إليّ مشكورين عبر الإيميل دون أن يعلموا أننـي كنت قد أحطت بها علمًا لأنني لا يمكن أن أحرم نفسـي مـن فرصة قراءة رائعة أدبية من روائع الكاتب ابـراهيم مسـعود، خاصة إذا كانت قد نشرت تحت عنوان "نسر مصر" وصاحبها رسم رقيق للرئيس مبارك، عندها لابد أن أترك حالي ومحتالي، وأتفرغ مثل الإخوة الذين حظوا بنعيم قراءة هذه القصة الأدبية والتي بذل ابراهيم مسعود فيهـا جهـدًا لا تطيقـه الوحـوش الضواري، لكن ماذا نقول وقد أفسده عندما افتقد إلى الفينـيش فأفسد كل صنيعه بل وأتى بعكس ما كان يريده.

في قصته التي اختار لها معمارًا أدبيًا لا يـذكرك بعصـر الروكوكو بقدر ما يذكرك بعصر "الركاكـا"، يقـول إبـراهيم مسعود مشكورًا بأن الرئيس مبارك استيقظ وصلى الفجر ثم قرأ ما تيسر من آيات القرآن الكريم وختم قراءته بسورة النصـر، بالمناسبة لم يقل لنا إبراهيم مصدر معلوماته ولا من حدد لـه الآيات التي قرأها الرئيس.. هل هو المصحف نفسه أم سـجادة الصلاة التي كان يجلس عليها الرئيس، لكن هذا لـيس مهمّـا،

المهم ما يدعيه إبراهيم أن الرئيس بعد ذلك "خرج من حجـرة نومه فوجد السيدة الفاضلة حرمه وولديه على مائدة السفرة في انتظاره ليتناولوا معه طعام الإفطار"، لست أدري أين ذهب عقل الأستاذ إبراهيم مسعود لكي يتهم الرئيس مبارك بأنه كان فاطرًا في يومٍ جليلٍ كهذا في السادس من أكتوبر العاشر من رمضان الساعة سبعةً الصبح على ترابيزة السفرة، إنني باسم كل مصري أطالبك يا أستاذ إبراهيم أنت ومسئولي تحرير الأهرام قاطبة بالاعتذار بشكل رسمي للرئيس مبارك عن هذه الفرية التي تحاولون إلصاقها به، فحاشا لسيادته أن يفطر في يومٍ جليلٍ كهذا، إلا إذا كان لديكم معلومة موثقة بذلك على أساس أنّ سيادته كان على سفر أو كان لديه رخصة باعتباره في حالة حرب، وهو ما يحتاج تأكيدا، وإلا فلتدفعوا هذه الفرية التي باتت حديث الركبان في منتديات الإنترنت، والتي يمكن أن يستخدمها المستهدفون لتشويه تاريخ الرئيس مبارك مستندين إلى أنها نشرت في أكبر صحيفة مصرية.

قبلها بأيام كنت قد لمست تطبيقًا آخر لمشكلة الفينيش التي تهدد بضرب صناعة الموالسة في مقتل عندما قرأت تغطية صحيفة "المصري اليوم" لاحتفال أجري بمناسبة الفوز المجيد للرئيس مبارك على منافسيه الخطرين جمعة والعجرودي وغزال، وانبرى في الاحتفال السيد عبد اللطيف الأقرع نقيب المعلمين بقلين ليلقي قصيدة قرعاء، أقصد عصماء، قال فيها "فؤادي قد أنبتك بالسلام.. على رمز المحبة في الأنام.. فناداني

فؤادي وقال من ذا.. يكون رئيسكم نسل الكرام.. فقلت وقد غضبت على فؤادي.. أنور البدر يُنكر في التمام.. هو حسني مبارك ليس إلا.. هو العلم المرفرف بالسلام". هل هذا كلام يقال بالله عليكم، حسني مبارك ليس إلا، هل هذا كلام يقال عن بطل الحرب والسلام والرجل الذي حكمنا أربع فترات وداخل في الخامسة وماشفناش منه حاجة.. وحشة، الرجل الذي جاء أغلب المصريين إلى الدنيا وهو يحكم وسيفارقون الدنيا وهو لازال يحكم مستقرًا آمنًا، الرجل الذي لم يفقدنا أعز ما نملك من كباري تجري من تحتها الأنهار ومحاور وأنفاق ومحطات صرف صحي وشبكات محمول، بعد كل هذا هل يكون جزاؤه أن نقول عنه حسني مبارك ليس إلا، ونتهمه بأنه كان فاطرًا وهو يحقق لمصر أغلى إنجازاتها، الضربة الجوية الأولى والأخيرة، هل نسمح بذلك فقط لأن هناك موالسًا لم يجد صنعته ولم يهتم بالفينيش. إن هذا كلام ينبغي الضرب عليه بيد من حديد لكي لا يستفحل خطره ويزداد ضرره، إن من المقبول أن يضرب الفينيش أيا من صناعاتنا القومية أو يحرمنا من الدخول إلى الأسواق العالمية أو يفسد صحفنا أو أفلامنا أو حتى شققنا، لكن أن يصل طاعون الفينيش إلى أكثر ما نجيده ونحبه ألا وهو الموالسة فذلك ما لا ينبغي أن نسمح به أبدًا، إذ ينبغي أن نضمن لحكامنا طيلة حكمهم موالسة كاملة الفينيش حتى يأتي الفينيش.

أفرو بس مش آسيوي!

على عكس ما يعتقد الكثيرون ليس من الصعب أبدًا أن تكون كاتبًا مصريًا مرموقًا مثل هيكل أو فهمي هويدي أو محمود عوض أو نجيب محفوظ. لكن من الصعب جدًا أن تكون كاتبًا أفروآسيويا مثل الدكتور محمد مجدي مرجان.

لا تقل لي إنك لم ترتطم يومًا ما بهذا الاسم ذي الشنة والرنة، فلا يمكن أن تكون مصريًا سعيدًا تنعم بخيرات هذا العهد المبارك، وتقول لي إنك لم ترتطم يومًا ما بإحدى مقالات الدكتور مرجان، هنا لابد أن أقول إن لفظ الارتطام هو أدق ما يمكن استخدامه لوصف تجربة التعرض لمقالات الدكتور مجدي مرجان الذي كان الكثيرون وهم يرتطمون بمقاله الأسبوعي في الأهرام يسألون هو أخصائي إيه بالضبط، واختلفت الأقوال في الإجابة على هذا السؤال لدرجة أن البعض أفتى بأنه الطبيب المعالج لإبراهيم نافع وعدد من المتنفذين في الدولة، وهذا هو سر إعطائه تلك المساحة المهمة ليكتب فيها كلامه الركيك، ثم اتضح أن سيادته ليس طبيبًا بل يعمل في السلك القضائي، وأن

عدم معرفتنا بالرجل لا تعني تقصيرًا منه بقدر ما تعني جهلاً منا، وأنه يرأس منظمة اسمها اتحاد الكتاب الأفرو آسيويين تقع في شارع القصر العيني في مكان ظللت أنا بوصفي أحد سكان هذا الشارع نراه مغلقا ومهملاً تتصدر واجهته لافتة مهترئة بفعل تصاريف الزمان كتب عليها اسم (نادي القصة)، وهو اسم يحمل دلالات كثيرة لكل من قرأ عن تاريخ مصر الأدبي والثقافي في القرن الماضي ليس هنا مجال الحديث عنها، فما يهمنا في الأمر أن المبنى تم افتتاحه أخيرًا وتم نزع اللافتة المهترئة وتعليق أخرى مكانها مكتوب عليها (دار الأدباء)، صحيح أنني عمري ما عديت ووجدت أديبًا داخلاً إلى داره، ناهيك عن أنني سألت كل الأدباء الذين أعرفهم وأحسبهم أهم أدباء مصر عمّا إذا كانوا يذهبون إلى دارهم ليصلوا أرحامهم الأدبية، فاعتبروا سؤالي سخرية عابثة قابلوها بما تستحقه.

ومرت الأيام لتثبت خطل ظني في دار الأدباء التي اتضح أنها أكثر تأثيرًا من دار ابن لقمان ودار يا دار راحوا فين حبايب الدار،عندما نشرت "المصري اليوم" في الأسبوع الماضي تقريرًا عن الكتاب الذي أصدره الاتحاد المرجاني الواقع في الدار، والذي اتضح أنه ليس إيزي يا عزيزي بل لديه شعبة مرجانية عبارة عن مركز دراسات سياسية واستراتيجية تمكن أعضاؤه من إخراج سفر جليل عن الرئيس مبارك حمل عنوان (مبارك نعم لا كفاية لماذا)، وهو عمل يناهز ويضارع ويضاهي مجهود علماء الحملة الفرنسية في وصف مصر لو

كنتم تفقهون معشر القراء. يكفي أنه كشف لنا سر النعيم اللـــي إنت فيه يا شعبي فطبقًا لما نشرته المصري اليوم أن "الـــرئيس مبارك له صلة مباشرة بالذات العليا كشفت عنه الحجب"، وأن الرئيس "نسي نفسه، ليس نفسه فقط بل وأسرته وأهله وأخذتــه مشاكل مصر وهمومها فأنسته متطلبات جسده فهو يقضي كــل يوم ملايين الحاجات لأبناء وطنه الحبيب"، والله ما نطقت بهذا الكلام يا قوم بل هو من كلام باحثي المركز المرجاني الــذين أضافوا في يقين استراتيجي لا يرقى إليـــه الشـــك الـــديكارتي "مبارك المؤمن الصادق الصامت بعكس زعمائنا السابقين الذين كانوا يرفعون شعارات الدين والشريعة ويلقبون أنفسهم بصـــفة الرئيس المؤمن أما مبارك فيمنعه الحياء من أن يتحـــدث عـــن إيمانه، لكنه يعمر كل خلجات قلبه وينضح به فوق كل قسمات وجهه، وتختلج به كل ذرات جسده وقد أكســـبه ذلـــك العفـــة والطهارة.. عفة اللسان واليد والفرج". أرجوك عزيزي القارئ لا تطلع من "خلجاتك" وتسألني كيف تمكن هؤلاء الباحثين مـــن معرفة كل ذلك عن الرئيس، فأنا وأنت لسنا استراتيجيين لكـــي نتوصل إلى نتائج ذرية مثل هذه بالتأكيد يـــتم التوصـــل إليهـــا باستخدام أجهزة رنين مغناطيسي استراتيجي. لذلك تقبل هـــذه النتائج بروح رياضية واشكر الله على نعمه.

المهم أنني بعد نشر التقرير التقيت على مائدة إفطـــار "دار الشروق" بالأصدقاء هشام قاسم ومجدي الجلاد وحسام دياب ــ يعني علية القوم في المصري اليـــوم ــ وقررنـــا أن نتحلـــى

بالحديث عن كتاب الدكتور مرجان قبل أن يأتي الحلو، قلت لمجدي الجلاد كان ينقص تقريركم أن تميطوا لنا اللثام عن هذا الاتحاد الأفرو آسيوي ومقره الغامض الذي يذكرني كلما مررت إلى جواره بالقصور التي تأتي في أفلام الرعب، ناهيك عن عرض نماذج من الكتاب الأفرو آسيويين الذين يضمهم هذا الاتحاد، فأنا واحد من الناس نفسي أقابل كاتب أفرو آسيوي، كل الكتاب اللي أعرفهم يا أفرويين يا آسيويين إنما لم يحصل لي الشرف وأقابل كاتب أفرو آسيوي في نفس الوقت. فهم الأصدقاء كلامي على أنه سخرية وأخذوا يضحكون لكنني أخذت أجيل النظر في الكتاب الذين ضمتهم القاعة والذين كان من بينهم عدد من أنجح وألمع كتاب مصر من مختلف الأجيال والتيارات، لكنني اكتشفت أنني لم أر من بينهم كاتبًا أفرو آسيويًا، وربما كان ذلك تقصيرًا من المهندس إبراهيم المعلم أتمنى أن يتلافاه في المستقبل.

في اليوم التالي قررت ألا أنتظر أحدا وأن أسعى بنفسي إلى مقر الاتحاد لكي أتعرف على زملائي الأفرو آسيويين، خاصة أنني كنت راغبًا في التعرف على الوسيلة التي عرف بها السادة الذين في الاتحاد أن الرئيس مبارك مكشوف عنه الحجاب وله صلات بالذات العليا، لعلي أسلك سبيله فأتخفف من أثقالي وأكتسب عفة اللسان واليد والفرج. ذهبت في عز الضهر إلى الدار التي كانت خاوية على عروشها، وبرغم أن أبوابها كانت مشرعة إلا أن المكان برمته لم يكن فيه صريخ إبن

يومين، صدمني الحال الذي عليه القصر من الداخل، قذر ومهمل وتشعر أن قدمًا لم تطئه منذ زمن بعيد، عمرك شفت مكان عليه تراب، فاهم الإحساس ده، تشعر أن هواء المكان في حد ذاته عليه تراب فضلاً عن الأرضيات والحوائط. صدمتني حالة المكان صدمة عنيفة ربما لأنني كنت قد رسمت للمكان صورة أخرى من خلال ما قرأته عن جوائز المسابقة المباركية التي منحها الاتحاد لمؤلفي الكتاب والتي بلغت آلاف الجنيهات، قلت لنفسي ربما خلصت تلك الجوائز على كل ما تبقى في خزنة الاتحاد فلم يبق لدى مسئوليه ما يدفعونه للست اللي بتنضف وتمسح، فكرت أن أبعث لهم بشغالتنا أم هند دعما مني للصداقة القاهرية ـ الأفرو آسيوية، لكنني تراجعت عن القرار ليس إشفاقا على أم هند بل إشفاقا على القصر من أم هند التي لم أكن لأستبعد أن تفكر في أخذه هي وعائلتها وضع "يت"، وأكون قد أسأت إلى القضية الأفروآسيوية، حاولت أن أتعايش مع الصورة الجديدة للقصر ودخلت إلى داخله فلم أجد أحدا البتة، بدأت مشاعر الخوف تتسلل إلى نفسي من أن تخرج عليّ عصابة أفرو آسيوية تقلبني أو تحاول الاعتداء عليّ، لكنني تذكرت أننا في نهار رمضان حيث يتم سلسلة الشياطين بما فيها الشياطين الأفرو آسيوية، فتشجعت وواصلت التجول في القصر الخالي، أخذت أنادي "يا أهل الله ياللي هنا.. يا كتاب.. يا أفرو آسيويين"، دوى صوتي في جنبات المكان الخالي إلا من عدد من الكراسي المعدنية الصدئة التي رصت جنبا إلى جنب في

منظر كئيب، كان واضحا أن هذه الكراسي لم تتغير منذ ستينات القرن الماضي على أحسن تقدير، شعرت بالشفقة على مؤخرات أي أديب أفروآسيوي يضطر للجلوس على كرسي كهذا عند حضوره ندوة أدبية أو أمسية شعرية، لكنني أدركت أنني ربما كنت مخطئا بإسقاط مشاعري على الآخرين، فربما مايجعل الكاتب أفرو آسيويا هو تحمله الجلوس على كرسي مثل هذا.

طال انتظاري وتواصلت نداءاتي ولم يظهر أحد من أي قارة في المكان، فكرت في الصعود إلى الدور العلوي لكنني وأصارحكم القول خفت وقررت أن أخرج للتجول حول القصر لعلي أدوس على بلاطة تفضي بي إلى مخبأ سري به كنز يجعلني أهتف بحبور "دهب ياقوت مجدي مرجان"، لكنني لم أجد وأنا أدور حول القصر سوى أخشاب وحدايد ملقاة في كل مكان وشجيرات بائسة يبدو من ملامحها أنها فقدت الهوية فلم تعد تعرف هل هي أشجار أفريقية أم أشجار آسيوية، ولعل هذا هو سر شحوبها وكآبتها.

سمعت صوت حركة ينبعث من غرفة غامضة تقع في المساحة الخلفية للقصر، فكرت في إطلاق ساقي للريح، لكن لم يكن هناك ريح وقتها فقررت أن أنتظر هبوبها، تسلحت بالإيمان وتوجهت نحو الغرفة التي علقت عليها من الخارج لافتة كالحة غبراء كتب عليها "مركز اللغات والكمبيوتر"، قلت لنفسي "كمبيوتر.. إذن فقد وصلت الحضارة إلى هنا"، فلا أخفيك أنني كنت قد بدأت أظن أن المكان نزلت عليه لعنة جعلت كل ما فيه

من حوائط وشجر وكراسي وبلاط يتجمد في الوضع الستيني، أو أنني عبرت بوابة الزمن إلى عصر آخر ويمكن أن أرى عبد الحكيم عامر وهو يجري وراء برلنتي عبد الحميد في أروقة القصر، لكن اللافتة التي تعلن عن وجود كمبيوتر أزالت اعتقادي هذا، تواصل صوت الحركة المنبعث من الداخل، فشجعني على التقدم نحو الغرفة لعلي أرى أهل اللغات والكمبيوتر من الزملاء الأفروآسيويين، صدمني منظر الغرفة الكئيب والموحش والمظلم، فهي لم تكن تحتوي إلا على عدد من المكاتب والبلاط والدواليب الستينية، يجلس في ظلامها رجل ثمانيني يلبس قميصا ستينيا، يبدو عليه أنه ينتظر شيئا ويعلم أنه سيتأخر، لم يكن مكترثا بأي شيء ولا حتى برد السلام عليّ، تجاهلت تجاهله وسألته هو مش في هنا مركز كمبيوتر، ابتسم لي ابتسامة عذبة وقال لي "إنشاء الله في الفترة القادمة"، بدأت أعود إلى اعتقادي في اللعنة الستينية وتصورت أنه يعني أن الكمبيوتر سيكتشف في الثمانينات، لكن رنة انبعثت من تليفونه المحمول أفاقتني مجددًا من أوهامي، قال لي الرجل "هو إحنا لسه بإذن الله هنفتح المركز خلال الكام شهر الجايين"، قدرت إشراكه لي في خطة المركز المستقبلية وهو لا يعرفني، قلت له بأدب "يعني اليافطة دي متعلقة على أساس إن الأعمال بالنيات"، لم يضايقه تهكمي وهز رأسه موافقًا، قلت له "هو المركز ده تبع الاتحاد"، بعد أن سألت السؤال شعرت أنه غبي، لكن الإجابة أنصفتني، "لا مش تبعه"، آه، إذن فالسيد مرجان

يقوم بتأجير مرافق القصر الذي لا أعلم حتى الآن من يملكه أساسًا، ويؤجره لإقامة مشاريع مستقبلية للكمبيوتر واللغات لا يعلم إلا الله متى سيتم افتتاحها أساسا، نصحت نفسي بألا تنحشر فيما ليس لها فيه دعوى فمرجان أولى بغرف اتحاده.

قلت للرجل: هو مافيش حد جوه، قال لي: والله مش عارف بصراحة، هممت أن أسأله: هو انت مين أساسًا، معاك بطاقة، فقط لأتأكد من أنه ليس شبحًا أو عفريتًا من عفاريت صفحة الرعب في الدستور، لكنني خفت من أن يكون عفريتًا فعلاً ويخرج لي رجله من وراء المكتب فتطلع رجل معزة وأكون قد جنيت على نفسي، فقررت أن أتحدث في العام تاركا الخاص لله عزوجل، قلت له: إنت عمرك شفت حد من الجماعة الأفرو آسيويين اللي بييجوا هنا، قال لي وقد بدأ صبره ينفد: مش فاهم سؤالك يعني ولامؤاخذة، قلت له يعني: الكتّاب اللي المفروض بييجوا القصر شكلهم بيبقى عامل إزاي يعني، أصل أنا بصراحة عايز أنضم لهم بس مش عارف إيه الشروط، هل الواحد لازم يبقى أفرو وآسيوي في نفس الوقت ولا ينفع يبقى أفرو بس أو آسيوي بس، لم يبدُ عليه أنه فهم كلمة مما قلته، فقال لي وقد بدأ يحتد: بص ياافندي ماتقلبش دماغي الدنيا صيام، عايز تقعد اقعد بس ماتسألنيش عن حاجة عشان أنا مش عارف أي حاجة زائد إني مش فاهم منك أي كلمة. قلت له: لا شكرا أصل أنا هامشي بس أنا عايز أسألك آخر سؤال، هو سعادتك أفرو ولا آسيوي. بالطبع لن أقول لكم بماذا رد عليّ

فقد خسر المسكين صيامه واتضح أنـــه لا أفـــرو ولا آســـيوي ولاحتى عفريت بل هو مواطن مصري عشوائي من الدويقة لا يمتلك أي إجابات وليس راغبًا في سماع أي أسئلة. حاولت أن أهدئ من ثائرته وأن أشرح له سر زيارتي إلى المكان وأننـــي قدمت للحصول على نسخة من كتاب (مبارك نعـــم لا كفايـــة لماذا) وأن ألتقي بالدكتور مجدي مرجان و ثُلّة الأفرو آسيويين الذين معه لكي أقترح لهم إصدار جزء ثانٍ من الكتاب تحـــت عنوان (مبارك عن من في حيثما قد). انتفض الرجل ثائرًا من مكتبه فسارعت بالخروج جاريًا من القصر المرجاني المسحور دون أن أخاطر بانتظار الريح أو ظهور أي كاتب أفرو آسيوي، معزيًا نفسي بالقول لها "تسمع بالأفرو آســيوي خيــر مــن أن تراه".

كبدة روز اليوسف وكدبها!

لعلك عزيزي القارئ قد سمعت عن الفضيحة ذات الجلاجل والشخاليل التي حدثت في قلب القاهرة قبل أيام عندما تعرض مذيع قناة الجزيرة اللامع أحمد منصور للضرب تحت مكتب الجزيرة من اثنين سألاه "إنت أحمد منصور"، وعندما أجابهما " أيوه أنا أحمد منصور" انهالا عليه ضربًا مبرحًا وفشلا في إحداث عاهة مستديمة به، لكنهما كسرا نضارته، ولاذا بالفرار في قلب ميدان التحرير، وفي عز "الإمن" المستتب، والحقيقة أن ماحدث في رأيي هو خطأ أحمد منصور لأنه أقر بأنه أحمد منصور، عن نفسي لو سألني أحد "إنت بلال فضل" هاقولهم "لأ.. ولا أعرفه".

أحمد منصور وهو يتلقى الضربات الغادرة لم يكن يدري أنه في اليوم التالي مباشرة وبدون أن يقصد سيثأر وبقوة من تحالف الأمن والتوريث والفساد الذي يتصدر المشهد في مصر الآن، ففي اليوم التالي للاعتداء عليه نشرت له المصري اليوم مقالة بعنوان "فضيحة روز اليوسف" كشف فيه أن رزية روزا

اليومية نشرت تقريرًا في صدر صفحتها الأولى ادعت فيه أنه بعد أن اعتذر كمال الشاذلي عن حضور برنامج أحمد على الهواء قام باستضافة منافس فتحي سرور في دائرة السيدة زينب. المفاجأة التي كشفها أحمد أنه استضاف في الحلقة المستشار محمود الخضيري رئيس نادي قضاة إسكندرية وهو ماشاهده ملايين المشاهدين إلا المفبرك الذي لم تنشر روزا اسمه والذي يبدو أنه كان مبسوطًا حبتين وهو يفبرك التقرير الذي فرحت به روزا فرحة العبيط بيوم العيد ونشرته مصحوبًا برسم كاريكاتيري يظهر كمال الشاذلي بوصفه عملاقًا يقف أمامه أحمد منصور كأنه قزم صغير، وهو أمر في رأيي لا يرجع سوى لضخامة حجم الشاذلي وهو أمر لا يلام أحمد منصورعليه بقدر ما تلام عليه الدولة التي لم تعينه وزيرًا ليتضخم حجمه من خيرات مصر العامرة. لاحظ هنا أننا لا نتحدث عن خطأ مهني في الصياغة أو عدم دقة في نقل المعلومات أو النقل عن مصدر مضلل وهي أخطاء يمكن أن تقع فيه كل الصحف وعلى رأسها الدستور، لكننا نتحدث عن اختلاق برنامج قيل إنه تمت إذاعته بل والتعليق عليه وهو لم يحدث أساسًا، وهو أمر على أي حال يحسب لروز اليوسف التي سجلت به ريادتها لمدرسة الفكر الجديد في الفبركة.

فبركة روز اليوسف كانت قد طالتني أنا أيضا منذ أواخر شهر رمضان المبارك، عندما شرفتني بوضعي في قائمة أعدائها التي سبق أن ضمت حزب الله اللبناني وحزب الوفد

وحركة كفاية وجماعة الإخوان المسلمين التي أختلف معها لكنني لا أتحالف مع المباحث ضدها، ناهيك عن عشرات الكتاب على رأسهم الأستاذ هيكل والأستاذ ابراهيم عيسى، وهو أمر يشرفني ويلقي مسئولية كبيرة على عاتقي في المستقبل.
الحملات التي شنتها روزا والتي استمتعت بها للغاية كانت لأنني من وجهة نظرها قمت بشتيمة النيل في باب "تلك الأمثال" الذي ورد فيه مثل من تأليفي يقول "اللي يشرب من مية النيل لازم يرجع يتف عليه تاني". وقد حاولت روزا تصوير أنها تهاجمني لأنها خائفة على مية النيل ياعيني، مع أن من يقرأ هذه الصفحة يعلم جيدا سبب هجومها عليّ، ويعلم أن المثل المشار إليه تم اقتطاعه من سياقه الذي هو محاكاة ساخرة لمثل "اللي يشرب من مية النيل يرجع له تاني"، وهي محاكاة أعترف بقسوتها وجموحها لكنها قسوة ينبع جموحها من الحال المأساوية التي صار عليها النيل، وهو أمر لا أعتقد أنه يمكن أن ينكره عاقل، وربما لم تهتم روزا بكل ذلك لأنها تعلم جيدا حجم توزيعها وأنها تصدر من أجل رضا قراء محددين معروفين لا تبغي سوى رضاهم خاصة أنهم الذين يدعمونها ويسعون جاهدين لإقالتها من عثراتها.

ولأنني أعلم كل ذلك لم أهتم بالرد على ما نشر عني بشكل مفصل لولا أن أحد رواد المنتدى الخاص بي على الإنترنت قرأ مانشر في روزا وهو عند الحلاق الذي قال له إنه اشترى الصحيفة من بتاع الروبابيكيا، فنقل الهجوم إلى المنتدى ورجاني

أن أعلق، وبما أن الأمر خرج للنور لم يعد يجدي معه السكوت خاصة أن الحلاق إياه زبائنه كثيرون وتهمني سمعتي لديهم خاصة أن روزا نشرت صورتي على أساس أني مجرم نيل، وهو أمر يشكل أكبر الخطر على مستقبلي وسمعتي لأنني أضطر لعبور النيل كل يوم.

المضحك أن روزا بنت هجومها على أساس أن هذا الكلام صدر من كاتب ذو أصول يمنية، وإصحي يا مصر قومي في يمني بيشتم نيلك وبيقول للناس تفوا فيه، مع أن الناس الحقيقة يتفون فيه قبل أن أكتب أنا عن ذلك، بالطبع لم أعلق لأنني رأيت في ما كتب شيئًا يستحق الفخر لا الرد، بعدها عادت روزا لتكتب أنني مواطن يمني وبدوي جاهل في بلاغ أمني كتبه صديق سابق لي لم يذكر اسمي لكني سأذكر اسمه، إسمه وليد طوغان كان صحفيًا واعدًا ومعد برامج نجح لكنه بعد فشله الصحفي، وتعثره الفضائي انتهى به الحال لكي يقوم بتحرير صفحة في روزا يتلقى فيها طلبات الديليفري ومكالمات بائعي الكبدة والراغبين في تفسير الأحلام، الغريب أن وليد عندما دعاني لحضور زفافه قبل سنين ـ ماكانش لسه فشل واتجه للكبدة ـ لم يكشف لي يومها عن رأيه في أنني بدوي جاهل، حتى أنني عدت لصورة أحتفظ بها من فرحه مع السيدة إسعاد يونس والكاتب الجميل حسام حازم رحمه الله، ولم أكن في الصورة أركب الناقة. على أي حال وليد معذور لأنه ينفذ أوامر رئيسه عبد الله كمال أحسن يشيله من الصفحة التي لا أعلم هل

ترك الصحافة التي كان واعدًا فيها وتفرغ لتحريرها طمعًا في طلبات الكبدة المجانية التي يحصل عليها، لكنني كنت أتمنى أن يتصل بي ليسألني عما إذا كنت بدويًا جاهلاً أم لا، أو حتى يسأل زملائي الكبار وأصدقائي في روز اليوسف وهم كثير فهي المكان الذي تشرفت ببداية عملي الصحفي فيه قبل إحدى عشر عامًا أيام كان عبد الله كمال لا يزال اسمه كوكو، وأيام كان يقابل المحررين الشبان على قهوة "فيينا" لكي يكلفهم بموضوعات يستلمها منهم على القهوة ثم عندما تنشر في صحف عربية ينفي لهم علاقته بذلك، بالمناسبة أنا أصدقه، برغم أنني تعرضت لذلك أيضا لكنني دائما أغلب حسن النية.

لم أرد على ما كتبته روزا عني في البداية لأنها أبدت رأيها في أفلامي وفي شخصي ووصفتني بأن دمي ثقيل، وهي نعمة أحمد الله عليها، ويارب ما يخف أبدًا لكي لا أحرم مما أنا فيه من نعمة بفضل الله، فقد التمست العذر لأن الأستاذ علي بيومي الذي كتب الموضوع لم يكن يعرفني، خاصة أنه تشكك فيما إذا كنت لدي جنسية مصرية أم لا، واستخدم تعبير من أصول يمنية، مع أنه كان يمكن أن يسأل أيا من زملائه ليأتوا له بالملف كاملاً مكملاً، ويبدو أن سكوتي جعل حتى من يعرفني مثل وليد يغلب الشك على يقينه لدرجة أنه يقوم بالتطاول على البدو ووصفهم بالجهل، ولأنني لا يرضيني أن يغلط أحد في البدو، لذلك سأقوم بإهداء المعلومات للسادة الحضريين في روزا مقدرًا انشغال الأجهزة الأمنية بتضبيط

الانتخابات وإلا لكانت قد صححت لأهل روزا ما ينشرونه. أنا يابني قومي بطاقتي رقم قومي ١٠٠٧٣٣ غربال اسكندرية، ورقم عضويتي في نقابة السينمائيين ٦٠٣٢، وشهادة ميلادي صادرة عن قسم الوايلي برقم قيد ٥٩١٢ لعام ١٩٧٤، وعندي كمان فيزا كارت بس مش حافظ رقمها، كما أنني أتشرف وأعتز بأنني من أصول يمنية، تمامًا كما أن هناك مصريين من أصول تركية وأصول هندية وأصول سودانية وأصول مغولية، وعلى حد علمي فكونك من أصل ما لا يعيبك بقدر ما يشرفك، ولا أعلم إلى أي أصول ينتمي الأستاذ عبد الله، وهل هو من أصول مصرية قحة، لكن يهمني أن أقول له إنني حتى لو كنت من أصول إسرائيلية لما توقفت حتى عندها عن القول لعبد الله كمال بأنه موالس وأنه يصدر صحيفة فاشلة، لأنني لن يكون لي ذنب وقتها في أصلي، فما بالك وأصلي هو أصل ملايين المصريين في الصعيد والشرقية الذين يتباهون ويرفعون رؤوسهم للسماء بأنهم أحفاد قبائل يمنية هاجرت إلى مصر، عمومًا على الأقل أنا أعرف أصلي وفصلي بحمد الله.

والآن إذا كانت مشكلة روزا في أن يقوم بدوي جاهل أو يمني بشتيمة النيل فآديني جبت البطاقة ولعلها تكون نصيحة لكل كاتب أن يحضر صورة من بطاقته وهو يكتب لكي يتقي شر بلاغات روز اليوسف. أما إذا كانت المشكلة في أن روزا تخاف على النيل، فأحب أن أطمئنها أن علاقتي بالنيل علاقة تاريخية لا يمكن أن تزعزعها وشايات خائبة، فقد كان شاهدًا

على ميلاد وازدهار ووفاة قصص حب عديدة لي، كما أنني قضيت سنوات طويلة أتصعلك على ضفافه، وإذا كانت روزا خائفة حقًا على النيل فعليها أن تجري حملة صحفية عن الذين يبصقون فيه حقا وفعلا بل ويقضون حاجاتهم ويرمون فيه مخلفاتهم البشرية والحيوانية والصناعية، فسيكون ذلك أجدى لها وللنيل، ولعلها بذلك تترك الفبركة على المكاتب وتقوم بعمل صحفي حقيقي، أما إذا صممت على الاستمرار في الفبركة باعتبارها أسهل فعلى الأقل يجب أن تغير الصنف الذي يتعاطاه المفبركون بها، وأن يكون لدى من يكتب فيها شرف مهني لا يجعله يقتطع الجمل من سياقها، إذ يمكن بسهولة أن يتم اقتطاع جمل بها تطاول على النيل والمصريين ومصر والأهرامات من أي عمل أدبي أو فني أو كتابة ساخرة، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك يمكن تطبيقها على من هم أرفع مني مقاما وبعضهم للمصادفة ليسوا من أصول مصرية يعني يمكن مثلاً أن نطالب بنبش قبر حافظ إبراهيم لأنه قال عن مصر "وما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب"، أو لأنه وصف الشعب المصري بقوله "وشعب يفر من الصالحات فرار السليم من الأجرب"، أو نحاكم أحمد شوقي، كردي الأصل، لأنه قام بتحقير الشعب المصري فقال "انظر الشعب زيون.. كيف يوحون إليه.. ياله من ببغاء.. عقله في أذنيه"، أو نطالب بإعادة نفي بيرم "التونسي" من مصر لأنه قال مخاطبًا المصريين "وإنت يابن البنت حوش.. بنتك في بيتك يا بقر"، أو لأنه قال

"يلعن أبوكم كلكم ويدوس فضيلة علمكم كلاب ما يشبع بطـنكم غير الرشاوي يا غجر"، أو نسحب كل ما كتبناه من ثناء علـى جمال حمدان لأنه قال في المصريين كلاما موجعًا (كالذي أعاد الأستاذ إبراهيم عيسى نشره وكان مفاجئًا للكثيرين من الـذين كانوا يسمعون عن كتاب جمال حمـدان دون أن يقـرأوه)، أو يمكن أن نطالب بسحب الجنسية المصرية من نجيـب سـرور الذي نعلم جميعا ما قاله عن مصر وعن النيل بوجع هو وجـع المحب وقسوة هي قسوة المحروق على بلده.

ختامًا أكثر ما يهمني في هذا الموضوع هو النيل نفسـه، خاصة أنه يكفيه ما يعاني من قسوة المصريين عليه، وإهانـة الحكومة له حتى أنها لا تكف عن التفكير في ردمه وبيع جزره لمن يدفع أكثر، وهو أمر لا أعتقد أنه يستفز روزا المشـغولة بالموالسة ولحس الأعتاب. لذلك ومن أجل خاطر النيل ولتعذر إمكانية تقبيل رأس النيل، بسبب صعوبة السفر إلى أوغندا فقـد قمت بالتوجه إلى قسم شرطة قصر النيل وطلبت تحرير محضر إثبات حالة أعلنت فيه أنني لم أكـن أقصـد الإسـاءة للنيـل واصطحبت عدة مقالات كتبت فيها قصائد حب له كمـا قمـت بكتابة "باحبك يانيل" ألف مرة، وطلبت سماع أقوال النيل للتأكد من ذلك. وقال لي الضابط المناوب كلاما لا يصـلح للنشـر. لكنني اكتفيت بإثبات حسن نيتي. داعيًا الله أن يوفق بتوع الكدب وبتوع الكبدة في روز اليوسف لاقتطـاع جملـة أخـرى لـي

توصلني إلى حبل المشنقة لأنها وحدها التي ستترجمهم من فضحي لموالستهم وفشلهم.

أما خامل الذكر وليد طوغان فأرجو منه أن يتوسط لي عند بتوع الكبدة الذين ينشر عنهم لكي يسرعوا في إرسال السندوتشات لأنها دائما تصل باردة.

الوفد المنافق لسيادته!

لم أجد وصفًا لبعض رؤساء تحرير النشرات الإعلامية المسماة زورا بالصحف القومية أجمل من هذا التعبير البديع الذي صكه الكاتب الكبير حازم هاشم في إحدى قصص مجموعته الساخرة الساحرة (حكاوي البلاوي)، ليلخص ببلاغة حالة أولئك الرهط من رؤساء التحرير الذين لا يطلبون من الله شيئًا سوى رضا السيد الرئيس ومرافقته لمنافقته على طائرته في الرحلات الخارجية والداخلية وكام مائة مليون جنيه فوق البيعة.

هؤلاء الموالسون يشهدون هذه الأيام أزهى عصورهم بعد أن صرح سيادة الرئيس أنه يقرأ الصحف القومية من الجلدة للجلدة ولذلك فقد اطمأنوا إلى أن مجهوداتهم الخارقة في الموالسة لم تذهب أدراج الرياح خاصة أن سيادته لا يكلف نفسه خاطر قراءة الصحف الوحشة غير القومية التي تسخر من موالسة هؤلاء وضعفهم المهني، وانعدام خيالهم وفشلهم التوزيعي، وبما أن هؤلاء أساسًا يصدرون من أجل قارئ

واحد، أو للأمانة لأننا سنحاسب على هذا الكلام، من أجل قارئ وابنه أو عائلته ورجالته بمعنى أصح، لذلك فقد أصبح واجبًا عليهم أن يقووا قلوبهم ويتخلصوا من إحساس البطحة الذي يلازمهم ويمكن لهم أن يضعوا إصبعهم في عين التخين مثلي أو المليان شوية مثل إبراهيم عيسى أو الرشيق مثل وائل الإبراشي أو السُقَيِّف مثل عمرو سليم، لذلك أخيرًا تعالت أصواتهم بالبلاغات "إلحق ياباشا.. الواد ده ما بيحبش مصر.. والواد اللي هناك ده بيشتم المصريين.. اقفلوهم والنبي عشان الشتيمة عيب.. واللي بيشتم يروح النار.. سكتوهم عشان قلة أدبهم بتجرح إحساساتنا"، ولأن الكلام أساسا موجه لقراء محددين سلفا لا يقرأون الصحف المعارضة الوحشة لكي لا ترفع ضغطهم وتحرمهم من الاستمتاع بخيرات الحكم لذلك لابد أن يرتدي هؤلاء الموالسين أقنعة الأدب وثياب الوعظ لينبهوا القراء إياهم إلى ضرورة حماية الحياء السياسي والأدب الوطني والمقدس السياسي، في نفس الوقت الذي يهاجمون فيه الإخوان المسلمين لأنهم يصادرون على من يختلف معهم في الرأي ولأنهم يدعون امتلاك الحقيقة، ولو مست شعرة في قفا كاتب يقوم بالطعن في القرآن الكريم أو يشكك في الإنجيل أو يتطاول على أحد الأنبياء أو يقوم بتحليلهم نفسيًا، لانبروا يدافعون عن حرية الرأي والفكر، فحرية الرأي والفكر في رأيهم وفكرهم متاحة في كل شيء مهما بلغت قداسته إلا سيادة الرئيس وسيادة ابنه وسيادة حكمه وسيادة حزبه، ولأنهم مزنوقون وظهرهم

للحيط بسبب ما عرفه الناس عن موالسة أقلامهم فقد أرادوا من باب التجديد أن يظهروا بمظهر الذي ليس لديه أي مانع في مهاجمة السيد الرئيس وحزبه، فليس في ذلك ما يستوجب إغلاق الدستور وصوت الأمة، لكن ما يستوجب إغلاقهما هو أن بها ناس يشتمون مصر ويتطاولون على الشعب المصري وكمان بيشتموا النيل والهرم وأبو الهول وبيتطاولوا على رموز الفكر الجديد، ولذلك فقد حق عليهم الغلق ووجبت عليهم المصادرة.

بالمناسبة كانت هذه هي اللعبة التي قاموا بفضلها بإغلاق الدستور القديم والذي كان يصدر في ظل رقابة مشددة من وزارة الإعلام وبرغم ذلك حقق نجاحًا كاسحًا وأطلق ظاهرة الصحافة الجديدة (وهو أمر لا أدعيه أنا بقدر ما تدعيه دراسات جامعية وأوراق بحثية موجودة في أقسام الإعلام في الجامعات المصرية)، وكانت حجة هؤلاء لمهاجمته أنه يتطاول على رموز مصر ويقوم بفتح ملفاتهم كلها ويعيد قراءتهم ويفتح باب الجدل حولهم، لكن الدستور خذلتهم عندما فتحت حوارات محترمة وموضوعية اشتركت فيها كل الأقلام من كل التيارات حول جميع القضايا المسكوت عنها وأعادت قراءة كل الرموز والأحداث التاريخية في مصر وهو ما خلق مناخًا من الجدل الصحي والمحترم كانت مصر قد افتقدته منذ أن أجبرت الثورة ـ بسيفها وذهبها ـ الموهوبين على أن يكتبوا في أي شيء ليس له علاقة بأوضاع البلد وأحوالها، وأجلست أنصاف الموهوبين

على كراسي القيادة ليرثهم أرباع الموهـوبين قبـل أن تصـل أحوال الصحافة من الانحدار "شأواً" جعل سمير رجب يجلـس على كرسي القيادة في مؤسسة كان يكتب فيها طه حسين الذي لو كان قد عرف ذلك وهو يكتب كتاب مستقبل الثقافة في مصر لعاد إلى قريته وتفرغ للقراءة على الترب.

المهم أن (الدستور) أتعبت العهد المبارك ورجاله الذين لم يتمكنوا من السيطرة على شوية العيال الذين فيها لا بالترغيـب ولا بالترهيب ولا بالمضايقة الرقابية (التي سأحكي يومـا مـا فصولها المخجلة والمؤسفة) فقرروا أن يغلقوها بتهمة أنها تهدد استقرار الاقتصاد المصري وتزعزع السلام الاجتماعي، وأغلق الدستور، وكما تعلم وأعلم لم يستقر الاقتصاد المصـري بـل تدهورت أحواله أكثر، ولم يتوقف السـلام الاجتمـاعي عـن التزعزع يومًا واحدًا، بل وصلت درجة الاحتقان الاجتمـاعي إلى حد ينذر بأكبر الخطر على مستقبل مصر وقاهـا الله شـر المحن. وبعد سنوات من الاحتجاب عادت الدسـتور للصـدور بحكم قضائي حاولوا تعطيله سنوات طويلة ثم صـار واجبـا عليهم الامتثال له لزوم النيو لوك اللازم لاستمرار رضا السيد الأمريكي، وهو النيولوك الذي يحترم أحكام القضـاء حسـب التساهيل ويتيح لرئيس الجمهورية منافسة الحاج أحمد الصباحي والحاج نعمان جمعة على كرسي الرئاسـة ويطلـق إصـدار الصحف المستقلة أملاً في أن تخلي عندها شوية دم وتصـون الجميل. لكن الدستور لم تلتزم بقواعد اللعبة وأخذت تعـارض

بجد، مع أن المفروض طبقًا لدرس تجربة "اتخنقنا" التي تحدثت عنها قبل ذلك أن تكون المعارضة مش قوي، ويكون التمرد في حدود الأدب، ويتم الخلاف بدون أن يفسد للرئيس وآله قضية، خاصة أن الدولة كانت "لايصة" مع جريدة العربي ــ تحية لشرفائها فردًا فردًا ــ والتي يحميها حزب شرعي لن تستطيع الدولة إلغاءه ــ الآن على الأقل ــ فإذا بالمسألة تطبّل ويظهر حزب الغد ثم تظهر حركة كفاية ويرتفع السقف السياسي في كل الصحف المستقلة وبدأت الأقلام المستقلة يزداد تأثيرها ونجاحها، وأصبح عفريت إبراهيم عيسى يطلع مرتين في الأسبوع كمان، وبدا أن الخرق اتسع على الراقع، وتوالت البلاغات الأمنية "ياباشا البلد بتفلت من إيدينا.. العيال دي ماحدش عارف يلمها ولا إيه"، لذلك بدأ التحرك بتأديب حزب الغد الذي صدق أن هناك انتخابات رئاسية بجد مستغلين هشاشة تكوينه وتاريخ رئيسه الملتبس، فكان من أمر الحزب ورئيسه ما كان، ثم تم تمويل إصدار صحيفة يومية لقبضايات الفكر الجديد الذين أخذوا يقولون للحكومة "العيال دول ما بيجوش بالأدب.. سيبونا إحنا عليهم.. إحنا نعرف نأدبهم"، وبرغم الفشل الذريع للصحيفة على مستوى التوزيع الذي يقال إنه لا يتجاوز الألف نسخة (نتمنى إعلان الأرقام الحقيقية لكي نعرف الحقيقة) إلا أن الحزب قرر أن يدعمها بكل ما أوتي من قوة فقرر أن يشتري منها ثلاثة آلاف نسخة يوميًا لمحاولة تقليل الخسائر، وطبقا لما نشرته صحيفة الفجر فقد بدأ التحرك لمحاولة إقناع عدد من

رجال الأعمال بدعم الصحيفة من خلال الاشتراك في شــركة مساهمة تصدر الصحيفة عنها بعد أن أثبتت ولاءها وإخلاصها، ولعل هذا الدعم بدأ يشجع صبيان الفكــر الجديــد فــي بــاقي الصحف وإن كان على استحياء حتى الآن لكــي يبــدأوا فــي حملات لاقتطاع الجمل والفقرات وتحريف الكلم عن مواضعه، فما كتب بشكل ساخر يتم تصويره على أنه تطاول وإهانة، وما كتب بقلب محروق على مصر وحزين على حال المصريين يتم تصويره على أنه إهانة لهم وتطاول على مقامهم، وكل ذلك في بلاغات صحفية يراد منها لفت نظر القارئ الرئيس الذي يقرأ صحفهم الفاشلة من الجلدة للجلدة ليريحهم من هجومنا المتكرر فيقفلها ليريح ويستريحون.

وربما كان من سوء حظ هؤلاء أن ما أتت به الدستور ليس بدعًا من الصحافة كما يسعون لتصــويره فتــاريخ الصــحافة المصرية وخصوصا في فترات عزها ومجدها حافل بعشــرات المعارك السياسية والأدبية التي كانت أسخن وأعنف بكثير مما ينشر في الدستور، وهو أمر يمكن لهم لو كــان لــديهم نوايــا صافية أن يستشهدوا به خاصة وهم يعلمون أن ما يُنشــر فــي الدستور لا ينشر لأغراض خبيثة أو بدعم من دول أجنبية وإلا لكان زماننا كلنا في المحكمة، وإنما يُنشــر لأن مــن يكتبونــه مقتنعين به ويرون أن الأجدى لنا كأمة أن نتحاور حــول كــل الأفكار وأن نطرح كل الآراء مهما كان بها مــن شــطط وأن تهذيب هذه الآراء سيكون بمزيد من الحوار وبمزيد من الحرية،

لا بالمطالبة بإسكات الأصوات التي تأبى أن تسير في القطيع.
هنا أتحدى أن يستشهد لي أحد بجملة طالبت فيها بمنع موالس من الكتابة أو طالبت بإغلاق صحيفة موالسة مع أن هذه الصحف تصدر بأموال الشعب لتوالس حرامية الشعب، كنت أكتفي دائما بالمألسة على الموالسة، وأقول كلمتي وأمشي، وسأظل أقول كلمتي وأمشي، ولن يخيفني أحد بإذن الله، فالذي يعطيني شيئًا أريده أن يقطعه، والذي تفضل عليّ بجميل أتحداه أن يذلني به، والذي يملك لي ضرًا أريده أن يدعي منازعة الله جل وعلا فينزله بي، سأظل أكتب ما أعتقده دون أن أعتقد أنه الحقيقة المطلقة، رافعًا الرأس فخورًا بكل ما كتبته وسائلاً الله أن يجعله في سجل حسناتي، مؤمنا أنه ليس لديّ ما أخجل منه حتى الآن، حتى أفلامي التي يظنون أنهم ينالون مني عندما يسخرون منها هي أفلام صنعتها بشرف واجتهدت في كتابتها، كان حظ بعضها جيدًا وحظ الآخر سيئًا، لكنها في كل حال لم تكن أفلامًا موالسة لسلطة أو مزيفة للحقيقة أو بعيدة عن الناس، كانت نابعة من رغبة نبيلة في إسعاد الناس وأعتقد أنها رغبة تحققت إلى حد كبير، وما يجعل هذه الأفلام أشرف مما يكتب الموالسون أنها مدعومة من الناس، يدخلونها إن شاءوا ويعرضون عنها إن شاءوا. أما التهديد لي ولغيري من أبناء الدستور وعلى رأسهم رئيس تحريرها إبراهيم عيسى فلا أعتقد أنه تهديد يمكن أن يفلح، بدليل أن السنوات التي احتجبت فيها الدستور لم تغير أحدًا منا ولم تثنه عن طريقه، فلماذا سيرهبه

الآن التهديد بالإغلاق والأذى والعقاب، أحب هنا أن أستشهد بمقولة لعالم جليل ـ أختلف مع بعض آرائه لكنني أعشق صلابته وسيرته الشخصية ـ هو شيخ الإسلام ابن تيمية الذي حيّر أعداءه كثيرًا عندما قيل له يوما أن يحذر مكر أعدائه به فقال "ماذا يصنع أعدائي بي، إن يسجنوني فسجني خلوة وإن ينفوني فنفيي سياحة وإن يقتلوني فقتلي شهادة في سبيل الله"، وأضيف عليه "وإن يقفلونا فقفلنا فتح من الله"، لأن كل من بالدستور والحمد لله من أكبر قلم إلى أصغر قلم لا يشكو من انعدام الموهبة ولا يؤمن بأن باب الرزق يحتكره أحد أيا كان شأنه. وستظل الدستور تراهن على انحياز قارئها لها ولن تمد يدها إلا له ولن تحني رأسها إلا لله، ولن تنحاز إلا لما تظنه حقًا، وعندما يغلقونها كما أغلقوها قبل ذلك سيتجمع صحفيوها كما تجمعوا قبل ذلك وسيغنون معا أغنية أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام الخالدة "الكلمة رصاصة ما توجعشي ولا تطلعشي غير وقت الجد.. وإن مال الحرف عن السكة.. هتقيم السيف عالزيف بالحد.. الكلمة وليدة هم الناس.. مش نكتة تهز كروش أغوات.. ولا حكم وإيد ناعمة بتتباس.. الكلمة مقام أعلى المقامات.. تخرج علشان الناس تجري.. ولاتطلعشي في موكب تشريف.. الكلمة عفيفة وانسانة.. لا بتدخل تسكر في الحانة.. ولا ترضي الباب في الأستانة.. ولا تبقى ذليلة ومهانة.. أو فرشة طريّة ودفيانة.. غير للشغيلة الشقيانة". حاول أن تحفظها فربما لا قدر الله نضطر لأن نغنيها سويًا يومًا ما.

شكرًا روز اليوسف

تمنحني نشرة روز اليوسف اليومية السرية منذ أسبوعين شرفًا رفيعًا بنشرها فقرة إعلانية ثابتة تتضمن اسمي وصورتي تحت عنوان (محدث مواطنة مطلوب للمحاسبة الأخلاقية)، وهو ما يجعلك عزيزي القارئ إذا كنت تحفظ بيت أبي الطيب المتنبي الشهير "وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل" تعلم أنني بلغت قدرا رفيعا من الأخلاق والمواطنة طالما أن الذي يطلب محاسبتي صحيفة محدثة موالسة تمكنت في خلال أقل من شهرين أن تهيل التراب على تراث عريق لمؤسسة عظيمة مثل روز اليوسف وتجعل الناس تترحم على أيام صلاح حافظ وإحسان وبهاء وفتحي غانم الذين لعلهم يتقلبون في قبورهم غضبًا على أن تتحول المؤسسة التي صنعوا مجدها العريق إلى قائدة للجناح الصحفي لأجهزة الأمن والتوريث.

سعادتي بهذه الحملة الإعلانية أنها أثبتت أنني أوجع موالسين روزا الذين همشوا شرفاءها وطفشوهم وأقصوهم عن

مقاليد الأمور، وسر سعادتي أن تلك الحملة أسـقطت المنطـق الذي كان يتم به الرد علي دائما بأنني لا أستحق عنـاء الـرد وأنني أتفه من أن يتم تخصيص مساحة للرد على ما أكشفه من الفضائح المهنية لموالسي الصحف القومية، فإذا بروزا تفرد لي مساحة إعلانية يومية في سابقة صحفية أزعم أنها لم تحدث في تاريخ الصحافة المصرية، وهو ما يجعلني أحصل كل يوم على وسام مجاني يذكرني أننـي لا أقـف فـي صـف الفاسـدين والموالسين والظلمة والمخبرين. مشكلتي مـع حملـة روزا أن روزا غير مقروءة بشكل مخزي، يعني هي تطالب قراءها بأن يحاسبوني إذا رأوني في الشارع، بينما خلال الأسبوع الماضي لم ألق من القلائل الذين تعرفوا علي في الشارع إلا كل مـودة وتقدير، وأغلب هؤلاء تعرفـوا علـيّ مـن خـلال البـرامج التلفزيونية التي أشارك فيها، وبعضهم يقرأ الدستور وبعضهم لا يقرأ الصحف أساسًا، لكن جميعهم لم يشاهد للأسف حملة روزا الإعلانية الفشنك، ولذلك أناشد روزا من كل قلبي حل مشـكلة التوزيع بسرعة لكي أستمتع بمحاسبة الناس لي، أو نشر هـذه الحملة كإعلانات مدفوعة الأجر في الأهرام والأخبار بوصفهم بيتقروا، هذا إذا كان غرض روزا هو محاسبتي أخلاقيًا لوجـه الوطن والنيل، أما إذا كان غرضها هو تحريض الأجهزة ضدي فأعتقد أن ما أكتبه في الدستور يفي بالغرض أكثر ولذلك أنـا أتحداها لو كان لديها الشجاعة والجرأة أن تعيـد نشـره علـى

صفحاتها لكي تعم الفائدة ويصل ما أكتبه لمن لايقرأ إلا الصحف القومية "من الجلدة للجلدة".

هنا أقر وأعترف أنني في الأيام الماضية بدأت أتلقى مكالمات تضامن وإيميلات محبة ورسائل تحذير بأن آخذ بالي من نفسي بعد أن قام الكاتب الكبير حسنين كروم بالإشارة إلى "عملة" روزا في تقريره اليومي البديع في صحيفة القدس العربي الممنوعة لأسباب أمنية وسياسية من دخول مصر لكن الآلاف يقرأونها على الإنترنت بشغف، الأستاذ حسنين قرأ إعلان روزا بشكل مختلف وربطه بهجومها السابق على أحمد منصور قبل ضربه وهجوم روزا المجلة قبل ذلك على عبد الحليم قنديل وقيادات حركة كفاية، ورغم أن الجريدة طالبت قراءها وهم بالملايين كما نعلم(!) بمحاسبتي أخلاقيًا وتذكيري باحترام مصر التي شربت من خير نيلها، لكن الأستاذ حسنين كروم وهو أدرى بحكم خبرته الصحفية بطريقة روزا والأجهزة إياها في المحاسبة كان له رأي آخر في فهم هذه المحاسبة فقد كتب في يوم ٢١ نوفمبر قائلا "هذا تصرف مؤسف من الجريدة بل وتحريض للاعتداء علي بلال، فمتي وكيف سيتعرض للضرب في الشارع؟"، ثم كتب في اليوم التالي "واصلت الجريدة نشر الإعلان الذي تحرض فيه علي ضرب كاتب الدستور الساخر بلال فضل، وهو عمل مؤسف وشديد الخطورة"، وفي يوم ٢٣ نوفمبر كتب قائلا "أما نهاية هذا التقرير فهو استمرار جريدة روز اليوسف في سلوكها المؤسف

في نشر إعلان تحريض للاعتداء علي كاتب الدستور الساخر بلال فضل وقد نفاجأ بنشر خبر بأن مواطنين دفعتهم الغيرة علي بلادهم ونهر نيلهم بعد أن قرأوا الجريدة لضرب بلال وتأديبه. ما الذي يحدث في هذا البلد بالضبط!؟ ولأننا لا نعرف فقد آثرنا الصمت حتي عن استكمال تقرير اليوم". وأنا أشكر الأستاذ حسنين على هذا التضامن الشريف مع واحد من أبنائه الصحفيين، وهو أمر ليس بجديد عليه، لكنني أريد أن أطمئنه أن هذا التحريض على الاعتداء لن يفلح في ردعي عما أكتبه وأنني كسبت كثيرًا مما فعلته روزا بشكل لا يمكن تخيله، وأن مئات القراء الذين يقرأون تقريره وبعضهم من خارج مصر أرسلوا إلي رسائل جميلة عامرة بالمحبة ولو لم أحصل في حياتي إلا على رسائل مثل هذه لكفاني، وسأختار من بين هذه الرسائل رسالة واحدة ذات دلالات بديعة وصلتني من الصحفي الشاب مصطفى فتحي رئيس تحرير مجلة شباب الإنترنتية والتي قال لي فيها "يا بلال أنا كنت بكرهك.. متزعلش ده كان رأيي فيك.. أول ما قرأت البوكس الصغير اللى مكتوب عنك فى روزا اليوسف اليومية..حبيتك.. مش عارف ليه.. يمكن علشان بكره روزا اليوسف.. يمكن علشان حسيت انك انسان جدع.. مش عارف.. مش عارف ليه النهارده أنا بحبك جدا.. بحبك بجنون". وأنا أشكر الصديق مصطفى وأشكر قبله الأستاذ عبد الله كمال الذي وصل به الفشل الصحفي إلى حد أنه كلما سلطته لجنة السياسات ليهاجم أحدًا كي يكرهه الناس أحبه

الناس، حدث ذلك مع الأساتذة هيكل وإبراهيم عيسى وفهمي هويدي وأحمد منصور ومع الإخوان وحركة كفاية وحزب الله، وها هو يحدث معي ولذلك أقترح عليه أن يمدحني بقوة لعل الناس تكرهني بقوة. بالطبع أعلم أنه يقبل العمى ولا يقبل فعل ذلك، لذلك سأكتفي بنصيحة الملايين الذين يكرهونني بقراءة روز اليوسف لعلهم يحبونني بفضل سر عبد الله كمال الباتع، وعندها سأكون قد ساهمت في زيادة التوزيع ورددت بعض الجميل للمؤسسة التي بدأت عملي الصحفي منها والتي تضع على صدري كل يوم وساما أعتقد أنني أستحقه.

المو السة مع شوبير!

كما عودنا دائمًا على لمساته الأبوية الحانية لـم يسـتطع الرئيس مبارك أن يصمت على سموم الكابتن أحمد شوبير التي أخذ ينفثها بوجه منتخبنا الوطني ومدربه حسن شحاتة طيلة أيام البطولة الأفريقية، بل قرر خـلال زيارتـه لأبنائـه أشـاوس المنتخب أن يضع حدًا للحرب الشوبيرية على المعلـم حسـن شحاتة، أراد سيادته أن يقول لشعبه إنه مثل هذا الشعب مهـتم حتى ببرامج الكورة العميقة الجادة التي تحلل الماتشـات وآراء الخبراء التي لا تترك صـغيرة فـي المـاتش ولا كبيـرة إلا أحصتها، ولذلك قالها على الملأ لشوبير وزميله مجـدي عبـد الغني "إنت والإرهابي ده بتحبطوا الشعب المصـري.. سـيبوا حسن شحاتة في حاله"، ما هذه الأبوة الحانيـة، الله، مـا هـذا الوصف الرقيق لمجدي عبد الغني، ربنا يخليك لينا يـا ريـس حاميا لشعبك من هجمات النقاد الرياضيين التي لولا تصديك لها لذهبت البطولة من أيدينا. لقد أثبتَ لنـا وللكـابتن شـوبير أن الموالسة لا تفيد، وأن كل ما قدمه بين يديك من تزلف ومحلسة

وموالسة عقب كل مباراة حضرها أبناؤك وحفيدك لم يكن كافيًا لكي تفوتها سيادتك له ولا تقتص لحسن شحاتة منه.

كنت أتمنى كغيري أن يتعلم شوبير من الدرس المباركي القاسي الذي لقنه له سيادة الرئيس أمام الأشهاد، لكنه لم يرتدع ويبدو أن غرامه بالسيد جمال مبارك أعماه عن اللياقة الواجبة مع أبيه رئيس الجمهورية، فوصل به التطاول لأن يقول عندما ظهر مع الكابتن محمود سعد في "البيت بيتك" إنه لم يكن يهاجم المنتخب القومي أبدًا، وإن ضيوفه هم الذين كانوا يهاجمون المنتخب وجميعهم نقاد لهم وزنهم ولا يستطيع شوبير أن يقول لهم بم، هكذا وبكل جرأة يقول شوبير إن السيد الرئيس لا يفهم ما يشاهده، فهو اتهيأ له أن شوبير هو الذي يهاجم بينما ضيوفه قلالات الحصافة هم الذين يهاجمون المنتخب وهو مجرد حارس مرمى قاعد في البرنامج بيباصي لهم الكلام دون أن يشارك في التهديف، ولست أدري كيف يجرؤ شوبير على أن يعدل على سيادة الرئيس ويقول له إن ما استنتجه غير صحيح، يعني الريس مش عارف يتفرج على برنامجك ومش عارف مين اللي بيهاجم ومين بيأيد، هل هذا جزاء من سمح لك بأن تدخل إلى الحزب الوطني ودعمك لتصل إلى مجلس الشعب بعد أن كاد الإخوان المسلمين يسرقون منك أحلامك بأن تكون لديك حصانة تتمخطر بها على زملائك من الرياضيين، يا نهارك زي بعضه يا شوبير، ثم هل هذه شجاعة أن تبلغ عن ضيوفك لكي تفلت من مسئوليتك، أخشى ما أخشاه بعد بلاغك هذا أن

يكون البوليس بيدوّر على حسن المستكاوي أو بيحقق مع الكابتن علي أبو جريشة، ذنب هؤلاء النقاد المحترمين في رقبتك يا شوبير يا شجاع، يا من غيرت موقفك وخليت بأصحابك وضيوفك من أول عطفة، فهل هذه هي أخلاق الكباتن يا كابتن.

الغريب المريب أن محمود سعد عندما ضيق الخناق على شوبير وقال له لكنك قلت إننا سنخرج من البطولة مبكرًا، قال له شوبير دون أن يرف له جفن أن هذه خطة كان يقوم بها لكي يهيء الناس للهزيمة لأنه تعلم أننا نكسب عندما نفقد الناس الأمل، أما عندما نتفاءل نفشل، وهي نظرية ستسجل باسم السيد النايب شوبير في محافل الهجص الدولية، ولو لم تأخذ بها البرازيل في المونديال القادم ستخرج منه بلا حمص، والحمد لله أننا اتبعنا خطة السيد شوبير هذه المرة وإلا لكانت فضيحتنا بجلاجل كما حدث لنا في السنغال عام ٩٢ عندما جاء مركزنا الأخير، ولم يكن ذلك لأن شوبير كان فاتح مرماه ع البهلي للإجوان أو لأن خيبة زملائه كانت بالويبة، بل حدث ذلك لأننا ذهبنا البطولة ونحن متفائلون بسبب انتصاراتنا في المباريات الودية حسب تحليل السيد النايب شوبير. طبعا المشاهدون المصريون الذين شاهدوا شوبير وهو يقطع أداء المنتخب في المباريات الماضية وكان معه كل الحق في ذلك، لأننا كسبنا أحيانا ببركة دعاء الوالدين كما حدث في مباراتي الكونغو والسنغال، ولم نلعب كرة قدم بجد إلا نصف مباراة كوت ديفوار

ونصف مباراة السنغال، أما في باقي المباريات فربك هو الذي أراد لنا الستر ليس إلا، وكان يمكن لشوبير لو كان كما يريد أن يصور نفسه لنا على أنه صاحب رؤية وموقف أن يقول ذلك للرئيس وبالتأكيد لم يكن سيعتقله، فلا توجد مادة في قانون العقوبات تعاقب على التحليل الرياضي ولا على تحليل الزواج، لكنه فضح نفسه وأثبت لنا أنه يفضل رضا الرئيس على رضا مشاهديه الذين جعلوا منه نجمًا إعلاميًا وساندوا رحلة صعوده كلاعب متميز كنا نحبه وفرحنا له عندما أصبح معلقًا ثم مذيعًا، وبعد كل هذا يطلع بيشتغلنا ويقول لنا كلاما وهو يقصد عكسه، ولا أدري كيف تصور وهو يقول لنا ذلك أننا سنصدقه أو نثق فيه أو نحترمه. أعتقد أن موقف شوبير هذا يثبت أنه يتوجه لجمهور مكون من خمسة أفراد هم أفراد عائلة الرئيس، أما الملايين الذين كانوا يحبونه فليس مهما أن يتعامل معهم على أنهم عبط يمكن أن يصدقوا كلاما كالذي قاله لمحمود سعد. قلت كل هذا الكلام لصديق من أشد معجبي أحمد شوبير فلم يتأثر به مطلقا وقال لي "لازم تعذر الكابتن النايب شوبير لأنه بينطبق عليه المثل العامي الشهير واحد ماشافش سُلطة شاف جمال مبارك اتبدل".

عدوى القط ضربت أخبار اليوم!

ليس عيبًا أن تأتي الموالسة من أهل الموالسة فده العادي بتاعها، لكن العيب كل العيب أن تأتي الموالسة من صحفي له رصيد مهني مرموق وقلم رشيق ولا يحتاج إلى الموالسة في شيء خاصة بعد أن وصل إلى مقعد رئيس التحرير لمطبوعة متخصصة في فرع يعتبر من أبرز من كتب فيه في السنوات الماضية في مصر. عن الصحفي اللامع محمود صلاح أتحدث، مسجلاً في البدء أنني واحد من معجبيه، منذ كنت طفلاً أقرأ بشغف الحوادث التي يحولها بقلمه إلى قصص صحفية مثيرة، لذلك صدمتني "الحادثة" التي ارتكبها في مقال له الأسبوع الماضي بجريدة الأخبار بعنوان "أول من يداوي"، وتستطيع أن تستنتج إذا كنت متمرسًا بتتبع الموالسين أن أول من يداوي هنا مقصود به الرئيس مبارك الذي كتب محمود مقاله متغزلاً في ذهاب الرئيس مبارك لزيارة الناجين من حادث العبارة الغارقة، قائلا "أشهد في خلال ثلاثين عامًا قضيتها في التغطية الصحفية لأهم الحوادث في مصر أن الرئيس مبارك كان وما يزال يفعل

ما لم يفعله غيره من الرؤساء فما إن يقع حادث كبير حتى يطير الرئيس إلى مكان الحادث.. ويكون أول من يواسي وأول من يعمل على تضميد الجراح".

المضحك هنا أن محمود ينسى أنه خلال الثلاثين سنة التي تحدث عنها لم يكن هناك حاكم سوى الرئيس مبارك باستثناء ست سنوات في حكم السادات، وهو ما يفرغ التميز الذي يسنده للرئيس مبارك من كثير من فرادته، ناهيك عن أنه يحكم غيابيًا على فترات لم يعاصرها ولم يرجع فيها للأرشيف ليقول لنا هل كان الرئيسان عبد الناصر والسادات يهملان زيارة مواقع الأحداث، بالمناسبة لم يكن ذلك صحيحًا والأرشيف موجود ليشهد على زيارات عبد الناصر والسادات الميدانية لجبهات القتال وغيرها من مواقع الأحداث. وبغض النظر عن هذه التفاصيل التي تحتاج إلى مؤرخين متخصصين للحكم عليها لكي يأخذ كل حاكم حقه، فإن المشكلة الحقيقية تكمن في تفكير الأستاذ محمود وكثيرين غيره من كتاب صحفنا القومية الذين يتعاملون مع الرئيس على أنه فرعون يستحق أن نحييه إذا ذهب إلى موقع كارثة، ولست أفهم كيف يمكن أن يتم تحية رئيس الدولة على أنه يؤدي واجبه الذي أقسم عليه في قسمه الرئاسي أن يصون مصالح الشعب، ناهيك عن أن الكارثة التي ذهب إليها لم تكن كارثة طبيعية وقعت علينا من حيث لا ندري ولا نحتسب، بل هي كارثة وقعت بسبب الفساد والاستهانة بأرواح الناس. وعلى حد متابعتي وأتمنى أن يكذبني أحد لم نقرأ أن

كاتبًا يحترم قلمه في أي دولة متحضرة كتب مقالاً يتملق فيه رئيس دولته لأنه ذهب إلى موقع كارثة طبيعية أو بشرية، بل على العكس تتم بستقة رؤساء الدول المتحضرة بسبب أخطاء قد لا يكونون طرفا مباشرًا فيها، لأنه في العالم المتحضر يتحمل أكبر رأس في الدولة أصغر خطأ يقع فيها، ولا يبحث له أحد عن أعذار أو مبررات، بل نرى رؤساء الدول الكبرى يذهبون إلى مواقع كوارث طبيعية لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وبرغم ذلك يتحملون اللوم العنيف على تقاعسهم عن نجدة الناس، فما بالك بكوارث تحصل بسبب الاستهانة بأرواح الناس وحملهم على عبارات موت يشتبه في علاقات صاحبها بكبار القوم في مصر، هل نعتبر زيارة الرئيس مشكورًا للناجين كافية لكي ينتهي الموضوع، وهل حقًا زيارته داوت وضمدت الجراح، أم أن الدواء الحقيقي يكمن في تحديد المتسبب في الحادثة البشعة وإحالته إلى المحاكمة ووضع حد للإشاعات والتشنيعات التي تملأ الشارع المصري وصرف تعويضات تليق بجرح الناس وفقدهم وآلامهم.

هنا أسأل الأستاذ محمود وأنا متأكد من متابعتي لما يكتبه أنه يحمل قلبًا نابضًا بالإنسانية، ها هي ثلاثة أسابيع قد مرت على الفاجعة الأليمة، فأين هو مفعول دواء سيادة الرئيس؟ وهل فعلا تم تضميد الجراح؟ ثم قبل ذلك كله السؤال الأهم ما هو دور الكاتب الصحفي يا أستاذ محمود، أن يعبر عن الناس وآلامهم وهمومهم كما تفعل من خلال صحيفتك أخبار

الحوادث، أم أن يصفق للحاكم ويوالس له بعبارات كنا نظن أن الزمن قد تجاوزها. وللأسف الشديد فإن مشكلة البعض من كتاب صحفنا القومية أنهم ليسوا مشغولين بما يحدث في مصر بقدر ما هم مشغولون برصد انفعالات وانطباعات الرئيس تجاهه، في الملعب يتركون المباراة ويركزون على المقصورة، وفي الكوارث يتركون الضحايا ويركزون على طبطبة الرئيس عليهم، وأشعر أنهم يشبهون مذيعي زيارات الرئيس الذين ظلوا لسنوات نكتة من نكت إعلامنا الرائد البائد وهم يقولون بأصوات منفعلة مضحكة "وها هو الرئيس الأب يدخل إلى العنبر، وها هو يمسك بالناجي من العبارة ويمسح على رأسه ويطبطب عليه، ثم ينتقل إلى ناجي آخر، الله أكبر يا مبارك، هذا عهدنا بك، عشت لنا أبًا وزعيمًا وقائدًا وربانًا لسفينة الوطن الغارقة، أنا آسف أقصد أن الرئيس يتابع الناجين من السفينة الغارقة"، وهكذا يستمر المذيع في التعليق على الرئيس كأنه بطل الحادث وليس أولئك المتلقحين على أسرة المرض يفكرون في مصيرهم المجهول.

ختامًا يا أستاذ محمود لقد اكتسبت نجوميتك من التركيز على وجع ومعاناة رجل الشارع العادي، ووصلت إلى منصبك بفضل ذلك، وتكون مخطئًا لو ظننت أنك عندما تكتب مقالاً موالسًا كهذا تنال إعجاب قرائك، بل أنت تخسر جزءًا من رصيدك المهني، وستتعاظم الخسارة مع توالي الموالسة، وكلي عشم كقارئ محب ألا يحدث ذلك فأغلب ظني أنك كتبت هذا

المقال بعد أن تناولت طعام الغذاء مع ممتـــاز القـــط فلقطـــت الموالسة منه زي التدخين السلبي، رجاء حاول ألا تجلس مـــع ممتاز القط قبل كتابة مقالك فالكاتب في هذا السن يلقط الزعل.. والموالسة.

كوكو المخبر يتميز.. غيظًا!

زمان أيام كان هناك خشا وحياء، كان المخبر يجلس في غرفة مغلقة جيدًا سيئة التهوئة، وخافتة الإضاءة ليكتب تقريرًا يرفعه للجهات الأمنية عن فلان الذي يهاجم الرئيس أو علان الذي يشتم الحكومة، ويحرص دائمًا على ألا يعرف أحد أنه يكتب تقارير أمنية أو أنه يستعدي السلطة على من يكتب التقارير في حقهم، ويشتعل غضبًا إذا اتهمه أحد بأنه يفعل ذلك. في زمن الفكر الغتيت وعندما "احتل" بعض المخبرين الصحفيين مناصب رؤساء "تحرير" خلعوا برقع الحياء الذي كان يرتديه سابقوهم وأصبحوا يمارسون كتابة التقارير عيانًا وينشرونها بيانًا، ويمارسون الخلاف في الرأي على طريقة ابحث مع الشرطة، لينزعوا ورقة التوت عن الفكر الجديد الذي يخدمون سادته خدمة العبد للسيد.

أصبح القارئ الكريم على وشك الملل من تذكيري له أن رزية روز اليوسف اليومية شنت علي منذ أشهر حملة تشهير شرسة استخدمت فيها بروازًا إعلانيًا يوميًا يطلب من قرائها

الألف أن يحاسبوني أخلاقيًا إذا رأوني في الشارع لأنني على حد قولها أهنت نهر النيل، واعتمدت روزا على مبدأ اكذب اكذب حتى يصدقك الناس، لكن الناس لم يصدقوا وظلت هي تكذب، برغم ثبوت الفشل الذريع للكذبة، خاصة أنني ظللت أمشي في الشوارع بالأشهر منتظرا أن يحاسبني الناس كما طلبت منهم روزا فلم يفعل أحد، ربما لأنه لا أحد يقرأ روز اليوسف أو لأن القلائل الذين يقرأونها يعلمون أنني لم أوجه أبدًا إهانة لنهر النيل بل كنت أسخر من الأوضاع المتردية التي وصل إليها نهر النيل على أيدينا. يومها كتبت قائلاً إن على روز اليوسف أن تكون شجاعة فتقول للناس إن الموضوع ليس غيرتها على نهر النيل ولاحزنها عليه فمقالات رئيس تحريرها من أهم مصادر تلوث نهر النيل. وبحمد الله لم تنتظر روزا كثيرا حتى تكشف عن السبب الحقيقي لهجومها الشرس على شخصي المتواضع، وكانت من الذكاء المعتاد بحيث أعطتني وسامًا إضافيًا وشهادة تقدير لم أطلبها. فلها كل الشكر.

أصل الحكاية أنني تلقيت قبل أسبوعين دعوة كريمة من الأستاذ أسامة سرايا رئيس تحرير الأهرام للكتابة في صفحة ساخرة كان الأهرام يستعد لإصدارها، لم تكن الدعوة غريبة على أسامة سرايا الذي أشهد له أنني عندما انتقدته مرة على صفحات هذه الصفحة اتصل بي شاكرًا لما كتبته لأنه نبهه إلى خطأ لم يكن يقصده، ولذلك اعتبرت أن دعوته لي تنبع من إيمانه باحترام الرأي الآخر وتعني بالفعل أن هناك تغييرًا حقيقيًا

بدأ يحدث في مؤسسة عريقة كالأهرام شهدت أيام عزها عندما كانت تفتح أبوابها لكل التيارات السياسية ولكل الأقلام من كل الأطياف والألوان، والحق أن الدعوة لم تكن أبدًا مشروطة بأي اشتراطات سياسية أو مهنية، بدليل أن المقالة الأولى التي نشرتها كانت تسخر من الحزب الوطني ورئيس الحكومة وأجهزة الأمن، ولم أكن أعتقد أنها ستنشر لكنها نشرت، وهو ما أنتج ردود فعل مبشرة ومرحبة تلقيتها أنا وتلقاها الأهرام أيضا بحمد الله.

كانت روز اليوسف قد حاولت إجهاض هذه الخطوة قبل حدوثها بنشر خبر على صورة بلاغ أمني مصغر للمسئولين يتحدث عن تفاوض الأهرام معي للكتابة فيه ويحذر من هذه الخطوة، والحق أنني لم أكن أحسب نفسي مهما إلى هذا الحد بحيث تثير كتابتي في الأهرام استنفار أحد هكذاء خاصة أنها لم تكن المرة الأولى التي أكتب فيها في صحيفة قومية فأنا أكتب مقالاً شهريًا في مجلة الشباب منذ أشهر بعد دعوة كريمة من الأستاذ لبيب السباعي، وقد أكرمني الرجل واحتفى بي بما لا أقوى على شكره عليه، فضلاً عن أنني منذ عشر سنوات كتبت وعملت في مجلات صباح الخير والمصور والكواكب والهلال بل وروز اليوسف نفسها أيام كانت لاتزال تحترم قارئها وتاريخها، فلم يكن لي في يوم من الأيام موقف من العمل أو الكتابة في الصحف القومية لأنها ليست ملكا لأحد بل هي ملك للناس كلهم، ولقارئها وحده الحق في أن يرفض من يكتب فيها

أو يحتج عليه. ولا يعقل أن أكتفي بانتقاد الصحف القومية بأنها لا تفتح كما ينبغي صفحاتها للرأي والرأي الآخر، ثم عندما أدعى إلى الكتابة أتقاعس تحت أي عذر، فأنا دائما أؤمن بأنه ليس المهم أين تكتب بقدر ما هو المهم أين تكتب. وبالتأكيد كان يشرفني أن أكتب في صحيفة عريقة يكتب فيها كتاب بحجم فهمي هويدي وسلامة أحمد سلامة وعبد المعطي حجازي ومحمد السيد سعيد وصلاح الدين حافظ وأنور عبد الملك وأسامة أنور عكاشة ورجاء النقاش وغيرهم من كتاب مصر الكبار. وبحمد الله على قدر ماكانت كتابتي المتواضعة وسط هؤلاء العمالقة محل ترحيب من القارئ الكريم سواء كان يعرفني أوكان يتعرف علي، فقد أقضت مضاجع القائمين على روز اليوسف الذين يبدو أنهم يعتبرونني سبب خراب مصر وهدفا قوميا لابد من تصفيته واستئصاله ـ بعينهم ـ فقد أفردوا لي الاسبوع الماضي ثمانية أعمدة في الصفحة الأولى تحت عنوان "الأهرام يمنح مساحة لكاتب من أصول يمنية احترف الهجوم على الرئيس" وهو ما رأى البعض أنه كان مادة لتقرير مرفوع إلى الجهات الأمنية ضل طريقه إلى النشر، بينما أراه تطبيقا فاضحا لأسلوب الفكر الجديد الغتيت في التعامل مع الرأي الآخر خاصة إذا جاء من كاتب ضرب كرسيا في كلوب روزا المنصوب بحوارها مع جمال مبارك فأجرى حوارا ساخرا خياليا مع ابنه شادي أثار ما أثاره من ردود فعل عاصفة وصاخبة في مصر كلها لدرجة أنه تم اقتطاف أجزاء منه

لتصبح رسائل على التليفونات المحمولة، ويبدو أن سيد اللحاس أسرها في نفسه وقرر أن يأخذ بثأره مني لكن التوفيق خانه كعادته، فخدمني من حيث لا يختسب، إذ يبدو أن كتابتي في الأهرام أثارت تخوفا لدى بعض القراء المحبين من أنني قد أغير مواقفي السياسية أو أنقلب على نفسي، وبحمد الله جاء ما نشرته روزا ليرد على هذه التخوفات، ويثبت أنني أحرق قلوب الموالسين وأقض مضاجعهم بشكل أنا نفسي لا أتخيله ولا أفهمه، فما أنا إلا كاتب على باب الله تستخدم معي روزا محقة صيغة "كاتب اسمه بلال فضل" لكنها تفرد لي مساحة كبيرة تشغل بي قراءها الذين تضاعفوا بحمد الله فأصبحوا ألفي قارئ في أحسن الأحوال، وهو عدد سكان وزوار برج الأطباء في شارع مصدق، أو رواد حفلتي ستة وتسعة في سينما بيجال التي تعرض أفلامي المنحطة من وجهة نظر روز اليوسف الراقية، وهي أفلام أتفه ما فيها أرفع قدرا من كل ما كتبه عبد الله كمال في حياته كمخبر .. صحفي.

بالمناسبة ياليت روزا اعترضت على كتابتي في الأهرام بسبب اعتراضها على أفلامي أو حتى أسلوب كتابتي، فقد دخلت في الموضوع هذه المرة وتخلت عن حجج الخوف على نهر النيل وقالت صراحة أن اعتراضها على كتابتي في الأهرام سره أنني احترفت الهجوم على رئيس الدولة، مع أن ذلك في رأيي أمر يحسب للأهرام لاعليها وهو ما اعتبره البعض من غير المخبرين الصحفيين بداية تغيير حقيقي في التعامل مع

الآراء المعارضة. هنا يجب أن أقول إنني لم أفهم هل روزا معترضة على كتابتي في الأهرام لأنني من أصول يمنية، إذا كان ذلك كذلك فيجب أن أذكرها أن الأهرام أساسًا أنشأه وبنى امبراطوريته، ذوو أصول شامية تمامًا كغيره من أهم صحف ومجلات مصر. أما إذا كانت معترضة على أنني أهاجم الرئيس وجمال مبارك وأنس الفقي وزير الإعلام حتى أنها قامت باختيار مقتطفات مما كتبته عنهم، فهل هناك تعليمات لا نعلم عنها شيئًا توجب بألا يكتب في الصحف القومية إلا من كان مؤيدًا للرئيس وإبنه ووزير إعلامهما، هل هذا هو قانون العهد الجديد وفكره الجديد، وهل هذه بداية لمحاكم تفتيش جديدة تقودها كتيبة المخبرين الصحفيين للبحث عمن هاجم سيادة الرئيس أو ابنه أو وزير إعلامه والله أعلم بمن سيدخل في القائمة أيضا؟. بالمناسبة يبدو أن مخبر روز اليوسف ــ الذي لم يجرؤ على ذكر اسمه مع أنه معروف للكافة بتاريخه في التحرش بخلق الله ولذلك قصص سأرويها قريبا ــ كان يكتب على عجل فاختار مقتطفات أخف بكثير مما أكتبه عادة، ولعل ذلك خطأ تستعد روز اليوسف لإصلاحه قريبا كعادتها، لذا أعلن استعدادي لأن أوصل لمخبرها الصحفي نسخًا من كل ما كتبته في الدستور ليستخدمه في تقاريره القادمة، فأنا أتشرف بكل ما كتبت لأنني كتبته عن اقتناع ومستعد لأن أدفع ثمنه، خاصة وأني لم أكتب يومًا مهاجمًا شخصًا بل هاجمت سياسات وقرارات وسلبيات مستخدما حقي الدستوري والقانوني ومتحملاً

مسئولية كل حرف كتبته، وما كتبت حرفًا مما كتبته إلا لوجه الله تعالى وعن اقتناع بأن هناك هامشًا من الحرية يتقاعس الكثيرون عن توسيعه أو استغلاله، وقد أظهرت التجربة فعلاً أن أجهزة الدولة تسمح بتوسيع هذا الهامش وهو أمر يحمد لها حتى الآن تمامًا كما يحمد للذين رفعوا سقف حرياتهم بأيديهم، لكن المأساة أن من يعترض على ذلك ويكرهه ويطالب بإنهائه هم موالسون من المنتسبين زورا لمهنة الصحافة التي كانت دائما مهنة في خدمة القارئ لا الحاكم. وللأسف لم يعد هناك نقابة تحاسب هؤلاء الذين بدلاً من الخلاف في الرأي مع زملائهم يحرضون عليهم ويكتبون فيهم تقارير أمنية علنية على صفحات الصحف ويدعون فيها لقصف أقلامهم وإغلاق صحفهم والتنكيل بهم.

من المهم أن أؤكد هنا أن ما نشرته روز اليوسف فضيحة مهنية وسياسية غير مسبوقة في تاريخ الصحافة فعلى حد علمي لم تنشر صحيفة قومية قبل ذلك تحريضًا ضد صحيفة قومية أخرى لأنها استكتبت كاتبًا معارضًا، وهي فضيحة لا ينبغي السكوت عليها لأنها قضية عامة تنذر بخطر مقبل على مهنة الصحافة، والأمر يتجاوز شخصي بكل تأكيد، فأنا لا أبغي من كتابتي في الأهرام أو الدستور مالاً أو شهرة أو حظوة، فقد كفل المواطن المصري قاطع تذكرة السينما كل ذلك لي بفضل الله ثم بفضل حب الناس لأغلب ما قدمت من أفلام سينمائية، وسأظل أكتب ما أراه حقًا من وجهة نظري في كل مكان أذهب إليه، محترمًا سقف كل مكان أكتب فيه وقواعده في النشر

ومؤمنًا أن هناك وسائل للتعبير عما تريد قوله إذا صحت نيتك وقويت حرفتك، لن أكون أبدًا بوجهين ولن أكف عن المشاغبة والمشاكسة وانتزاع حريتي بأصابع يدي التي أكتب بها، ولن أخشى أي تهديد أو ابتزاز أو تحريض ضدي مهما كانت دناءته أو حدته، لأنه على كثرة ما لدي من سيئات فإن حسنتي الأهم أو حتى الوحيدة هو أنني أؤمن حقًا وصدقًا بأنه لا نافع ولا ضار ولا رازق ولا مانع ولا مانح إلا الله عزوجل، ومن العبث والخطل والهطل أن تظن روز اليوسف أو من ورائها أنها يمكن أن تضرني لو منعتني من الكتابة في الأهرام أو في المصري اليوم أو الشباب أو حتى لو فعلت بي ما هو أنكى وأدهى، كما أنها تكون واهمة إذا حاولت أن تحقق أحلام سادتها فتغلق الدستور وصوت الأمة وتمنع أقلامها الشابة بقيادة الكاتب الشجاع إبراهيم عيسى من أن تؤدي دورها في محاربة الفساد والظلم والتوريث والإفقار، لأن العالم تغير ولم يعد ممكنًا أن تسكت صوتا حرًا أبدا حتى بالقتل أو المنع أو التكميم أو المصادرة، ولن تعود عقارب الساعة إلى الوراء حتى لو ظن البعض أنهم قادرون على ذلك.

ختامًا قد ينجح المخبرون هنا أو هناك من منعي أنا وغيري من المغردين خارج السرب من الكتابة في هذه الصحيفة أو تلك أو منعنا من الكتابة أساسًا، لكنهم لن يستطيعوا أن يغيروا حقيقة أن القلم الذي ينحني لغير الله قلم واطي. وحاشا لله أن نكون من الواطيين أو اللواطيين.

قدوتي إبراهيم نافع!

قليل البخت يلاقي العضم في الكرشة. أما أنا فقد لاقيت إبراهيم نافع وسط مكتبة كبيرة عامرة بأهم الكتب، كلها كانت متاحة لي لأختار منها ماأشاء، لكنني اخترت إبراهيم نافع، فلا حول ولاقوة إلا بالله.

كانت الفرصة التي أضعتها قد سنحت لي بعد مائدة غداء عامرة عند أستاذي علاء الديب، ونحن ذاهبان لغسل أيدينا استغللت وقوعه تحت تأثير محشي الكرنب والرقاق والبتنجان الذي تصنعه زوجته الفاضلة بخلطة شيطانية، كنا نمشي ونحن نتسند على بعضنا من وعثاء الأكل المسبِّك، مررنا في ممر ضيق مفضي إلى دورة المياه به دولاب ضخم عامر بمئات الكتب التي تطلع عيني عليها كل مرة، انتهزت فرصة جمعي بين عم علاء ودولاب كتبه في فرصة قد لا تتكرر، قلت له محاولا إخفاء طمع نفسي "إنت رامي الكتب دي ليه هنا يا أستاذي"، قال لي وهو يحاول التقاط أنفاسه "دي الكتب اللي قريتها خلاص أو كتبت عنها ومش محتاج أحتفظ بيها"، كتمت صرخة فرحة بداخلي، لم يعد محتاجًا إليها إذن بوسعي تقليب

عم علاء كيفما شئت، قطع حبل طمعي بقوله "تحب تاخد منها حاجة"، أربكني العرض المفاجئ فلم أرد أن أظهـر بمظهـر الطمعان، فقلت متصنعا عدم اللامبالاة "لا.. يعني.. مش قوي.. مافيش وقت"، لم يعطني الوقت الكافي لإتمام تحـول درامـي مدروس من عدم اللامبالاة إلى حمل ماثقل وزنه وغلا ثمنه من كتب الدولاب، قال لي مثبتا أن المحشـي لا يمكـن أن يـؤثر بسهولة في عقل واع كعقله " يعني خد كتاب واحد حتى"، كدت أقولها "يا واعي يا عم علاء"، لكنني تفهمت مشـاعر صـاحب أشهر عصير للكتب، من الصعب أن يتخلى أي مقتني للكتـب عنها بسهولة، كتر خيره أن سمح باقتناء كتاب واحد، علـي أن أرضى بالمقسوم وأبدأ في احتلال مكتبته شبرا شبرا، قلت لـه "طيب أنا كل مرة أجي لك هاخد كتاب بشكل عشـوائي وزي ماتيجي"، هز رأسه موافقا، إذن فقد نجحت الخطة، أصبح مـن حقي أن آخذ كتابا في كل مرة، المرة الجاية هيبقـوا كتـابين، يعني كمان شهرين ستصبح هذه المكتبـة ضـمن ممتلكـاتي العامرة، ضربت بعيني على الأرفف فخاب أملي، كثير من هذه الكتب لدي وكثير منها رديء أضعت في قراءته وقتا لم يكن له لازمة، كيف افترضت أن يؤثر المحشي في عقل صاح كعقـل عم علاء، طبعا لابد أن يبعد كتبًا رديئة كهذه عن الكتب الزبـد التي تحتفظ بها في مكتبة مكتبك الحافلة بالكتب النادرة والمهمة، طيب يالله إضرب بيدك بين كتب هذا الـرف وزي مـاتيجي تيجي.

خرجت يدي بكتاب قبل أن أنظر في غلافه كان الأستاذ علاء غارقًا في الضحك، كانت شفتاه، أعني شفتا الأستاذ ابراهيم نافع ـ أنظر الشكل المرفق ـ تحتلان حيزًا لا بأس به من غلاف الكتاب الذي حمل لوحة زيتية رديئة لإبراهيم نافع ـ أعتقد أنها مرسومة بزبدة مش بزيت ـ فوق الرسم جاء عنوان الكتاب (إبراهيم نافع القدوة)، في أسفل الرسم جاء اسم مرتكب تأليف الكتاب دكتور محمد عبد العال، والذي لم أكن أعرف أنه موهوب في معرفة البشر إلى حد جعله يكتشف إبراهيم نافع مبكرًا جدا، الكتاب صادر في مارس ١٩٨٧ قبل سنوات طويلة من القبض على محمد عبد العال ودخوله السجن، وقبل سنوات طويلة أيضا من ظهور إسم إبراهيم نافع وصورته في صفحات الحوادث بدلاً من الصفحات الأولى.

طيلة هذا الوقت الذي كنت أتصفح غلاف الكتاب ومؤخرته، كنت أظن أن الأستاذ علاء يضحك ساخرا على حظي، فحاولت أن أبين له أنني مش زعلان أبدا، بل بالعكس أنني أعتبر حظي عاليًا جدًا، وأن ما يشغل بالي الآن هو التفكير فيما سيرسمه عمرو سليم لما سا أكتبه عن هذا الكتاب، اتضح أن الأستاذ علاء كان يضحك على شيء آخر تمامًا، حكى لي أنه عندما جاءته نسختان من هذا الكتاب فور صدوره أملاً في أن يكتب عنه في بابه الشهير عصير الكتب الذي كان معلمًا من معالم مجلة صباح الخير، قام بقص غلاف الكتاب الذي يحتوي على اللوحة الزبدية لنافع القدوة وعلقها على زجاج الشباك

المواجه لمكتبه لكي ينظر إليه كل صباح قبل أن يكتب، شاركته الضحك على ما قاله لكن طيف أبو الطيب المتنبي مــر بيننــا حاكيًا عن مضحكات مصر المبكيات. عمل الأستاذ علاء مــا عليه، حاول أن يكون له في إبراهيم نافع قدوة حسنة لكنه فشل، ولذلك ذهب ابراهيم نافع بما حمل من ملايين حلالاً بلالاً على قلبه، بينما تم منع الأستاذ علاء قبل ثلاث سنوات من الخروج من المستشفى قبل أن يدفع مائة وثمانين ألف جنيه ثمنا لأخطاء أطباء المستشفى التي عالجت قلبه العليل، وفيما تحدثت الصحف عن ثروات طائلة حققها نجل الأستاذ نافع ببركة أبيه، لم يجــن الأستاذ علاء سوى اعتداء قوات الأمن على ابنته سارة مراسلة الأسوشيتد برس في يوم الاســتفتاء الأســود، لــم أرد تقليــب المواجع الجاهزة عليه وعلي، قلت له "طيب يا أستاذ علاء إنت فشلت في الاقتداء لأنك قريت الكتاب بعد ما خدت طريقك فــي الحياة وخلاص بقيت روائي كبير ومثقف شريف وبتاع كتــب وأفكار.. يعني عديت سن القدوة القانونية.. المفــروض تــدي الكتاب للشباب اللي زيي وزي إبنك أحمد عشان نعرف نستفاد بدل ما ترميه في مكان زي ده"، قال لي "طيب كويس أهي جت من عند ربنا.. اقرأ واقتدي وعلى الله تفلح".

لم يكن ممكنًا أن أبدأ في قراءة كتاب كهذا يثير الرهبة في النفس وأنا متخم بالأكل والضحك المبكي، كان لابد أن أستعد له جيدًا خاصة أنني راغب في الاستفادة بجد، فأنا في صحبة اثنين من أعلام مصر، إبراهيم نافع ومحمد عبد العــال، قــررت أن

تكون سهرتي في صحبة هذا الكتاب، فور عودتي إلى المنزل توضأت وصليت ركعتين ودعوت الله أن يعلمني ما ينفعني وينفعني بما سأتعلمه من تجربة نافع الشامخة التي قيض الله لها شامخا آخر مثل محمد عبد العال ليرصدها، يعني الحكاية هتبقى "مَشمَخة" على الآخر.

لم أكن أقصد أن أقرأ كتابًا مهمًا كهذا من مؤخرته، لكن الظروف هي التي حكمت، فقد وقعت عيني على صور شامخة في نهاية الكتاب تظهر إبراهيم نافع في أوضاع حافلة بالود والمحبة مع عدد من قادة العالم في وقت صدور الكتاب على رأسهم طبعا الرئيس مبارك ومارجريت تاتشر وهيلموت كول وميتران وأنديرا غاندي وصدام حسين والملك حسين وياسر عرفات، وتشاء حكمة الله يامؤمن أن يرحل جميع هؤلاء عن الحكم أو الدنيا ويبقى الرئيس مبارك وإبراهيم نافع في قلوبنا وعيوننا فاللهم لك الحمد وأنت الذي لايحمد على المكروه سواك.

زادتني الصور شموخًا على شموخي، فقررت أن أبدأ في قراءة الكتاب بجدية شديدة، تركت مؤخرة الكتاب وبدأت في الغوص فيه، لم أكن أعلم أنه ليس غويطًا فقد ارتطم رأسي بأسلوب كتابته الركيك فور أن غصت فيه، بدأ عبعال كتابه بشرح واف للسبب الذي جعله يختار إبراهيم نافع ليكون بطل الكتاب الأول لسلسة أعلام الصحافة العربية التي لا ندري من كان بطلها الثاني، لعله سمير رجب بالطبع، ولعلها فرصة

سانحة لأن ندعو لاستئنافها في هذه الأيام فنحن بحاجة ماسة لكتب تقدم للناشئة والشباب أعلامًا مثل ممتاز القط ومحمد علي إبراهيم وعلم النادي الأهلي.

لست محتاجًا لأن أكرر لك مبررات عبعال التي دفعته لاختيار إبراهيم نافع فسأتركها لذكائك، خاصة أن تأثير جرعة الركاكة كان أثقل عليّ من تأثير الرقاق والمحشي، أخذت فصول الكتاب تلطمني فصلا وراء الآخر، ابراهيم نافع في سطور، نشأته وأسرته، ابراهيم نافع صحفيًا، ابراهيم نافع مؤلفًا، إبراهيم نافع إداريًا، ابراهيم نافع نقابيًا، ثم أخيرا من أقوال إبراهيم نافع. مالي أنا ولكل هذا الهذر، أين ما فرحت من أجله بالكتاب؟ أين الفصول التي ستدفعني للاقتداء بإبراهيم نافع؟ "كيف تصبح مليونيرا من لاشيئ"، " كيف تكون كاتبا ركيكا ورئيس أكبر صحيفة في الشرق"، " كيف تخصي المثقفين الذين يكتبون لديك"، "كيف تبقى على كرسي رئاسة التحرير ثلاثين عاما"، "كيف تحول الصحافة إلى بيزنس"، هذه هي الفصول التي كنت أريد قراءتها في كتاب كهذا، لكنني وجدت بدلاً من ذلك كلامًا ركيكًا عن عبقرية إبراهيم نافع ككاتب وكيف تلقف نداء الصحوة الكبرى الذي أعلنه الرئيس مبارك في ١٣ نوفمبر ١٩٨٥ وقام بتقديمه إلى الناس من وجهة نظر الصحفي ومطالبته بترجمة هذا النداء إلى واقع ملموس يعايشه المجتمع بل ووضع خطوات ينبغي اتباعها لتنفيذ هذا النداء، طبعا عندما تقرأ تلك الخطوات النافعية المباركية تستغرب لماذا لم ينفع الله

بها مصر ولم يبارك في أحوالها، ولماذا لـم تصـحو مصـر صحوة كبرى أو صغرى طيلة عشرين عاما، بالطبع لن تجـد تفسيرا لذلك سوى أن مصر ماكانتش بتجيب الأهرام كل هـذا الوقت وكانت بتجيب المساء، تستأهل ما جرى لها.

هكذا وصلت محبطا إلى مؤخرة الكتاب حيث أراد الله أن يكافئني على صبري في قراءة الكتاب الركيك، فـي المـؤخرة وجدت فصلاً عنوانه "قالوا عن إبراهيم نافع" صدره الـدكتور عبعال بمقولة ساطعة للرئيس مبارك كتبها في دفتر زيـارات الأهرام عقب زيارته للمؤسسة في ١٥ ديسمبر ١٩٨٤ عبر فيها الرئيس عن ثقته في إبراهيم نافع في أنه سيواصـل "أصـدق الجهود وأخلصها من أجل استمرار مسيرة العطـاء والإلتـزام بالكلمة الحرة وبقيمنا الروحية وتراثنا الحضاري فـإن الكلمـة الحرة ضوء كشاف ينير الطريق أمام مسيرة العمل الـوطني"، اقشعر جلدي من رهبة هذه الكلمة وقلت لنفسي وأنـا أتأملهـا مرارا وتكرارا، ماكل هذا اللغط الذي يثيره صديقنا مصـطفى بكري عن ثروات إبراهيم نافع والفساد الإداري والمالي الـذي استشرى في عهده، هل هذا جزاء الرجل الـذي طلـب منـه الرئيس مبارك أن يمسك بالكشاف لينير الطريق أمام مسـيرة العمل الوطني، هل حمل الكشاف أمر سهل يا إخوان، هل إنارة الطريق أمام المسيرة شيء يتعمل ببلاش، خاصـة أن مسـيرة العمل الوطني بتسحب كهرباء كتير كما نعلم، هل كان مطلوبا من الرجل وهو مشغول بالمهمة التي كلفه بها سيادة الرئيس أن

يقيد مايسحبه الكشاف من حجارة، قولــوا كلامـــا غيــر هـــذا ياإخوتي، إنني أزعم أن صديقنا مصطفى بكــري سيشـــاركني القشعريرة بعد أن يقرأ هذه المقولة وسيعلم أنه ظلم ابراهيم نافع ظلما بينا بل ولربما قرر أن يشاركه في حمل الكشاف وتغييــر الحجارة هذا إذا لم يكن نافع قد سلم الكشاف ضمن العهدة التي سلمها لخليفته أسامة سرايا.

على أي حال لاأستطيع أن أجزم ببراءة قدوتي ابراهيم نافع من أي اتهامات منسوبة إليه فـــالأمر أمـــام جهـــات التحقيــق والقضاء العادل وحده سيفصل فيه، لكنني أتمنى عليه ألا يستغل كلامي هذا استغلالاً سيئًا فيقوم بالاستشـــهاد بمقولـــة الـــرئيس مبارك أمام جهات التحقيق ليثبت أنه كان يؤدي مهمة وطنيـــة سامية، فنحن نعلم أن الرئيس مبارك لديه مهام جليلة وســـامية وراشدة، ولم يكن ليتركهن جميعا ليسأل ابراهيم نافع عن مالـــه من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وبدلاً من أن نغرق نحن بدورنا في سؤال إبراهيم نافع عن ماله، علينا أن نناشـــده بعقـــد جلســـات مطولة مع الدكتور عبعال لإصدار طبعة ثانية من كتابه يحرص فيها على أن يبين لنا كيف نقتدي به فعلا، فلا نريد أن نهـــدر الفرصة التي أهدرها من قبلنا جيل علاء الديب وغيـــره مـــن المثقفين الذين لم يأخذوا من مصر إلا البهدلة وقلة القيمة.

حفظ الله ابراهيم نافع لنا قدوة حسنة وكشافًا ينير مســـيرة العمل الوطني ببركة حجارة عهد الرئيس مبارك الـــذي يـــدوم ويدوم ويدوم ويدوم.

الباشا صحفي!

الأسبوع الماضي استضاف برنامج "القاهرة اليوم" الذي يقدمه الإعلامي المتألق عمرو أديب كلا من المستشار محمود مكي واللواء محمد عبد الفتاح عمر والكاتب كرم جبر لمناقشة أزمة القضاة وأحداث الاعتداء على المواطنين العزل في قلب القاهرة. أخذ المشاكس عمرو أديب يناشد أجهزة الأمن بألا تكرر اعتداءها على المدنيين في يوم الخميس الذي يسبق انعقاد منتدى دافوس، ثم تساءل عما يمكن أن يحدث لو قرر أن يذهب لتغطية مايحدث أمام دار القضاء العالي، فرد عليه كرم جبر قائلا بنص العبارة " بلاش تروح لو هتروح هتتضرب"، سألني صديق كان قد انضم للمشاهدة متأخرا "هو اللي بيتكلم ده رتبته إيه". ضحكت لكنني لم ألمه لأن عبارة تهديد كالتي قالها كرم جبر كانت ينبغي أن تصدر من عقيد أمن دولة لا من كاتب صحفي. كان من الممكن أن تعتبر عبارة مثل هذه زلة لسان لكنك لو تابعت كلام كرم جبر من بدايته خصوصا وهو يتحدث

عن أن مصر كلها على قلب رجل واحد في تأييد النظام إلا مائة متر في شارع عبد الخالق ثروت هي التي تسكنها القلة المندسة، لو سمعت هذا الكلام لأدركت أن الأمر ليس مرتبطًا بزلة لسان قدر ما هو تعبير عن منهج في التفكير أصبح سائدًا لدى العديد من الصحفيين والكتاب الذين تحولوا إلى متحدثين رسميين باسم الحكومة وأجهزة الأمن متخلين عن أي حيادية أو استقلالية وناسين أن سحر صاحبة الجلالة الصحافة يكمن في انحيازها الدائم للمظلوم في مواجهة الظالم والضعيف المغلوب على أمره في مواجهة الفاتك المستبد. الغريب أن أغلب برامج الفضائيات أصبحت تستغني عن استضافة المسئولين الحكوميين وتستبدلهم بهؤلاء، ليس لأنهم أرخص تكلفة وأسرع تلبية للنداء لكن لأنهم أكثر حماسة في التهليل لمواقف الحكومة وأكثر شراسة في مهاجمة معارضيها، يعني لاأعتقد أن أي مسئول أمني يمكن أن يقول عبارة " لو هتروح هتتضرب" هكذا على الملأ، تماما كما لم يجرؤ اي مسئول على أن يعلن صراحة ماأعلنه كتاب الأمن بأن أزمة القضاة وراءها أصابع إخوانية وأن الإخوان تمكنوا من السيطرة على العديد من القيادات القضائية، بالطبع سيهرع هؤلاء لكي يتهموني أنا وغيري بأننا نحجر على حريتهم في إبداء الرأي بتأييد الحكومة ومهاجمة نادي القضاة والمتظاهرين أمامه، وحاشا لله أن ألعب أنا أو غيري دور العذول المفرق بين هؤلاء وأحبائهم في حكومة الحزب الوطني، لكنني أسأل هل من المهنة في شيء أن

تتجاهل صحف هؤلاء كل ما حدث من اعتداءات على المتظاهرين العزل في شوارع القاهرة، أليس من حق قراء هذه الصحف أن يشاهدوا الحقيقة كما وقعت ولو بدون تعليق، هل من شرف المهنة أن توصف تلك الاعتداءات الوحشية بأنها اجراءات تم اتخاذها لتأمين المنطقة المحيطة بدار القضاء العالي، وهل من الأخلاق في شيء أن يتم تجاهل ما حدث من اعتقالات للصحفيين وانتهاكات لعرض الصحفيات، هل يعرف هؤلاء الصحفيون الذين يؤيدون ما يقوم به الأمن عمال على بطال معنى الرجولة، ألا يعرفون أن الرجولة هي الانتصار للحق والوقوف ضد الظلم وأن الرجولة تقتضي أن ينقلوا ما حدث للقارئ ولا يساهموا في قلب الحقيقة، ألا يخافون من عقاب الله عزوجل لمن يكتم الشهادة ويقول الزور، (بالمناسبة أين ذهبت أصوات مئات الكتاب في الصحف القومية الذين دعوا للجهاد ضد الدانمارك لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، أين ذهبت ضمائرهم ولماذا انخرست أصواتهم وهم يشاهدون الصور المفزعة التي أقضت مضجع كل صاحب ضمير حي ولماذا لم ينطقوا بكلمة ضد دخول قوات الأمن إلى قلب مسجد الفتح لإعتقال المعارضين من داخله، هل يظن هؤلاء أنهم يضحكون على الله عزوجل بتدين منقوص كهذا). طيب إذا لم يكن كتاب وصحفيي الموالسة راغبين في أن يكونوا مهنيين أو إخلاقيين أو رجالا أو بتوع ربنا فلماذا لايكونوا حتى بني آدمين

ويخرسوا خالص متوقفين عن تأييد ونفاق من يرتكب مثل هذه الإجراءات الوحشية.

إن شيئًا واحدًا فقط هو الذي سيشفع لهــؤلاء الباشــاوات الصحفيين لدى قرائهم هو أن يكونوا حاصلين بالفعل على رتب أمنية وعندها لن يلومهم أحد لأنهم ينفــذون الأوامــر، لكننــا سنطالبهم بطلب واحد لكي تتضح الأمــور وهــو أن يوقعــوا مقالاتهم بأسمائهم مسبوقة برتبهم ويختموا مداخلاتهم التلفزيونية بعبارة "تمام يافندم".

علي محمد شحاتة!

لم أعد أدري كيف أشكر القائمين على تحرير أو احتلال روز اليوسف على خدماتهم الجليلة التي يسدونها إلي يومًا بعد يوم، والتي بدأت قبل أشهر ببرواز يومي يحرض المواطنين على الاعتداء على شخصي بزعم أني أهنت نهر النيل، وأشهد الله أنني على كثرة ما أمشي في شوارع مصر لم أصادف إلا كل محبة وإعجاب وتقدير شاكرًا لله فضله فمنه وحده تأتي محبة الناس، بالطبع لم يتجاهل الناس طلب روزا لأنهم لا يهتمون لأمر النهر الخالد بل لأنهم لا يعرفون أن روز اليوسف تصدر صحيفة يومية، والحقيقة أنني لو لم أكتب عما نشرته روزا لما عرف به سوى أعضاء لجنة السياسات باعتبارهم الوحيدون الذين يقرأونها بانتظام وأغلب هؤلاء ليسوا بحاجة لسبب إضافي لكراهيتي. المضحك أن ما نشرته الدستور عني وعن الأستاذ إبراهيم عيسى والأستاذ ابراهيم منصور والصديق خالد السرجاني والدستور بشكل عام أفادنا جميعا وزادنا حبا ومصداقية لدى الكثيرين، خصوصا أولئك الذين جعلهم الخنوع

الطويل لا يتخيلون وجود شرفاء أحرار يرفعون سقف حريتهم بأيديهم فراحوا يسألون " أكيد سايبينهم عشان متفقين معاهم"، وبحمد الله ساق الله لنا روزا لكي تثبت أن النظام موجوع مما نكتبه ولذلك سلط علينا موالسيه، لكن سوء حظه أو سوء اختياره جعله يختار موالسين أغبياء كلما سلطهم على أحد أفادوه، سلطهم على الإخوان فحصلوا على مقاعد برلمانية لم تكن في حسبانهم، وسلطهم على الدستور فزاد توزيعها بشكل مذهل، وسلطهم على الأستاذ هيكل فزادت محبته وتعاطف معه كثيرون من مخالفيه في الرأي، أما هجومهم علي فلم يزدني بحمد الله إلا نجاحا على نجاح، وليس هذا مجال التحدث بنعمة الله علي فقد كنت دائما شاكرا له في السراء والضراء، في الفقر والغنى، في الضياع والتحقق.

المهم أن روزا عندما أدركت أن بروازها اليومي واستكتابها لعدد من الكارهين والشاتمين لم يفلح في إسكات صوتي قامت برفع البرواز لعدة أسابيع فيما ظننته ذكاء متأخرًا هبط على مسئوليها، لكنهم أثبتوا خطأ ماظننته فتطوعوا بعدها بأسابيع لشن حملة أمنية ضد قيام صحيفة الأهرام باستكتابي في صفحة ساخرة وكان لي الشرف أن تخصص روزا لي عنوانا على ثمانية أعمدة يبلغ الجهات المسئولة أنني كاتب تخصص في الهجوم على رئيس الجمهورية، كان ما حدث إعلانًا عن دخول مصر عصرا جديدا تكتب فيه التقارير الأمنية على صفحات الصحف بدلاً من إرسالها سرًا، لكن الغريب أن حملة

روزا أتت بعكس نتائجها لسبب غريب يدل على ارتفاع معدل ذكاء رئيس تحرير روزا، لست في حل من ذكر كل التفاصيل الآن لكن ذلك سيأتي أوانه يوما ما، يكفي أن أقول إن مسئولاً كبيرًا جدًا جدًا عندما طلب تفسيرا من قيادي بالأهرام لاستكتابي فيه وأنا أهاجم رئيس الجمهورية كما تقول روزا، فلفت القيادي إنتباهه إلى أن شريكي في صفحة الدستور التي أبلغت عنها روزا هو الصديق عمرو سليم رسام روز اليوسف الأهم والذي يرفض أن يتركها لأنها بيته الصحفي وأنا أتفهم موقفه جيدا فلا يمكن لأحد أن يفهم غرام عمرو بروزا إلا إذا كان شريكا له في هذا الغرام، المهم أن الأمر انقلب على روزا وتم إيقاف حملتها على الأهرام، واستمررت في الكتابة في الأهرام ثلاثة أسابيع ثم انتهى الأمر باعتذاري عن الكتابة لأني شعرت أني أحرج مسئوليها بما أكتبه وأضطرهم لحذف أغلبه قبل النشر. بعدها ظننت أنني فقدت تأثيري لأن روزا توقفت عن مهاجمتي ومنحت البرواز لمرشد الإخوان المسلمين، لكنها الحمد لله أثبتت لي العكس فعادت لبروزتي والتحريض على الإعتداء علي، لكنها والبركة في معدل الذكاء فضحت نفسها مجددا، فهي فيما مضى كانت تهاجمني بدعوى أنها خائفة على نهر النيل وغيورة عليه، لكنها هذه المرة عادت لنشر البرواز بعد ماكتبته عن رئيس مجلس إدارتها كرم جبر وقوله للمذيع المتألق عمرو أديب "لو رحت المظاهرات هتتضرب"، وبدلا من أن يفسر كرم جبر ماقاله أو ينكره أو يبرره أصدر أوامره بالعودة لنشر

التحريض علي، ولست أدري ماهي علاقة الهجوم على كـرم جبر بغيرة روزا المتجددة على النهر الخالد إلا إذا كانت تعتبر الأستاذ كرم ترعة أو مصرفا من مصارف نهر النيل.

لقد بوخت حكاية إهانة النيل هذه بعد أن أصبح القاصـي والداني يعلم حقيقة ماكتبته عن النيل وأنني لا يمكـن أبـدا أن أجرؤ على الإساءة لنهر النيل كما كتبت مرارًا وتكرارًا، وكـم كنت أتمنى أن يجتهد أهل روزا قليلا ويبحثوا عن تهمة جديدة غير إهانة نهر النيل والتبليغ الأمني عن مهـاجمتي للـرئيس واتهامي بإفساد أخلاق الشباب وتدمير السـينما المصـرية، أو حتى ينتظروا قليلا فلا ينشروا تحريضهم ضدي بعد ما كتبتـه عن كرم جبر، وحتى تستوي على نار هادئـة الحملـة التـي يجهزونها ضدي والتي يحاولون إقناع بعض أصدقائي وزملائي بالاشتراك فيها ويبحثون عن صيغة لمطالبة أجهزة الدولة باتخاذ إجراءات ضدي بعد أن خيب الله ظنهم ولم تفلـح حتـى الآن أحلامهم بالإعتداء علي من بلطجية غيورين على نهر النيـل. بالمناسبة ها أنا أعلمهم مسبقا بأنني لا أخاف مـنهم ولا مـن حملاتهم، بل إنني أتقرب إلي الله عزوجل بما يكتبونه عني، فأنا أعلم أنني لابد أن أدفع ثمن ماأكتبه، وإذا لم أكن قد دفعته بعـد بإلقائي في غياهب السجون أو سحلي على الأسفلت أو محاكمتي كالصديق وائل الإبراشي، فإنني أتشرف بهذا الهجوم من أناس لم يدعوا نبيلاً أو شريفًا في مصر إلا وهاجموه، ولم يضـبطوا أبدًا متلبسين بمهاجمة فاسد أو ظالم أو مزور انتخابات أو ابـن

مزور انتخابات. ولهم أقول إن كل هذا الهجوم الشرس لايساوي ذرة مما يتعرض له الشرفاء من قضاة مصر وأساتذة جامعاتها وشبابها وفتياتها وناشطيها ونقابييها، أين يأتي كل ما تكتبونه مقابل ما يحدث لأولئك الأبطال الذين تسحلهم قوات الأمن في الشوارع وتخطفهم إلى عربيات البوكس وتعتدي على شرفهم وتنتهك أعراضهم والذين تسكتون عليهم وتوالسون على من يفعل بهم هذا. افعلوا مابدا لكم وانشروا كل ماتريدونه فلن أخاف منكم أبدا ولن أتوقف عن كتابة ما أراه حقا أيا كان الثمن.

قبل أن أنهي كلامي أحب أن أحكي لكم حكاية عن قصيدة رائعة كتبها عمنا الجليل بيرم التونسي الذي لم يكتشف حتى الآن، قصيدة حملت عنوان (علي محمد شحاتة) وهو رجل لم يكتب عنه بيرم بالاسم لأنه شخص عظيم بل لأنه واش حقير ذهب يوما إلى محافظة القاهرة ليبلغها عن عدد من شباب المثقفين ويتهمهم بقلب نظام الحكم وكادت وشايته تنجح ويتم شنق وسجن هؤلاء الشباب ثم اتضح أنه كاذب. يومها كتب عنه بيرم التونسي " في البلد دي الغل ضارب.. في الغرايز والطباع.. قول في نيلها ومنه شارب.. الأكابر والرعاع.. هو والله اللي خارب.. بيت أبوك ياأبو السباع.. شوف علي محمد شحاتة.. الفتى العصري الفصيح.. عالمحافظة بالتباتة.. شغل النصب المليح.. بالطلاق يحلف تلاته.. إنه يعرف شيء صحيح.. الجدع غاوي الشماتة.. واللي يبقى يكون يكون.. بص

شاف الدنيا عامرة.. ماتداريش وش الغراب.. حب يشعل فوقها جمرة.. يشوي فوق منها الكباب.. قام وبلغ عن مؤامرة.. تجعل العامر خراب.. إن خسر يخسر مقامرة.. وإن كسب يصبح قارون.. كانت اليوم المشانق.. تشتغل لو صدقوك.. وانت في النسوان تعانق.. بالفلوس لو أتحفوك.. تنفشخ وتقوم تخانق.. في العباد لو وبخوك.. يعني قال لك ضهر زانق.. يجعلك فوق القانون". الله يرحمك ياعم بيرم كما خلدت علي محمد شحاتة نموذجا للوشاة الخائبين، وياخوفي ياعم بيرم لا يطلع في روزا محمد علي شحاتة جديد يطالب بمحاسبتك بتهمة إهانة نهر النيل الذي حاشا لله أن يكون مسئولا عن انتشار الغل في روز اليوسف.

مش لدرجة أن تشيل مصر القصعة!

"هيّ حصّلت؟". لم أقلها أنا لوحدي بل قالها كثيرون فور مشاهدتهم لتلك اللوحة القميئة التي تصدرت غلاف ملحق الموالسة الثاني الذي أصدرته صحيفة الأخبار بمناسبة حصول مصر على المؤبد مع الرئيس مبارك واتخذت له عنوان " ٢٥ عاما من البناء والتنمية". شاهدنا وسمعنا نفاقا وموالسة حتى طفحنا، لكن أن يصل الأمر إلى أن يتم رسم مصر وهي شايلة القصعة لسيادة الرئيس. فهذا والله تو ماتش ياناس ولا يمكن السكوت عليه بأي حال من الأحوال تخيل لو قامت صحيفة معارضة أو مستقلة برسم مصر بوصفها سيدة ترتدي ملابس رثة وتضع مكياجا رخيصا وتقف لتسلم جائزة أو درعًا لأحد قيادات المعارضة، ما الذي كان سيحدث للرسام التعس الذي يرسم رسمة مثل هذه أو للصحيفة التي تنشر رسما كهذا، ليس بعيدًا أن تظهر حملات تطالب بالإعدام أو إسقاط الجنسية أو السجن مدى الحياة لمن ارتكب تلك الفعلة الشنعاء. لكن في المقابل لا أحد يعترض على الإطلاق عندما تظهر رسمة بطول

وعرض الصفحة الأولى في ملحق الصحيفة الحكومية الثانية في مصر يصور رسامها مصر بوصفها سيدة ممتلئة تقف رأسًا برأس مع الرئيس مبارك، وفي حين يظهر الرئيس في الرسمة وهو في أزهى صورة وأبهى عافية وأحلى إبتسامة تقف مصر في ملابس غريبة الشكل كالتي ترتديها الفلاحات في المسلسلات الريفية، على وجهها ضحكة كذابة وفوق عينيها ماكياج أخضر زي فانتوش الفاشيا وفوق ذلك كله تحمل قصعة مليئة بالأسمنت لكي يغرف منها الرئيس ويبني جنات من الأسمنت زينت للناظرين.

تخيل لو كنت جالسا في بيتك تطالع هذه اللوحة الموالسة وسألك إبنك: مين الست اللي شايلة القصعة دي ياريس، لايوجد بالطبع طفل يعرف ماهي القصعة، لذلك دعنا نعدل السؤال: مين الست اللي حاطه ميك أب وحش دي يابابا؟، هل ستقول له: دي مصر ياحبيبي؟، لا أعتقد لأنك لو فعلت سيجيبك ببراءة الأطفال: مش مصر دي كبيرة قوي وأكبر مننا كلنا زي مابناخد في المدرسة، إزاي تقف جنب الريس كده وباين عليها إنها أرفع وأضعف منه، هي ليه فرحانة قوي إنها واقفة جنب الريس وبتديله القصعة زي ماتكون بتشتغل عنده، مع إن المفروض زي ماخدنا في المدرسة إن الريس وكلنا بنشتغل عشان مصر، بابا هو إحنا ليه بنعمل كده في مصر؟".

لا أريد أن أكون "أوفر" وأفسد فرحة عمرو فهمي بلوحته التعسة وأصورها على أنها أسوأ ماحدث في مصر، فليست هذه

اللوحة ــ أو لنسميها الرسمة أفضل ــ سوى مظهر من مظاهر العلة التي تنتابنا، ليست سوى طفح جلــدي كالــذي يشخصــه الأطباء عادة على أنه ناتج عن تسمم في الدم، العلة هــي أننــا أصبحنا لانعرف حقا أن مصر بلد كبير، كبير جدا، ومن العيب أن نصغره ونتعامل معه على أنه جمهورية موز، مع أنه حتى جمهوريات الموز قررت أن ينصلح حالها وأن تفوق لنفسها.

العلة هي أن كثيرا من مواطنينا أصبحوا يتخيلون حقــا أن هذه البلاد ليست بلادهم بقدر ماهي بلاد حكامهــا وعــائلاتهم وأقربائهم وشركائهم ومن يتشدد لهم، ولذلك لا ينزعج هــؤلاء كثيرا عندما يرون مصر في رسوم رسامي الموالســة وهــي فرحة للغاية لأنها طالعة في الرسمة مع الرئيس مبارك ورأسها برأسه وتحس أنها تكاد تمنع نفسها بصعوبة من أن تميل علــى الرئيس مبارك لتقول له "سيادتك.. أنا لي طلــب ومكســوفة.. عايزه أدخل الغاز الطبيعي".

ثم نريد أن ينصلح حالنا؟ ياأخي هأو. هل رأيتم بالله عليكم بلدا متقدما تشهد صحفه كل هذا الكم مــن النفــاق والموالســة مرتين في العام، مرة في عيد جلوس الحاكم ومرة فــي عيــد ميلاده، هل سمع أحدكم أن الواشنطن بوســت أو اللومونــد أو الجارديان أو حتى الفرانكفورتر جماينة ولامؤاخذه صدرت ذات صباح وهي تحمل ملحقا يعدد للمواطن الخيرات التــي حملهــا رئيس البلاد له، هل رأيتم بلدًا انصلح حاله تؤتت فيه الصحافة الحكومية المواطن لأنه مش حاسس بمدى النعم التــي أغــدقها

الحاكم عليه، وأخيرًا لماذا في كل بلاد العالم المتقدم لا ينام الحاكم الليل لأنه يخشى ألسنة أعضاء مجلس الشعب وافتتاحيات الصحف الكبرى وأسئلة مذيعي البرامج الشهيرة وأرقام استطلاعات الرأي، بينما في بلادنا لا ينام الحاكم الليل من فرط إحساسه بالمرارة لأن الشعب مش عارف قيمته.

إن من سخرية الأقدار أنه في نفس اليوم الذي صدر فيه ملحق موالس مثل هذا لكي يجعل المصريين يشعرون بأنهم يرفلون في نعيم أبدي لامثيل له وأن البناء والتنمية شغالين على ودنه وأن البنية الأساسية امتدت آثارها إلى كل بيت بفضل الرئيس وحزبه كانت الصحف جميعا حكومية ومعارضة ومستقلة تنشر أخبار تسمم مئات المصريين بمياه ملوثة اختلطت بالصرف الصحي ورتعت فيها أنواع من الميكروبات والفيروسات لم تظهر إلا في مصر، كما نشرت الصحف الحكومية بالبنط العريض خبرًا جاء في عنوانه بالنص "الرئيس مبارك يطلب سرعة حل مشاكل المياه في مدينة نصر وبعض احياء القاهرة"، واخذ بالك أخيرا أدرك الرئيس مبارك أن مدينة نصر التي لا تبعد ثواني عن مقر إقامته فيها مشكلة في المياه تتطلب تدخل رئيس الجمهورية وليس رئيس حي غرب، بينما في صحيفة حكومية نقرأ خبرا سعيدا يقول بالنص أن المجلس المحلي لمحافظة الدقهلية يحذر من ارتفاع عدد الطحالب في المتر المكعب من المياه إلى ١٢ ألف طحلب بينما منظمة الصحة العالمية تحذر من أن يتجاوز عدد الطحالب في المتر

المكعب ١٢٠٠ طحلب، هذه إذن الزيادة التي تحققت لنا في عهد البنية الأساسية، الطحالب، الله ياسلام، يحدث هذا في ذات الوقت الذي أصبح ممكنا فيه التنفس بشق الأنفس بفضل السحابة السوداء التي لم تستطع الحكومة المباركة أن تقضي عليها منذ ظهرت قبل سبع سنوات، وساد الغلاء والكواء أنحاء البلاد بحيث لم يعد للموظف المحترم أمل في شراء ملابس العيد لأبنائه إلا إذا كانت ملابس مستعملة أو معيوبة أو حالتها بالبلاء، وأصبح العثور على خاتم سليمان أسهل من العثور على سرير محترم وصحي وآمن في مستشفى حكومي، وتخلف فيه الإعلام المصري تخلفا ليس فقط عن دبي وأبو ظبي بل عن بلاد ديكتاتورية أسوأ منا حالا مثل سوريا.هذه هي مصر التي في الواقع أما مصر التي في ملحق الأخبار فهي شيئ يفرح القلب الغليل، شيئ ماحصلش، ماحصلش فعلا، لدرجة أنك تتمنى أن تأخذ قطعة أرض في هذا الملحق لكي تعيش في ظلال النعيم المبارك الذي لن تجده إلا في صفحات هذا الملحق.

على من نضحك يا سادة؟ إذا كنا نضحك على أنفسنا فكيف لم نأخذ بالنا أن أسنان أنفسنا سقطت وتهرأت ولم تعد قادرة على الضحك ولا راغبة فيه؟ وإذا كنا نضحك على العالم فلماذا لانتعظ بالتقارير الدولية التي تصدر كل يوم والثاني لتلطشنا قلما يذكرنا بحالتنا المزرية وبخروجنا من كل المنافسات في كل المجالات؟ ألا يكفي كل هذا لنعرف منه أن العالم لم يعد قابلا لأن نضحك عليه؟ أما إذا كنا نضحك على الحاكم فكيف لاندرك

أن هذا الحاكم ذاته لو قرأ صفحة الحوادث فقط لعرف أن إنجازاته لم تصل بعد إلى المواطن العادي ولم تتعد ملاحق الصحف القومية؟ المشكلة أننا نضحك على مصر فقط، لأننا على ما يبدو نعتقد أن مصر هي فعلا تلك السيدة الريفية التي ترتدي ملابس مأخوذة من مخازن التلفزيون وتضع مكياجا مصنوعا في مصانع بير السلم وتشيل القصعة للسيد الرئيس وتنتظر أن تأخذ نسخة من الرسمة التي يرسمها رسام الصحيفة القومية لترجع البيت لأولادها وتثبت لهم أنها إتصورت مع الريس.

مُرسي تلاته عمود

أنا عكس غيري. في اكتساب المعرفة لست طماعًا أبدًا. لا أريد أن أعرف مثلا لماذا خلّل ابراهيم نافع رئيس مجلس إدارة الأهرام السابق في منصبه ثم تركه فجأة لتفتح برطمانات فتراته الرئاسية وتصحو ملفات إتهاماته بالفساد فجأة ثم تروح في النوم أيضا فجأة. لاأريد أن أعرف لماذا تمت إزاحة خلفه صلاح الغمري "فأجة" ولالماذا جيئ بدلا منه بالأستاذ مرسي عطا الله رئيس تحرير الأهرام المسائي برغم أن سابقته في الإدارة كانت تعيينه رئيسا لمجلس إدارة نادي الزمالك، وهي سابقة خبرة تؤهله أكثر لتولي مجلس إدارة صحيفة (الحياة المصرية شقة وظيفة عروسة). لم يعد يشغلني من الأسئلة الكبرى في الحياة سوى سؤال وحيد. لماذا يصر الأستاذ مرسي عطا الله على وضع صورته المصاحبة لمقاله على ثلاثة أعمدة مرة واحدة، وهو سؤال حير قبلي كثيرين على رأسهم صديقنا الرائع مصباح قطب الذي لم يتوصل لإجابة في مقاله الخالد "الأستاذ مرسي ثلاثة عمود".

أمس الخميس باغت الأستاذ مرسي قراء الأهـرام بـأول طلعة رئاسية له حيث نقل مقاله الأسبوعي من صفحة الـرأي إلى الصفحة الخامسة مع إشارة بعرض الشارع في الصـفحة الأولى، طاوعته الأهرام في ضربته الصحفية للقراء مـع أنـه كان يجب عليها كصحيفة عريقة من العراقة أن تنبـه قراءهـا المجهدين مسبقا فمفاجآت كهذه أكبر من احتمالهم وربما تسببت في دلقهم لقهوة الصباح على روحهم خصوصا إذا لم يكونـوا يحبون المفاجآت مثل المرحوم استيفان روستي.

عند بتاع الجرايد شاهدت رجلا كبارة يزعق" قلت لك عايز الأهرام اديتني الأهرام المسائي.. لازم تمشورني وترجعني كل ده"، عم حسين نتش النسخة بعصبية وصدّر له لافتة الأهرام في وجهه "إيه ياحاج كامل مش شايف التلات أهرامات متلقحـين قدامك"، الذي اتضح أنه حاج كامل نظر إلى حيث أشـار عـم حسين ثم نظر إلى صورة مرسي عطا الله وهو طـالع بكتفـه للقراء ثم قال بصوت مشوش " أمال الراجل ده بيعمل إيه هنا"، عم حسين راعي العشرة وشرح له أن الراجل ده جاء رئيسـا لمجلس إدارة الأهرام " بس اسمه لسه مانزلش عشان الراجـل اللي قبليه مانقلش حاجته لسه من المكتـب"، والحـاج إسـتمع بإهتمام ثم قال لعم حسين " حيث كده إديني النبأ"، وانصـرف يجر أذيال عدم الفهم، تاركا عم حسين ليلعن الصباح والمسـاء والفرشة وزباينها ويجأر بالشكوى " هو يوم باين من أوله.. كل زبون ياخد الأهرام يفتكرني إديته الأهرام المسائي.. ألا صحيح

ياباشا أنا عندي سؤال.. هو ليه الأستاذ مرسي بينزل صورته كبيرة قوي مع إنه مايبانش مليان".

عندما كنا طلبة في كلية الإعلام قالوا لنا إجابة على هذا السؤال الخالد أن الصحيفة تقوم بتكبير صورة الكاتب وبنط إسمه لكي تحتفي به وتنبه القراء لهذه الحفاوة فيحتفوا بدورهم بالصحيفة، وعندما خرجنا للواقع تعلمنا حقائق غيبوها عنا: كلما كبرت في الصحافة الحكومية صورة الكاتب وتضخم بنط إسمه كلما تضاءلت أهمية مايكتبه. قرار تكبير صورة الكاتب وإسمه لم يعد قرارًا للصحيفة بل للكاتب الذي يشغل دائما منصبا فيها، فيتخيل أنه سيخلب ألباب القراء بتزغيط بنط اسمه حتى يصبح أضخم من يُفَط كنتاكي وتكبير مقاس صوره وإغراقها في بحور البياض حتى تظنه منتج ألبان جديد.

أخرجني عم حسين من أفكاري" إيه يا أستاذ مش ترد عليا"، خفت أن أرد عليه بما درسناه وهو النميس المتابع فيسألني " طيب لماذا لايعامل الأهرام بالمثل كتابه الكبار أمثال رجاء النقاش وفهمي هويدي وأنور عبد الملك وأسامة عكاشة وابراهيم أصلان"، أو الأدهى أن يسألني لماذا يضع الأستاذ مرسي سطورا تحت الفقرات غير المفهومة في مقاله، فأعجز عن الرد عليه وأفقد إحترامه، أخذت لحظة صمت ثم قلت" الحقيقة هم كانوا بينزلوا صوره على عمود واحد بس بناء على طلب العمود فتحوا له تلات أعمدة على بعض"، لمحت عدم فهم في عينيه فقلت له " بص ياعمنا الجرنان عامل زي

الميكروباص والكتاب زي الركاب.. في ناس بتتزنق أربعة في الكنبة اللي ورا.. وفي ناس بيتقطم ضـــهرها علـــى الكرســـي القلاب.. وفي ناس بتقعد مستريحة جنب الســـواق.. الأســـتاذ مرسي بقى هو صاحب الميكروباص". وتركته ومشيت مسرعا.

ضبط وإحضار عبد ربه التائه!

تقدر تقول لي بذمتك وأنا راضي ذمتـك إلـى أي مـدى جعلتك هوجة الإحتفال بالروائي الأعظم نجيب محفوظ والتـي عمت أرجاء البلاد طيلة الأسبوعين الماضيين أقرب إلـى أدب نجيب محفوظ؟، كم عملا من أعماله دفعتك هذه الإحتفالات لكي تقرأه أو تعيد قراءته؟، وهل نحن حقا نستحق نجيب محفوظ أم أننا فقط صحونا فوجدناه ككل شيئ ثمين وغال وعظـيم فـي مصر؟.

ألست معي في أننا بدأنا وهي عادتنا ولن نشـتريها فـي تحويل عيد ميلاد الرجل العظيم إلى مولد كسائر الموالد التـي نقيمها لعظمائنا،يأكل فيها مئات الموالدجية أكل عـيش ببركـة صاحب المولد، ويتحول الرجل إلى مزار يزوره من قـرأ لـه ومن لم يقرأ، بل إن بعض من يزورونه مجرد وجـودهم فـي الحياة أكبر ضربة لمشروع نجيب محفوظ الأدبي والإنسـاني، وأتحدى لو كان بعضهم قد قرأ له شيئا غير تيتـرات الأفـلام المأخوذة عن رواياته، لكن من يسأل أسئلة كهذه في المولد، كل

سنة وأنت طيب، وحلال على المستفيد الأكبر ألا وهو محلات التورتة المحيطة بأماكن تواجد محفوظ حيث الكل يتنافس على شراء التورتة الأكبر حجما والتربيط مع أحد القريبين من الأستاذ أو الحصول على واسطة تؤمن الوصول بصحبة التورتة إلى الأستاذ، من المهم أن تختار السكة الأسلم والأضمن، وعندما تصل إلى الأستاذ هاتك يا صوَر، ويابختك لو تمكنت من الإقتراب من أذن الأستاذ وأنت تقول له كلاما على القراء أن يجتهدوا لقرائته في مواضيع يتحدث الأستاذ فيها كلمات لاتعد على يد أصابع اليد الواحدة، وهو ينظر إلى حوله من الملتصقين والمبتسمين نظرات الشيخ عبد ربه التائه الساخرة الثاقبة وهو يقول في أصدائه "حاولت العزلة يوما ما لكن تنهدات البشر اقتحمت خلوتي"، أما أنت فلو تفرست في وجوه الحاضرين في الصور لوجدتهم كما قال عبد ربه التائه تماما "أناس شغلتهم الحياة وآخرون شغلتهم الموت، أما أنا فقد استقر موضعي في الوسط".

هذا العام شهد المولد بعدا جديدا عندما نجح صديقنا أبو الحداقة والمفهومية مجدي الدقاق في الإعلان عن كتابة الرئيس مبارك لمقال عن نجيب محفوظ يتصدر مجلة الهلال، وهو ماجذب النظارة والمارة قبل أن يكتشفوا أن المقال ليس سوى رسالة تهنئة عادية استغلت الهلال إسم الرئيس لتصوير أنها تحمل جديدا بينما هي ليست كذلك، وقد كنت أتوقع كغيري أن نقرأ خبطة صحفية نعرف منها ماهو أحب عمل قرأه الرئيس

لمحفوظ أو حتى ذكرياته معه أو يعلن فيها سيادته عن عزم الدولة على عدم الإكتفاء بالإحتفالات المظهرية بمحفوظ بل السعي لتحويل أدبه إلى مشروع قومي لعلنا نكون يوما ما بلدا على مستوى أدبه،على أي حال كان عدد الهلال قويا ومتميزا وحافلا بدراسات وشهادات بديعة استمتعت بقراءتها، وأحيي مجدي الدقاق وأسرة الهلال عليها بصدق، وإن كنت ألومه على إضاعة الفرصة التي سنحت لكي نقترب أكثر من علاقة الرئيس مبارك بعالم محفوظ في حوار شامل تتصدره رسالة التهنئة التي أعلن عنها الهلال كمقال.

على أي حال ربما كان الإعلان عن ذلك المقال أمرا يجعل كبار مسئولي الدولة يفكرون من باب التغيير في قراءة نجيب محفوظ بجد بعيدا عن زيارات التورتة وقعدات المولد، إذ لربما لانت قلوبهم التي هي كالحجارة أو أشد قسوة عندما يروا أن الواقع الذي رصده نجيب وأعاد خلقه في رواياته هو واقع مؤسف حزين لم يتغير منه شيء أبدًا، فلازلنا نعيش حتى اللحظة زمن القاهرة الجديدة قاهرة عام ٣٠، حيث إحسان شحاتة تحترف الدعارة وتحضر لفيديو كليب جديد وطظ محجوب عبد الدائم هي المذهب الفكري الأكثر انتشارا بين المصريين وعلي طه لازال يثرثر متعاليا على أوجاع إحسان وجوعها والأخ أحمد راشد أصبح عضوا في البرلمان والقواد سالم الأخشيدي يترقى من منصب قوادي أو قيادي إلى آخر (بالمناسبة هل لفت انتباهك يوما ما أن العبقري محفوظ جعل

سالم الأخشيدي هو الوحيد الذي انتصر في الرواية وأوقع بخصومه مرتديا ثياب الشرف، أليس هذا واقع مصر الحزين دائما).

لقد قرأت كالعادة هذا العام كلاما كثيرا طيبا عن محفوظ أغلبه سبق أن قرأناه جميعا قبل ذلك، وتمنيت أن أجد موضوعا صحفيا يقدم تعليقا محفوظيا صريحا مقتبسا من رواياته على كل مانعيشه الآن، لندرك إلى أي حد نحن لانقرأ محفوظ ولانتعلم منه، نتحدث جميعا ساسة ونخبة وعامة لبرامج التلفزيون فنصفه بالهرم، ولاندرك أننا فعلا تعاملنا معه كالهرم الذي نعرف أن الأجداد تركوه لنا، لكننا لانفكر في أن نبني هرما غيره أو حتى نكون على مستواه أو نفهم كيف بني، هرم ولقيناه، بينما لو قرأناه حقا وصدقا ولو تحولت رواياته إلى كتب واجبة القراءة في جميع مراحل التعليم لأدركنا أن نجيب محفوظ هو الحل، وللمسنا كيف قدم أدبه الرفيع رؤية صادقة لكل هراءنا وخوائنا ومشاكلنا، رؤية يمكن أن تغير وجه مصر إلى الأبد، ولعرفنا أنه لاخير في كثير من نجوانا إذا لم ندرك يومًا ما أن الحل هو ماقاله الشيخ عبد ربه التائه عندما سألوه متى يصلح حال البلد فقال عندما يدرك أهلها أن عاقبة الجبن أوخم من عاقبة السلامة. ولصرخنا حزانى مع جمصة البلطي بطل ليالي ألف ليلة ـــ رواية نجيب الأعظم ـــ "من أين يجيئ شهريار بهؤلاء الحكام.. ولماذا كل من تعفف جاع في هذه المدينة.. وماذا يجري علينا لو تولى أمورنا حاكم عادل" قبل أن

يذكرنا العفريت سنجام بدورنا في المأساة "الرحمة لمن يستحق الرحمة ورحاب الله مفروشة بأزاهير الفرص المتاحة لمن استمسك بالحكمة.. وأنتم إذا دعيتم لخير ادعيتم العجز واذا دعيتم لشر بادرتم إليه باسم الواجب.. فلاتعتذروا عن الفساد بالفساد". عندها سنقاسم عبد القادر المهيني حزنه وهو يقول لأستاذه الشيخ عبد الله البلخي "أسفي عليك يامدينتي التي لايتسلط عليك اليوم إلا المنافقون، لم يامولاي لايبقى في المزاود إلا شر البقر؟" فيجيبه شيخه وشيخي وشيخ مصر كلها "ماأكثر عشاق الأشياء الخسيسة".

تصدق الحمد لله أنهم لايقرأون نجيب محفوظ وإلا لكان مطلوبا الآن ضبط إحضار الشيخين عبد ربه التائه وعبد الله البلخي ورفاقهما وكل من يتشدد لهما من أعداء الأشياء الخسيسة الذين يشغلهم ذلك السؤال المرير "من أين يجيئ شهريار بهؤلاء الحكام؟".

هل كلامي غلط؟

سمعت أن أكثر من مائتي مواطن نيوزيلندي هجموا على سفارة مصر في الصباح الباكر ليوم الرابع من مايو المنصرم، لالكي يمدوا أيديهم إليها بسوء لا سمح الله، بل لكي يطلبوا بقلب جامد الهجرة إلى مصر ويطلبوا الحصول على الجنسية المصرية بعد أن اكتشفوا أنهم أخذوا مقلبا جامدا بالعيش في بلادهم. كل ذلك لأنهم قرأوا افتتاحية صحيفة الأهرام التي نشرت في عيد ميلاد الرئيس بعنوان "كل سنة وإنت طيب ياريس"، والتي تمت ترجمتها إلى النيوزيلندية على يد فاعل خير مجهول، ولعل الأهرام يحسن صنيعا لو قام بترجمتها إلى كل لغات العالم لكي يعرف العالم أجمع في أي خير نرفل وفي أي نعيم نغرق، خاصة أن افتتاحية الأهرام التي سار بذكرها الركبانِ لم تكتف بتعداد أفضال السيد الرئيس على مصر فقط ولا على الوطن العربي بل ذكرت العالم بما أنساه إلا الشيطان أن يذكره، وهو أن الرئيس مبارك أول من نبه إلى خطورة الإرهاب الأسود وأول من دعا إلى عقد مؤتمر دولي لمحاربة

الإرهاب، وهي أفضال لابد أن يشاركنا العالم قاطبة وعيب عندما نكون أنانيين ونحرمه من حقه في الفرحة.

لا أريد أن أبدو منحازا للأهرام هنا فأنا أعلم أن كافة الصحف القومية تبارت في إلقاء المدائح والأهازيج في مناسبة عطرة كهذه، لكنني أرشح ماكتبه الأهرام للترجمة لأنه بزها جميعا بذلك الأسلوب الأدبي الرفيع الذي تقشعر له الخلجات لدرجة تجعلك تطلع من خلجاتك فور قراءته. بالطبع لايمكن لأي منا أن يعترض على إحياء مناسبة عطرة كهذه، لكننا فقط نتمنى في الأعوام المقبلة أن يتم تنظيم مسابقة في الإنشاء بين طلبة المدارس الإعدادية والثانوية لكي يزداد يقينهم وينمو حبهم وفي نفس الوقت نرحم كقراء من الأسلوب الركيك الذي قرأناه فنقرأ شيئا عليه الطلا، لايؤدي إلى ذلك العدد المهول من كريزات السكر والضحك التي شهدتها البلاد كما لم تشهدها من قبل.

لا أدعي هنا أنني أصبت بكريزة ضحك أو كريزة سكر بعد أن قرأت مانشر في جميع الصحف القومية، فقد كنت مشغولا بتخيل رد فعل سيادة الرئيس وهو يقرأ الكلام الذي نشر، خاصة أنه صرح قبل ذلك لعماد الدين أديب أنه يستطيع فرز المنافقين من الصادقين بسهولة، لن أشط بعيدا فأتخيل ما يمكن أن يقوله سيادة الرئيس فمن أنا لأفعل ذلك، لكنني فقط أريد أن أسأل لماذا يسمح الرئيس مبارك بممارسات كهذه تسيء إلى حكمه أكثر مما تحسن، وبما أننا نعلم قدرة سيادته على فرز

المنافقين من الصادقين ونفوره من أشكال النفاق الرخيص والمجاني فلماذا لايصدر سيادته قرارا ولو غير مكتوب لكافة زرافات ووحدان المهنئين بالاكتفاء في العام القادم بتهنئة رقيقة تنشر في الصحف كالتي كانت تنشر من قبل، بدلا من قطع الإنشاء الركيك التي تلطعها كل صحيفة في صدر صفحتها الأولى. خاصة أننا لا ندري منذ متى تنشر صحف الدول الراسخة في الديمقراطية مثلنا بيانا بإنجازات رئيس الدولة في مناسبة عيد ميلاده هو ذاته الذي ستنشره في عيد جلوسه على كرسي الحكم، ناهيك عن كونها تنشر نفس الكلام كل يوم دون حاجة لمناسبة أساسا.

لقد شهدنا في الأيام الماضية كيف تبارت أجهزة الدولة في التصدي لمحاولات الإساءة لمقام رئيس الجمهورية ووجهت لعدد من الشباب المندفع تهمة إهانة الرئيس وهي تهمة وإن كان القضاء سيفصل في صدقيتها لكنني أؤكد أنها من حيث المبدأ أمر غير مقبول أبدا، فلابد دائما أن يكون للخلاف السياسي آداب وقواعد على رأسها أن تكون المعارضة معارضة لسياسات لا لأشخاص، وغالبية الشعارات التي كتبت أو قيلت كانت شعارات تعارض سياسات الرئيس مبارك، لكن بعضها كان يعارض شخصه بما لا يليق سياسيا قبل كونه لا يليق أخلاقيًا، وقد يغضب كلامي هذا البعض لكنني أعتقد أنه من الواجب على الناشطين سياسيا أن ينقدوا ذاتهم دائما ويدركوا أن التطاول على شخص رئيس الجمهورية لا يخدم قضيتهم لدى

رجل الشارع بل ينفره في أغلب الأحيان، خاصة أن معارضة حكم كالذي نعيش تحت نيره ليست أمرًا صعبًا، يكفي أن تذكر أي مواطن بما يعيشه لتجتذبه إلى صفك دون حاجة لشعارات متشنجة أو متطاولة. قد يقول قائل "شوف مين اللي بيتكلم"، وهنا أزعم أنني لو كنت قد كتبت يوما مايسيئ إلى مقام الرئيس أو يتطاول على شخصه لما نجوت منه، وأزعم أنني كنت دائما أراعي الفرق بين الكتابة الساخرة التي تسخر من سياسات دون أن تتورط في السخرية الشخصية التي تجرح، والأرشيف موجود لمن يختلف معي.

طيب سواء اتفقنا أو اختلفنا حول ما كتبته الآن، دعوني أؤكد أن النيابة العامة يجب أن تضع ضوابط لتهمة إهانة الرئيس أو الإساءة إلى منصبه فتضم إليها كل من ينافقه نفاقا ركيكا أو يتزلف له تزلفا رخيصا، فالذين يفعلون ذلك وهم كثير ونحن نعلم كل شيئ عنهم يسيئون إلى الرئيس إساءة أكبر من إساءة هتاف لايشهده أكثر من مائتي متظاهر وعشرة آلاف ضابط وعسكري أمن مركزي، فما يكتبونه من نفاق رخيص يقرأه ملايين القراء داخل مصر والأدهى من ذلك خارج مصر، وتتم ترجمته إلى لغات عدة عبر سفارات الدول الأجنبية التي تنقله إلى قياداتها في شتى دول العالم، ولاشك أن مشاهدة العالم لهجوم حاد على الرئيس في شارع مهم في قلب العاصمة يرفع من قدر الرئيس أكثر من قراءة العالم لنفاق رخيص قد يظن البعض أنه يأتي بطلب من الرئيس وهو ما أعتقد أنه غير

صحيح، فالمتبرعون بالتزلف والنفاق لاينتظرون توجيها في المزايدة على بعضهم البعض بما يظنون أنه شطارة بينما هو خيبة بالويبة تجاوزها العالم كله ولازلنا نحن غارقين فيها، تاب الله علينا وعليكم منها. ولا كلامي غلط؟.

أنا وغضاريف أسامة سرايا

ما إن قرأت المقال الحزين الذي أعلن فيه الكاتب الكبير فهمي هويدي في صحيفة الدستور عن إنهاء علاقته بمؤسسة الأهرام بعد أكثر من خمسين عاما من الكتابة والرقابة والمضايقات والمنع والحذف حتى تذكرت علي الفور غضاريف الأستاذ أسامة سرايا.

كانت حكايتي مع الأستاذ أسامة قد بدأت عندما وجهت له في صفحة قلمين انتقادا لأنه نشر إسمه كرئيس تحرير على ملحق سوبر ماركت التجاري الذي نشره الأهرام، وقلت أن ذلك لايليق أبدا برئيس تحرير الأهرام، وختمت ما كتبته بالقول "يا أستاذ أسامة والنبي ياريت تلف لي تمن براميلي"، يوم نشر المقال وجدت رقما "برايفت" يتصل بي، رددت فانبعث من الموبايل صوت ضحك متواصل ووجدت من يقول لي "حلوة أوي تمن استامبولي دي"، وقبل أن أصحح للمتصل أنني كنت أريد بالتحديد براميلي وليس استامبولي اتضح أنه الأستاذ أسامة سرايا نفسه، وبعد أن توقف عن الضحك وتوقفت عن الإحراج،

شكرني ووعد بألا ينشر إسمه ثانية على الملحق التجاري، وقد كان.

بعدها بأشهر ذهبت إلى مكتبه بدعوة كريمة منه للكتابة في الأهرام، كنت بصحبة الأستاذ خيري رمضان وكان الأستاذ أسامة لطيفا للغاية، طلب مني أن أبدأ بالكتابة بشكل أسبوعي في الصفحة الساخرة، ثم أفكر مع صديقي الفنان الساحر عمرو سليم في شكل للكتابة اليومية في الصفحة الأخيرة، تحدث عن رغبته في ضم كتاب جدد للأهرام، بدأ باقتراح محمد مستجاب وزعل جدا عندما قلنا له أنه مات من فترة رحمه الله، تحدث عن إعجابه ب "الراجل الجميل أبو شنب اللي عمل الفيلم بتاع محمود عبد العزيز"، فرحنا لأنه يقصد العم إبراهيم أصلان، وعلى الفور أصدر توجيهاته بالحديث مع عم إبراهيم لكي يكتب في الأهرام، بعدها قال لي بمودة "تحب أكلمهم يعملوا لك عقد"، قلت أن ذلك يشرفني لكنني طلبت بعض الوقت لكي أختبر نفسي هل سأكتب شيئا يليق بالأهرام، فقال بنبرة مودة "ده أنا هاحطك في البرج"، لم أفهم الجملة فقلت له أنها لو قيلت في الحتة عندنا لفهمت خطئا بشكل مؤسف، فشرح أنه يعني البرج الذي كان به مكاتب العمالقة نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وحسين فوزي، قلت أن ذلك شرف عظيم، لكنني هازعل علشانهم خالص، وهو لم يتقبل الدعابة، وغيّر الموضوع قائلا بجدية أنه يتمنى أن يدرك الذين يكتبون في الصحف المستقلة والمعارضة من أمثالي طبيعة الدور الذي يلعبه في مكانه في

الأهرام، واصفا إياه بأنه دور الغضروف الذي لاغنى عنه في أي جسم سليم، ولأنه ربما شعر أن صمتي يخفي جهلي بأهمية دور الغضروف، أراد أن يشرح لي أن الله عــز وجــل خلــق الغضروف في جسد الإنسان لكي يمنع احتكاك العظام ببعضها البعض، وأنه يحاول أن يلعب دور الغضــروف الــذي يمنــع إحتكاك السلطة بالمثقفين، وأخذ يحاول تقريب المعنى باستخدام يديه، وأنا تمنيت له التوفيق في دوره، وأخــذنا الحــديث إلــى مجالات شتى، وعندما لاحظت أنه يضع خلــف رقبتــه مــادة اسفنجية بدت مشوهة للشكل العام للمكتب سألته عنها ففاجــأني بأنه يضعها لأنه يعاني من مشكلة في غضاريف الرقبة، فتمنيت له الصحة والتوفيق، وشكرته على الحفاوة والدعوة الكريمــة، ووعدته بأن أرسل مقالا بعدها بأيام، وبالفعل أرســلت ثــلاث مقالات نشرت بعد بعض الحذوفات.

بعدها لم يقدر للحكاية أن تكتمل لأن روز اليوسف اعتبرت الأمر فضيحة للأهرام لأنه يستكتب شخصا مثلي وصفته بأنــه اعتاد الهجوم على رئيس الدولة، والأمر جلــب الكثيــر مــن التعقيدات ليس هذا هو وقت الحديث عنها، خاصة وأن الأستاذ أسامة هو الأحق برواياتها، لكنني شعرت بالحزن لأنني تسببت في مضايقة شخص أعتقد أنه في غاية اللطف والإحترام، مــن ساعتها لم نلتق إلا مرتين مصادفة، الأولى كانــت فــي فــرح وعاملني فيها بجفاء شديد فسرته بأنه لم ينس ماتسببت به لــه، والثانية في مستشفى أورام الأطفال الجديد بصحبة المذيعة مي

الشربيني حيث عاملني بلطف شـديد فسـرته بحالـة التـأثر الوجداني التي أصابتنا جميعا في تلك الزيارة، وفـي المـرتين لاحظت أنه يتحرك بشكل طبيعي، فشعرت بالسعادة لأنه شـفي من آلام غضاريف الرقبة، لكنني بعد أن قرأت عن التطـورات المؤسفة التي انتهى إليها موقف الاهرام مع واحد مـن أبـرز كتابه، كان معروفا أن توزيع الأهرام يرتفع كل ثلاثاء من أجل مقاله، أخذت أسأل نفسي ما الذي حدث لذلك الشخص اللطيـف الذي عهدته يتقبل الآراء المخالفة له برحابـة صـدر، وهـل المشكلة الآن في غضاريف الأسـتاذ أسـامة سـرايا أم فـي غضاريف الأهرام أم في غضاريف الدولة التي باتت تعجز عن تحمل الإحتكاك مع مقال لفهمي هويدي؟. العلم عند الله.

علي محمد شحاتة كمان مرة!

" لقد فتح الرئيس مبارك وحده أبواب الحرية في مصر... وكان بوسعه مثل من سبقوه أن يملأ السجون بالمتجاوزين وأن يحبس الكثيرين في قبو أنفسهم". ما إن قرأت هذه الكلمات التي خطها "يَرَاعُ" رئيس تحرير الأهرام أسامة سرايا حتى قمت بالنزول مباشرة إلى قبو نفسي لكي أقوم بإضاءته وتجهيزه لإقامة طويلة طبقا لتهديد الأستاذ سرايا الصريح، والحمد لله أنني وجدته بحالة جيدة لم أكن أتوقعها بينما كثيرون من الأصدقاء يعيشون ظروفا مأساوية لأنهم لم يحسبوا حساب اليوم الذي يتم حبسهم فيه في قبو أنفسهم، فتركوها طيلة أزهى عصور الحريات نهبا للفئران ومياه الصرف الصحي والصحفي، بل وقام بعضهم بتأجيرها أوبيعها برخص التراب، ولم ينج من مصير كهذا إلا الواعي مثلي الذي شال قبو نفسه للزمن.

ما كتبه أسامة سرايا كان تتويجا لحملة تهديد صريحة شاركت فيها أغلب الصحف الحكومية خلال الفترة الماضية، بدأت ذلك روز اليوسف من زمان ثم انضمت إليها مؤخرا

الجمهورية التي خصصت عمودا يوميا للهجـوم علـى كـل معارض جاد لنظام الحكم وعلى رأس هؤلاء الدستور ورئـيس تحريرها إبراهيم عيسى وبالمرة أخذت تهاجمني أنا وزميلـي عمرو سليم مطلقة علينا أسماء كودية، بعدها أطلقت الجمهورية تهديدات صريحة للإخوان المسلمين بأن يحمدوا الله أن الرئيس مبارك لم يزج بهم في غياهب السجون ـ كأنه لم يفعل ـ ، ثم بعدها بأيام وجهت تهديدا صريحا لعمنا نوارة مصر أحمد فؤاد نجم بأن يحاسب ويلم نفسه وإلا سيتعرض للسجن، في نفس الوقت انطلقت حملة محمومة تتحدث عن صحف المعارضة التي تمارس ابتذال الكلمة وسوقية التعبير، يحدث هذا بينما كانت صحيفتا الأخبار وروز اليوسف تنشران مقالا يصف فيه نادي القضاة بأنه "وكر للخارجين على القانون"، هكذا بصريح العبارة ودون مراعاة لأي قيم أو تقاليد، في حين أنه لم يجرؤ أي صحفي معارض أن يقوم بتوجيه شتيمة صريحة لأي من رموز الحكم بهذا الشكل، والأرشيف موجود لمن أراد أن يتثبت.

إن من يقرأ مقال أسامة سرايا يدرك جيدا المأزق الذي يعيشه نظام الحكم والذي كان يتباهى دائما بأننا نعيش أزهى عصور الحريات فإذا بصدره يضيق بعد الحملات المتتالية التي لم تترك له ورقة توت يتستر بها، وهذا المقال وغيره يؤكد للجميع أن ما يكتبه صحفيو وكتاب الدستور وصوت الأمة والعربي والكرامة والمصري اليوم والأسبوع كل حسب أسلوبه وحسب توجهه لايذهب أدراج الرياح كما يقول البعض بل هو

مؤثر ومؤثر للغاية وإلا لما أنتج كل هذه التهديدات الأمنية التي لم يكن أبدا يليق أن تصدر عن الأهرام الذي كان له دائما إحترامه وقدره، لكن يبدو أن رئيس تحرير الأهرام نسي كل ذلك عندما أخذ يصدر تهديدات جوفاء تليق بلواء في شرطة المرافق لابكاتب صحفي كنا نحترمه ونقدره، كنت سأقول أنه مقال ضل طريقه من روز اليوسف إلى الأهرام، لكن يبدو أن الفوارق سقطت بناء على أوامر عليا، وهو مايثبته إختتام أخبار اليوم لأوركسترا التهديد بمخالب القط الذي قال مالايجرؤ حتى وزير الداخلية على قوله وهو أن صحف المعارضة إرهاب أسود بدم بارد. إنه لأمر مؤسف أن يتبادل الصحفيون المواقع مع رجال الأمن فيصبحوا حينا وشاة على زملائهم وأحيانا متطوعين بتوريتهم العين الحمراء وأحيانا محذرين ومثبطين ومرجفين في الأرض، أعلم أن كثيرا من هؤلاء يدركون أنهم قادرون على إيذاء زملائهم بما لهم من صلات وعلاقات وتربيطات، لكنهم يخطئون إذا اغتروا بذلك فالحافظ هو الله والنافع هو الله والضار هو الله، والتاريخ لن يرحم أبدا واشيا أو مخبرا أو معاونا لجلاد.

بالطبع سيستهين هؤلاء بكل هذا لأنهم لاينظرون إلى ماهو أبعد من كراسيهم التي لم يصلوا إليها أبدا عبر الإستحقاق المهني والدليل ركاكة أساليبهم وتدني مستوى صحفهم، ولهؤلاء جميعا أهدى قصيدة رائعة كتبها عمنا الجليل بيرم التونسي الذي لم يكتشف حتى الآن، قصيدة حملت عنوان (علي محمد شحاتة) وهو رجل لم يكتب عنه بيرم بالإسم لأنه شخص عظيم بل لأنه

واش حقير ذهب يوما إلى محافظة القاهرة ليبلغها عن عدد من شباب المثقفين ويتهمهم بقلب نظام الحكم وكادت وشايته تـنجح ويتم شنق وسجن هؤلاء الشباب ثم اتضح أنه كاذب. يومها كتب عنه بيرم التونسي "في البلد دي الغل ضارب.. فـي الغرايـز والطباع.. قول في نيلها ومنه شارب.. الأكابر والرعاع.. هـو والله اللي خارب.. بيت أبوك ياأبو السباع.. شوف علي محمـد شحاتة.. الفتى العصري الفصيح.. عالمحافظة بالتباتة.. شـغل النصب المليح.. بالطلاق يحلف تلاتـه.. إنـه يعـرف شـيئ صحيح.. الجدع غاوي الشماتة.. واللي يبقى يكون يكون.. بص شاف الدنيا عامرة.. ماتداريش وش الغراب.. حبّ يشعل فوقها جمرة.. يشوي فوق منها الكباب.. قام وبلّغ عن مؤامرة.. تجعل العامر خراب.. إن خسر يخسر مقامرة.. وإن كسـب يصـبح قارون.. كانت اليوم المشانق.. تشتغل لو صدقوك.. وانت فـي النسوان تعانق.. بالفلوس لو أتحفوك.. تنفشخ وتقوم تخانق.. في العباد لو وبخوك.. يعني قال لك ضهر زانق.. يجعلـك فـوق القانون".

الله يرحمك ياعم بيرم كما خلدت علي محمد شحاتة نموذجا للوشاة الخائبين، وياخوفي لايطلع محمد علـي شـحاتة جديـد يطالب بمحاسبتك بتهمة إهانة نهر النيل الذي حاشا لله أن يكون مسئولا عن انتشار الغل في الصحافة القومية التي بالتأكيد كما قلت من قبل سُمّيت بالقومية لأن نفسك تقوم عليك عند قـراءة مقالات رؤساء تحريرها. يع.

مُرسي عاوز كرسي

هذا الرجل قوي يا جماعة. أرجـــوكم لا تغمطـــوه حقـــه، وتذكروا دائما أن المؤسسة التي "يباشرها" الآن بناها إثنان هما الأخوان تقلا، وبعث نهضتها أكثر من ثمـــانين كاتبـــا وأديبـــا ومفكرا بقيادة رجل إسمه محمد حسنين هيكل، أما هو فبمفرده تمكن من أن يمسح بسمعتها وتاريخها ومكانتها تراب شـــارع الجلاء.

أنتم تعرفون تمسكي بسفاسف الأمور ولذلك لن تندهشوا إذا قلت لكم أنه طيلة إذاعة القنوات الفضائية لأخبار موقعة الأهرام التي دارت رحاها بين الصحفيين الحالمين بنهضة مؤسســـتهم العريقة، وبعض العمال الذين تمكن حب مرسي بيه عطا الله من قلوبهم فانطلقوا يعبرون عن هذا الحب على أجساد الصحفيين، كنت مشغولا بأمنية واحدة هي أن يكون الأستاذ هيكل مســـافرا خارج البلاد فلا يتاح له أن يشاهد مايحدث، حتى لو سمع عنه بعد ذلك، فليس من سمع كمن رأى، بالتأكيد أنا وأنت وكل قراء الأهرام ومحبيه تألمنا لما حدث، لكن ألمنا لن يضاهي ألم مـــن

شيّد صرحا عريقا كالأهرام ثم هاهو يراه يفقد فرادتـــه ورقيـــه وألقه ويتحول إلى أي شيء آخر تعيش في مصرنا المباركـــة، هل شاهدتم صور الأستاذ مرسي وهو يـــدخل إلـــى مؤسســـة الأهرام محاطا بأنصـــار شـــداد عـــراض المنكبـــين مفتـــولي العضلات، تذكرت نادي الزمالك ساعتها وبحثت بإلحاح عـــن ممدوح عباس ومرتضى منصور في الصور، فماذا تذكرتم أنتم عندها؟. يابختكم إذا كنتم قد فضلتم النسيان، فالحكاية كلها عبث في عبث، لدرجة أن هزلية "مرسي عاوز كرسي" للفنان الكبير أحمد بدير تبدو تراجيديا إغريقية مقارنة بما رأيناه يحدث فـــي الأهرام، التراجيديا للأمانة مسرحها ليس الأهـــرام فقـــط، بـــل مسرحها هذا الوطن الذي يوسّد الأمور إلى غير أهلها ويجعلنا ننتظر الساعة، وعرضها لم يبدأ اليوم بل بـــدأ يـــوم تحولـــت الصحافة الحرة إلى "فوطة" لتلميع وجه الحاكم، وأنتم تعرفـــون ماذا يسمون الفوطة في الأرياف، وتعرفون أيضا كيف وصـــل بنا الحال إلى مانحن فيه الآن، لكنكم لن تعرفوا أبدا إلى أي قاع سنتردى أكثر.

أرجوكم لا تظنوا الحكاية مجرد رغبة صادقة من رجـــل حازم في الحفاظ على حقوق مؤسســـته لكـــي لاتتحـــول إلـــى استراحة للصحفيين يقضون فيها ساعة في اليوم قبل أن ينطلقوا للعمل في أماكن أخرى، فالحكاية من الآخر هي أنـــه لا أحـــد يسأل نفسه ماالذي يدفع هؤلاء الصحفيين والكتاب مـــن أبنـــاء الأهرام إلى العمل في أماكن تستوعب مواهبهم وطاقاتهم، كيف

تنتظر منهم أن ينتجوا ويبدعوا ويتألقوا لديك كما يتألقون خارج الأهرام، وهم يرون العلاقات بالأجهزة هي التي تحدد فرص الترقي والصعود، كيف تنتظر منهم أن يكتبوا لديك وهم يشاهدون على مدى سنوات كيف يتم التنكيل بآراء كتاب أحرار مثل فهمي هويدي وسلامة أحمد سلامة والمرحوم صلاح الدين حافظ، وكيف ينبطح سقف النشر إلى حد مخزي يجعل كتاب الأهرام يكتبون آراءهم الجريئة الحرة في صحف محدودة الإنتشار، بينما يحلقون في مقالات الأهرام في الهواء المعرفي الطلق مرددين كلاما مثل "مية الإبيار" لا يروي أبدا، كيف تريد من أبناء الأهرام أن يقبلوا بأن يكون على رأس مؤسستهم رجل خبراته الإدارية تنحصر في كونه رئيسا معينا لنادي الزمالك وهي سابقة خبرة تؤهله بالكثير لرئاسة مجلس إدارة جريدة الحياة المصرية شقة وظيفة عروسة، ومع ذلك فقد تولى الأهرام وحوّل صفحاتها إلى شادر ينشر فيه صور قوافل مهنئيه بالمنصب وكأنه جاب الذئب من ذيله، ولم تمض أيام على "رستقته" في منصبه حتى نقل مقاله الأسبوعي من صفحة الرأي إلى الصفحة الخامسة، ثم نقل مقاله إلى الصفحة الأولى مع إقتطاع حتة أرض في الثالثة لتخزين ما تبقى من المقال مصحوبا بصورة عملاقة وبنط ضخم ليجدد إستحاقه للقب "مرسي تلاته عمود" الذي أطلقه عليه زمان الكاتب الجميل مصباح قطب، ثم كبرت في دماغه وقرر وضع يده على أهم قطعة في الصفحة الأخيرة، ليرمي فيها أساسات مقال يومي

عرضي يشبه كمرة السقف، مضحيا بكل الإعتبارات الإعلانية والجمالية والفنية التي جعلت الصفحة الأخيرة للأهـرام أشـبه بمجلات الحائط المدرسية التي تتصدرها دائما كلمة السيد مدير المدرسة، مما جعلنا نخشى يومها أن تكبر في دماغ سـيادته، ويقرر أن يهطل فيض معرفته على القراء في كل صفحة مـن صفحات الأهرام من المنوعات إلى الحوادث، بل وربما يتطور الأمر ويقرر أن يكتب مقالا عن كل متوفي في صفحة الوفيات، وربما صحونا يوما لنجيب الأهرام فوجدنا إسم سيادته الثلاثـي فوق أهراماتها الثلاثة ومكتوبا تحته بخط يده (الأهرام صحيفة يكتبها ويقرؤها مرسي عطا الله).

إنفلونزا القطط

لم يعد أمامنا إلا أن نهتف خلف شيخ الساخرين محمد الماغوط: يامثبت العقل والدين والرئيس. تقرأ الصحف الحكومية فتشعر من فرط البهجة الطافحة فيها أننا يجب أن نكون ممتنين جدا لعدالة السماء، لأنها أخرت وباء إنفلونزا الخنازير عن الوصول إلى الدرجة السادسة ومنعته من إجتياح الكون، لكي يتاح لنا أن نحتفل بعيد ميلاد الرئيس مبارك، ثم ليكن بعد ذلك مايكون.

عفوك ورضاك يا الله. هانحن سادرون في غينا السنوي، دون أن يدفعنا الخوف من الفناء لنكون ولو لمرة على مستوى المسئولية، وأن نغلط مرة في حياتنا فنقتدي بالعالم المتقدم، ونفعل مثلا كما فعل قبل أيام الناس قلالات الذوق والحساسة الذين في أمريكا، هل نظرت إليهم وهم يحاسبون رئيسهم "الفريش" باراك أوباما حساب الـ"two angels"على حصاد مائة يوم فقط من حكمه دون أن يقف من يقول لهم "ياناس عيب الراجل لسه ماخدش فرصته.. اصبروا عليه وراعوا إن أمريكا

مستهدفة.. هو إحنا كنا نحلم بحد زيه.. ماتنسوش إننا كنا في زنقة وعوزه وخنقه.. وديوننا تكتيفه وشنقه"، بالعكس كل وسائل الإعلام بمختلف اتجاهاتها عصرت الرجل عصرا ولم ترقب فيه إلا ولا ذمة، والرجل ذات نفسه لم يسق فيها ولم تتلبسه العظمة ولم يخرج على الناس ليقول لهم "بتحاسبوني إزاي.. مش شايفين الأزمة اللي إحنا فيها.. أجيب لكو منين"، بل حاول بكل تواضع أن يدافع عن أدائه ووعد بتطويره وتقبل آراء كل من حاسبوه دون أن ينبس ببنت شفة، أو يلوي الشفة نفسها، ولم يفعل ذلك تفضلا منه، بل لأنه يعلم أنه جاء بأصوات الناس ويمكن أن يرحل بأصوات الناس.

أما في بلادنا التي يأتي فيها الحكام على أنغام الموسيقى العسكرية ويرحلون على صوت القرآن الكريم، فحتى مائة سنة من الحكم ليست كافية لكي يطلب الشعب حسابا حقيقيا وشاملا وموضوعيا لكي يسأل فيه رئيسه عن حصاد حكمه له كل هذه السنييييييييييييين التي دخل بعضها في بعض فلم يعد يعرف لها أحد بداية من وسط، وحاشا لله أن يتجرأ أحد فيطلب أن يعرف لها نهاية، كل مايمكن للشعب معرفته دائما هو أن الوقت لا يزال مبكرا على الحكم على أداء الرئيس، لأن الوطن لم يخرج بعد من عنق الزجاجة، مع أن القاصي والداني يعلم جيدا أن عنق الزجاجة اندب في عنق الوطن، ولم يعد للوطن سوى أن يحلم بخروج عنق الزجاجة منه، وهو يهتف: أرجوك أعطني هذا الدواء أو أي بديل يوقف النزيف، أبقني على قيد

الحياة ولا تطلب الحساب وحياتك، فلا وقت للحساب خصوصا في هذه الأيام المفترجة التي يفترض فيها أن يقف الشعب صفا واحدا ليموء خلف الكاتب الأليف ممتاز القط هاتفا بالنداء الذي لم يجد القط حرجا في نشره بالبنط الحياني "مالنـاش غيـرك ياريس"، وهو نداء تدرك فور قراءتك لـه أن مصـر مهـددة بإجتياح وباء إنفلونزا القطط من الفترة السادسة.

فلتحل عليّ شتى الأوبئة لو كنت هازلا، أقسم لكـم أننـي أكتب وقلبي يتمزق مما وصل إليه حالنا، والله العظـيم تلاتـه عيب، لو لم يكن عيبا علـى تاريخنـا ومسـئوليتنا وظروفنـا وأحوالنا، فعيب على قدر من يحكمنا أن يكون هذا هو مستوى من يختارهم لكي يمثلوه صحفيا وإعلاميا، عيب علينا أن نسمح لهؤلاء أن يهينوا هذه البلاد العظيمة التي اخترعـت التوحيـد والعلوم والفنون والحضارة والطب والهندسة والمعمار، لكـنهم مستمرون في الكفاح من أجل حرمانها بعد سـبعة آلاف سـنة حضارة من إختراع توصلت إليه حتى جمهوريـات المـوز، إختراع إسمه الرئيس السابق، عيب أن نسمح لهم بأن يعيـدوا هذه البلاد ثانية إلى عصر المفترض أنها كافحت لكي تتجاوزه، عصر أعياد الميلاد الملكية وأعياد الجلوس الملكـي وأفـراح الأنجال، بينما استقر العالم المتقدم على أن عيد مـيلاد رئـيس البلاد أمر يخصه هو وأسرته، وليس مناسبة قومية أو وطنيـة تستحق كل هذا الطوفان من المدائح المثيرة للأسى.

لست جلياطا ولا قليل الذوق ولا راغبا في ضرب كرسي في كلوب المدائح الرئاسية التي تتصاعد في أرجاء الوطن، أنا فقط أحلم بوطن حر متحضر لا يكبر فيه الأطفال على النفاق والزيف والكذب، وطن نتمنى فيه للحاكم العمر المديد وليس الحكم المديد، ونسأل الله له دوام الصحة وليس دوام الحكم.

المعارض العتيد أسامة سرايا!

قبل أن تجمعني دروب الحياة بالأستاذ أسامة سرايا رئيس تحرير صحيفة الأهرام كنت أشعر أن بعض ما يكتبه عيب لا يليق به، وبعد أن التقيت به شخصيا واستمعت إلى وجهات نظره في الكون والحياة، وصلت إلى قناعة أن مواصلة القراءة له عيب لا يليق بي.

أعترف أنني قاطعت كقارئ صحيفة الأهرام بعد أن قذفت في وجهي ذات يوم بذلك العنوان المؤسف الذي نشرته يوم ميلاد الرئيس مبارك "يوم أن ولدت مصر من جديد" والذي اعتبرته ذروة ماقدمته الصحافة الموالسة من إنحطاط في فنون الموالسة، لكنني بعد فترة قصيرة شعرت أن ذلك القرار سيكون تخليا عن صديق قديم في وقت زنقة أعلم أنها ستزول، وعدت لقراءة الأهرام وفاءا لمن بقي على "قيد الحياء" من كتابها المتميزين، وإعلانا عن فشلي في التخلص من إدمان أصدق وأمهر صفحاتها، صفحة الوفيات. فقط قررت حماية المناطق القابلة للإنفجار في جسدي، والإقتداء بالآباء الخائفين على

أبنائهم من الإنحراف، وذلك بتشفير قائمة الكُتّاب "العورة" الذين لا يجدي نفعا معهم سوى غض البصر إلى أن يقيض الله لنا من يميط أذاهم عن الطريق.

يوم الجمعة الماضي وأثناء عبوري الحذر لصفحات الأهرام الشاسعة، وقعت على صورة الأستاذ سرايا التي تتصدر حتة الأرض التي يضع يده عليها كل جمعة، أعترف أن إبتسامته المنبسطة جوّه الصورة شدتني بغموضها الذي فاق غموض إبتسامة الموناليزا، وجعلتني أسرح في مغزاها، هل هي إبتسامة إشفاق على القراء الذين قادهم حظهم العثر إلى مقالته، أم هي إبتسامة إغتباط لأن ربنا فتحها على جنابه من وسع وصار قادرا على وضع صورته في هذه الحتة العالية، جعلني تدافع الأفكار أخبط في "عمود ضلمة" مزروع أسفل صورة الأستاذ سرايا، توقفت لأستبين ما ارتطمت به، فقرأت الفقرة الآتية مكتوبة بالبنط الحيّاني "وليتذكر من ينكرون الحقائق أنهم يستفيدون من الحرية التي حصلوا عليها بحكمة الرئيس مبارك وأن يتوقفوا عن إهالة التراب على كل شيئ كعادتهم فليس بوسعهم أو بمقدور غيرهم أن ينكروا الحقائق على الأرض في ربوع مصر كلها"، أنهيت قراءة الفقرة فاكتشفت أن إبتسامة الأستاذ سرايا تشبه "تيبيكال" ابتسامة القديرة نجمة إبراهيم في فيلم (ريا وسكينة) فور وقوع ضحية جديدة بين يديها، كدت أضحك وأنا أتخيل الأستاذ سرايا وهو يفرك يديه فرحا بينما تتحول إبتسامته إلى ضحكة متقطعة شريرة يعقبها

قوله "هنريحوك يا قارئ"، لكن نبرة التحــذير القاطعــة التــي حملتها الفقرة المقتطعة بعناية من مقال الأستاذ سرايا جعلتنــي أمسك الضحك وأشياء أخرى لأتأمل في مغزى الفقرة الغميق.

قلت في عقل بالي: لهذه الفقرة معنيان لا ثالث لهما، إما أن الأستاذ سرايا بحكم قربه من "السراي" علم أن هناك يقينا رسميا بأن "الحكاية زادت عن حدها والفرح خــلاص لازم يــنفض، وكفاية عليكو لحد كده ياكافرين النعمة". أو أنه قرر أن يتطوع بتهديده نيابة عن أولي الأمر، ولأنه على ما يبدو لم يأخذ فــي المدرسة حكاية الدبة التي آذت صاحبها، فهو لم يأخذ باله أن ما كتبه يحمل إدانة صريحة لحكم الرئيس مبارك الذي لــم يتفــق أغلب معارضيه على إنجاز له، سوى توسيعه لهامش الحريــة الصحفية والإعلامية، فإذا بسرايا ينسف هذا الإنجاز ويصــوره على أنه منحة مؤقتة قابلة للرد في أي وقت، مؤكدا ما تقولــه القلة المندسة التي ترى أن حرية الصحافة والإعلام في عهــد مبارك ليست سوى وهم كبير، لأنها معلقة في الهــواء بفعــل رغبة الحاكم وليست راسخة في الأرض بقوة قــوانين تجعلهــا حقا لا منحة، بدليل أن هذه الحرية تسمح للكاتب أن يتّجاوز كل الخطوط الحمراء، بينما لو قرأ راكب في المترو ما ينشر فــي الصحف بصوت عال لأنزل بغير المحطة التي كان يقصدها.

قلت لنفسي: هل يدرك الأستاذ ســرايا إلــى أي حــد أذى الرئيس مبارك بما كتبه؟. هل هو واع لما يكتبه؟ أم هل يكــون سر إبتسامته الغامضة أنه يخفي بداخله معارضا عتيدا يســرب

معارضته للرئيس مبارك بكل هذا القدر من الدهاء والمكر ومن غير ما نأخذ بالنا؟. يااه. تفتكروا؟.
كان الله في عونك يامصر. كيف تحملتِ كل هـذا العـذاب؟.
إفرجها على بلدنا من عندك يارب.

الفهرس

فلتحل عليّ شتى الأوبئة لو كنت هازلا، أقسم لكم أنني أكتب وقلبي يتمزق مما وصل إليه حالنا، والله العظيم تلاته عيب، لو لم يكن عيبا على تاريخنا ومسئوليتنا وظروفنا وأحوالنا، فعيب على قدر من يحكمنا أن يكون هذا هو مستوى من يختارهم لكي يمثلوه صحفيا وإعلاميا، عيب علينا أن نسمح لهؤلاء أن يهينوا هذه البلاد العظيمة التي اخترعت التوحيد والعلوم والفنون والحضارة والطب والهندسة والمعمار، لكنهم مستمرون في الكفاح من أجل حرمانها بعد سبعة آلاف سنة حضارة من إختراع توصلت إليه حتى جمهوريات الموز، إختراع إسمه الرئيس السابق، عيب أن نسمح لهم بأن يعيدوا هذه البلاد ثانية إلى عصر المفترض أنها كافحت لكي تتجاوزه، عصر أعياد الميلاد الملكية وأعياد الجلوس الملكي وأفراح الأنجال، بينما استقر العالم المتقدم على أن عيد ميلاد رئيس البلاد أمر يخصه هو وأسرته، وليس مناسبة قومية أو وطنية تستحق كل هذا الطوفان من المدائح المثيرة للأسى..

لست جلياطا ولا قليل الذوق ولا راغبا في ضرب كرسي في كلوب المدائح الرئاسية التي تتصاعد في أرجاء الوطن، أنا فقط أحلم بوطن حر متحضر لا يكبر فيه الأطفال على النفاق والزيف والكذب، وطن نتمنى فيه للحاكم العمر المديد وليس الحكم المديد، ونسأل الله له الصحة وليس دوام الحكم.

بلال فضل

تصميم الغلاف أحمد مراد



ميريت